صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

٤٥

هذا كتاب الاسرار الربانية فى النبات والمعادن
والخواص الحيوانية تأليف الفاضل المدقق
الفهامه محمد بن احمد افندى الاسكندرانى
متع الله تعالى المستفيدين بطول حياته
وجزاه خير جزاء
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن تنزهت عن الولد والوالد * وتعاليت عن المصاحبة والمعاون والمساعد * ونشهد ان لا اله الا انت خلقت الانسان فى احسن تقويم * وابدعته بحكمة ذلك تقدير العزيز العليم * ونصلى ونسلم على من استخلصته من ازكى الاصلاب * وانتخبته من اشرف الانساب * وعلى آله الذين سرى فيهم سر الحكمة الربانيه * وفضلوا بنسبتهم اليه على جميع البريه * واصحابه الذين هاجروا اليه وهجروا من صحبوه قدما * واستعوض الولد منهم به عن والده خيرا منه زكوة واقرب رحما * صلوة وسلاما دائمين ما تكون كائن فى باطن الارحام * وطلع نجم وسجع حمام * على غصن بان و حام * اما بعد فيقول راجى عفو الواحد الصمدانى * محمد بن احمد الاسكندرانى * لما انتهى بحمدالله تعالى الكتاب المسمى بكشف الاسرار النورانية * هنأنى بعض الاخوان * اصلح الله تعالى لى ولهم الحال والشان * وقال لى ان هذا الكتاب عوض لك عن الولد فى التذكار وانت عقيم فاعطاك الله تعالى ذلك عوضا عن الولد فلما ذهب عنى هدش ذلك الكلام فى الخاطر وصار يتردد بين الاحساس والارادة لانه اذا ادرك بالحواس شئ حصل منه اثر فى الفؤاد وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبسبب قوة فى المزاج حصل منها فى

القلب

القلب اثر وان كفت عن الاحساس فالخيالات الحاصلة فى النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل الفؤاد من حال الى حال آخر والمقصود ان الفؤاد فى التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة فى الفؤاد هو الخواطر واعنى بالخواطر ما يحصل بها من الافكار والاذكار واعنى به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان الفؤاد غافلا عنها والخواطر هى المحركات فلما تحركت فى نفسى تلك الخواطر صرت احدث نفسى كانه لى غلام وتوددت تلك الصورة على الفؤاد كانها وسواس ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث لا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب فبسبب الخاطر الداعى الذى قام بتصور نفسى بصورة غلام يخاطبنى واخاطبه ما قد تقرر لك آنفا فخاطبته تلك النفس بالغلام انشأت هذا الكتاب وسميته تبيان الاسرار الربانيه * فى النبات والمعادن والخواص الحيوانيه * ورتبته على مقدمة وبابين مشتملين على بيان ما يتعلق باظهار خفايا القوى الموجودة فى الحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية وخاتمة وكل باب فيه فصول وابحاث ومسائل والله المستعان * وعليه التكلان

﴿ المقدمة ﴾

سأل ابن قلب الحكيم اباه فقال له هل الوظائف الموجودة فى الجسم البشرى كل واحد منها له رئيس ينبهه على وظائفه الخاصة به اوخفير يوقظه على ما يضره وينفعه فقال له يابنى ان الوظيفة هى الفعل الحيوى الحاصل بواسطة عضو او جملة اعضاء والوظائف فى الجسم البشرى تنقسم الى رتبتين

الاولى تحتوى على الوظائف المتعلقة بحفظ الشخص

والثانية تحتوى على الوظائف المتعلقة بحفظ النوع

فالوظائف التى تتعلق بحفظ الشخص وتجعله قائما بنفسه منها ما يحيل ما استعمله من الاغذية الى جوهره الخاص وهذه تسمى بوظائف التغذية او الوظائف المثيلة وهذه لها خفيران الشم والذوق على ما سيأتى ومنها ما يجعل بينه وبين الموجودات المحيطة به اختلاطا وهذه هى وظائف المخالطة وهذه الرتبة لها خفرا على ما سيأتى

والوظائف التى تتعلق بحفظ النوع هى وظائف التناسل وتنقسم ايضا الى الوظائف التى تفضى الى اجتماع النوعين مع بعضهما والى الوظائف المختصة بالام كالولادة والرضاع وغيرهما واعلم يابنى انه يجب على جميع الناس ان يعرفوا قبل كل شئ مايلزم للحياة وما يتأتى به حفظها وقوامها وهو الغذاء اذ من المعلوم عند الخاص والعام انها بدونه غير ممكنة وهو بدون الآلات المستعملة فى تحضيره غير نافع ولنشرح لك هذه الآلات والخفرا بطريق الاختصار فنقول

﴿ الباب الاول فى الاغذية وآلاتها وفيه فصول الفصل الاول ﴾

﴿ فى تناول الاغذية وآلاتها وفيه بحثان ﴾

(البحث الاول فى الآلة الاولى وهى اليد)

اليد هى الآلة الاولى من تلك الآلات وهى التى لا يتأتى بدونها تناول الاغذية وتوصيلها الى الفم وليس المراد هنا بذكرها وصفها من حيث هيئتها الظاهرية لان ذلك ليس خافيا على الصغير والكبير بل الفرض منه معرفة اهميتها وكونها نافعة للانسان فى تجهيز اشغاله * وتتميم اعماله

(البحث الثانى فى الاصابع ومنافعها)

اعلم يابنى ان اليد كما انها فى المهر مثلا مساعدة له على تناوله غذاءه والذب بها عن نفسه فى بعض احواله وبالتأمل بالاكبر من الاصابع الخمسة المركبة لها وانعزاله عن اخوته يرى انه لولاه لما كان الانسان اكمل جميع الحيوانات خلقة وبالجملة فهو من اجل النعم التى انعم الله تعالى بها عليه لانه ليس قاصرا فى نفعه على تناول الاغذية بل هو مساعد له

على الحصول على جميع الاعمال التى يتوصل بها الى اكتساب المعارف والفنون وهذا امر غير مجهول لانك لو اردت ان تقبض على شئ بدونه لقاسيت من العسر والصعوبات الكلية مالا مزيد عليه كيف لا وهو على الدوام مستعد للحركة ونافذ بالسبق فى جميع الاعمال على باقى الاصابع وهو للانسان اعظم مساعد واكبر معين وسبب انعزاله عن اخوته يأتى له من غير مانع يمنع انضمامه الى واحد منها او اليها بتمامها وبهذه المزية التى لم يشارك الانسان فيها من المخلوقات سوى القردة فضل على غيره مع ان اصابع الانسان اعظم تركيبا وحركة فلذا يشاهد انه اكمل الحيوانات خلقة واعظمها نفعا واجلها فائدة ولو اردنا ان نبسط لك الكلام على اليد والبنان لخرجنا عن الموضوع وانتقلنا من الايجاز الى الاسهاب وعدلنا فى سلوكنا عن طريق الاختصار الذى لا ينكر ما فيه من البلاغة وبنان الاصابع متسلطنة فيه حاسة اللمس الذى هو بحسب الظاهر لنا على هيئة مخدة موقاة بالاظافر مختصة بملامسة كلية فيه تدرك نعومة الاجسام وخشونتها الخفيفتان جدا وفى بعض الاشخاص العمى يدركون الالوان المصبوغة فى الاقمشة وهذه المنافع العظيمة خصها الله تعالى بالانسان واعلم ان هذه اليد بعد ان توصل البلعة الغذائية الى الفم تتركها له يفعل بها ما هو من خصائص وظائفه ثم ننظر فى افعاله بها ونلاحظها حتى تنفصل عنه مع التأمل فى جميع تنقلاتها من موضع الى آخر ومن صورة الى اخرى ونتوصل بما وصلت اليه افهامنا من العلم الى شرح ما يلحقها من التغيرات فى جميع هذه التنوعات فان بلغنا هذه الدرجة تيسر لنا الوقوف على حقيقة المنافع التى تعود على البدن من الاغذية

﴿ الفصل الثانى ﴾

فى الدلائل القرآنية فى منافع اليد والاصابع فان قلت اليد والاصابع من حيث منافعهما وخواصهما هما معلومان لا ينكر ان لكن هل ورد

من المشارع لاهل الشرائع فيما يخص منافعهما وما يتعلق بها قلت لك ان الله تعالى ذكرهما فى جملة آيات وسا ورد عليك هنا ثلاث آيات فى ثلاثة مقالات

﴿ المقالة الاولى ﴾

(فى قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها)

اعلم ان هذه الاعضاء جعل تعالى فيها من القوى المحركة والمدركة فتكون افضل من اليد اذا كانت خالية عن هذه القوى فالرجل القادرة على المشى واليد القادرة على البطش افضل من الرجل واليد الخاليتين عن قوة الحركة والحياة واذا ثبت هذا ظهر ان الانسان افضل بكثير من الاصنام والصور المعمولة بهيئة الربانيين للتبرك بل لا نسبة لفضيلة الانسان الى فضل تلك الصور البتة واذا كان كذلك فكيف يليق بالافضل الاكمل الاشرف ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الذى لا يحسن منه فائدة البتة لا فى جلب المنفعة ولا فى دفع المضرة هذا هو الوجه المناسب فى تقرير هذا الدليل الذى ذكره الله تعالى

﴿ المقالة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوى بنانه)

اعلم ان قوله قادرين اى فى الابتداء فوجب ان تبقى قادرين على تلك التسوية فى الانتهاء وقرئ قادرون اى ونحن قادرون وفى قوله على ان نسوى بنانه وجهان

احدهما انه نبه بالبنان على بقية الاعضاء اى نقدر على ان نسويه بعد صيرورته ترابا كما كان وتحقيقه ان من قدر على الشئ فى الابتداء قدر ايضا عليه فى الاعادة وانما خص البنان بالذكر لانه آخر ماتم خلقه فكانه قال نقدر على ضم سلاماته على صغرها واطاقتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف القول فى كبار العظام

وثانيها بلى قادرين على ان نسوى بنانه اى نجعلها مع كفه صحيفة

مستوية لا شقوق فيها كخف البعير فيعدم الارتفاق بالاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وسائر الاعمال اللطيفة التي يستعان عليها بالاصابع

﴿ المقالة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء)

(آية اخرى)

اعلم ان لكل ناحيتين جناحين كجناحي العسكر لطرفيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعمل منه جناحا الطائر لانه يخفضهما عند الطيران وعلماء الطب قالوا الطرفان الصدريان بمعنى الذراعين اى الصدريين والاول اولى لان يدي الانسان يشبهان جناحي الطائر لانه قال تخرج بيضاء ولو كان المراد بالجناح الصدر لم يكن لقوله تخرج معنى

واعلم ان معنى ضم اليد الى الجناح كما قال في آية اخرى وادخل يدك في جيبك لانه اذا ادخل يده في جيبه كانه قد ضم يده الى جناحه والسوء الرداءة والقبح في الشيء فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة والبرص ابغض شيء الى العرب فكان جديرا بان يكنى عنه يروى انه عليه السلام كان شديدا الادمة فكان اذا ادخل يده اليمنى في جيبه وادخلها تحت ابطه الايسر واخرجها كانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس من غير برص ثم اذا ردها عادت الى لونها الاول بلا نور

﴿ الفصل الثالث ﴾

(وفيه ابحاث البحث الاول في وظائف التمثيل)

وظائف التمثيل ويقال لها ايضا وظائف التغذية هي الهضم والمص ودورة الدم والتنفس والافراز والتغذية التي هي غاية هذه الوظائف فان الاطعمة متى دخلت في الجسم اثر فيها فعل عضو الهضم وفصل منها جزأها الغذائي فتمتصه الاوعية الماصة ثم ترسله في تيار الدورة وهو يوزعه على جميع اجزاء الجسم ثم تضيف اليه الرئتان واعضاء الافراز بعض عناصر ويقربانه من عناصر كثيرة ويحيلانه الى مادة حيوانية

ثم بعد ذلك تجعله وظيفة التغذية مناسبا لتغذية جميع الاعضاء المختلفة

(البحث الثانى فى الاطعمة وكيفية تنوعها)

الاطعمة هى الجواهر التى تتغير وتصير مماثلة لجوهرنا الخاص ونافعة فى نمو الجسم وتعويض مانقص من الاعضاء بسبب الافراز الدائم فينا اى التحليل الدائم فى اجسامنا ويتخذها الانسان من النباتات والحيوانات على حسب الاشخاص من الذكورة والانوثة و الا مزجة واما المملكة المعدنية فلا تنفع الا فى الافاويه والادوية والسموم واما الاملاح المنحصرة فى المواد الحيوانية والنباتية فلا تعرف كيفية دخولها فيها ولا يعرف هل هى محلولة فى المواد العضوية او متحدة بالجواهر الحية وخاصية الجواهر التى تقاوم الفعل الهضمى بحيث لاتتمكن العصارة المعدية من ان تغير طبيعتها هى انها تحدث فى فعل القناة الهضمية اضطرابا كثيرا او قليلا لكن الذى يظهر ان المعدة بقوتها تقلب جميع مايتعرض لها ثم انه ليس هناك تباين كلى بين الادوية والسموم اذا الادوية الشديدة التأثير قد تكون مأخوذة من الجواهر السمية وتقاوم القوة الهضمية فلا تأخذ منها الاعضاء شيأ للتغذى بخلاف الادوية الضعيفة معظمها مطيع لاجتهادات المعدة فيدخل فى رتبة الاطعمة لكن يلزم فيه ماعدا خواصه الطبية ان يكون سريع الهضم وغير مهيج واو لم يكن كذلك لشوش القوى اللازمة لشفاء الامراض ثم ان بعض المسهلات النباتية كالتمر هندى والمن لايحصل منه نتيجة دوائية فى الاشخاص الذين قوة الهضم فيهم شديدة لاستحالته بالكلية الى مادة حيوانية وحينئذ فلا يحصل منه خاصية دوائية وهناك اطعمة اذا تنوولت بكمية عظيمة جدا اوفى وقت كانت المعدة فيه غير مستعدة للهضم اثرت تأثيرا دوائيا فيحصل منها اسهال كثير

واعلم يابنى ان اغلب اهل هذا العلم قالوا ان الكيلوس الناشئ عن الاطعمة دائما متماثل فى خواصه الطبيعية وتركيبه الكيماوى وان كان اصله من

الاطعمة

الاطعمة مختلفا ولا قائل بهذا التماثل التام من الذين رأو بالامتحان انه لاتتمكن المحافظة على الحياة الا بتغير الاطعمة فان الكلب مثلا اذا تغذى بخبز وماء مقطر فقط يموت بعد مضى ثلاثين يوما او اربعين فمن هذا يعلم ان بعض الادوية ولو انهضم لابد ان يكون حافظا لخواصه الدوائية

﴿ المبحث الثالث ﴾

(فى الكلام على الجواهر النباتية والحيوانية)

اعلم ان الاطعمة المأخوذة من المملكة النباتية اقل تغذية من الاطعمة المأخوذة من المملكة الحيوانية وذلك لان احتواء النباتية على الجواهر القابلة للتماثل لجوهرنا الخاص اقل من احتواء الاطعمة المأخوذة من المملكة الحيوانية فالاغذية النشائية هى التى يوجد فيها الجوهر النشائى والنشاء يوجد فى جميع الحبوب البقولية والحبوب الغلافية وفى التفاح وشاه بلوط والكمأة وكثير من الجذور النباتية وفى الشعيرية والسميد والساجو والسحلب وفى الارز واللوبيا والجلبان والفول والعدس الجاف فى كل من ذلك ولكن لا يوجد فى هذه الجواهر خالصا بل دائما يكون متحدا مع غيره كالمادة الدبقة وهى التى تخمر العجين ولا توجد فى اللوبيا ولذا لا يتخذ منها الخبز والسكرية والزلالية والراتنجية والملحية والصمغية والاغذية التى من هذه الرتبة يكون مكثها فى المعدة اقل زمنا من اللحوم ومن بقية الجواهر النباتية وكلما كانت اكثر تخمرا كانت اسرع نفوذا واجود تغذية لانه يتكون منها مواد ثفلية قليلة وهضم النشاء الغذائى يزيد قليلا فى الحرارة الحيوانية ويسرع فى الدورة اسراعا قليلا وهو اكثر الاغذية النباتية تغذية لكنه يقلل القوة الحيوية كما تسهل معرفة ذلك اذا غير الشخص الغذاء الحيوانى بغذاء مركب من جواهر نشائية فان قوته حينئذ تكون قليلة لا تقوى على تحمل الاشغال الشاقة ومن دقيق النشائية كالبر والماش والشعير والارز والذرة يتخذ العيش والبقسمات والحريرة وغيرها مما يتخذ من العجين بانواعه والعيش والحريرة هما اكثر

تغذية واسرع هضماً بخلاف غيرهما مما يعجن بالدسم فهو على العموم مضر اما من عادية السمن الذي يكون معه واما من نوع اختلاطه فيكون عسر الهضم والغذاء النشائي يناسب قليلا الامزجة الليمفاوية اذا شارك اللحوم ويناسب كثيرا الاشخاص الصفراويين والذين تكون بنيتهم عصبية والاشخاص الناشفين والكثيري الحركة والناقهين من التهاب معدي او معوي والاغذية الصمغية هي التي تكون قاعدتها الصمغ وهذا الصمغ يوجد بمقادير مختلفة في غالب ما نستعمله من البقول كالجزر والبنجر اي الشوندر واللفت والاسفاناخ والخس والهندبا والخيار والبطيخ والقرع واللوبيا والبسلة الخضراء والحماض والكرنب وغير ذلك واغذية هذه الرتبة عموما قليلة التنبيه للغشاء المخاطي للمعدة ولا تمكث في القناة الهضمية زمنا طويلا وتعطي للبدن موادّ غذائية قليلة وغاية هذا الغذاء انه يغذي قليلا ويرتخي منه جميع الانسجة ارتخاء عظيما ويضعف قوة جميع الافعال والاغذية الصمغية تناسب خصوصا الاشخاص الممتلئين من الدم القابلين للتهيج والمصابين ببعض آفات مزمنة والذين مزاجهم عصبي والذين تسلطنت فيهم الاجهزة المعدية والكبدية واما الذين مزاجهم لينفاوي فينبغي لهم ان يستعملوا الجواهر الكثيرة التغذية والفواكه تشبه هذه الاغذية كثيرا من حيث ان داخلها مادة دبقة ويتفق ان فيها ايضا فالوذجية نباتية وسكر وماء وحوضات تفاحية او خلية وليمونية او طرطيريه او حماضية او عفصية وهذه الفواكه عموما تمكث في المعدة زمنا قليلا اما مثل البلح والتين والزبيب والقراصيا اذا كان كل منها باسافانه يستقيم في المعدة اكثر من بقية الفواكه ولذلك كانت مقيتة بالاكثر واما استعمال الجواهر الحيوانية فانواع اللبن الذي ينفع لغذاء الانسان ستة لبن البقر ولبن المعز ولبن الغنم ولبن الآدمية ولبن الاتان ولبن الفرس وهي تختلف في مقادير بعض العناصر التي هي مركبة منها وكل منها مركب من ماء وجبن وسمن وسكر حليب وبعض املاح

وانواع الحليب الستة المذكورة يمكن ان ترتب بحسب تركيبها الكيماوى رتبتين اصليتين اولاهما تحتوى على لبن البقر والجاموس والمعز والغنم فان هذه تتسلطن فيها الاجزاء الجبنية والسمنية وثانيتها تحتوى على لبن الادمية والحمار والفرس فان هذه يتسلطن فيها سكر الحليب والمصل على السمنية والجبنية وخواص اللبن وكميته يختلفان باختلاف جنس غذاء الحيوان وكميته والحليب كله سهل الهضم جدا فى الغالب وقوت اعتيادى للاطفال وبعد وصوله الى المعدة من قليل يجمد وينحل الى جزئين جبن ومصل فالمصل يمتص فى المعدة او فى المعا الدقيق والجبن المتجمد يجرى فى جميع طول القناة الهضمية ويسرع فى دورة الدم قليلا ولا يسرع فى فعل وظيفة من الوظائف الا فى وظيفة الافراز البولى والنتايج العمومية للحليب قريبة كثيرا من نتايج النباتات الدبقة اعنى انه يسمن الذين يستعملونه عادة وبالجملة فانه كلما قل مصله كثر فى تغذيته كلبن الجاموس واللبن من حيث هو مناسب للاشخاص العصبيين والذين هضمهم عسر ومعداتهم مهيجة وغير مناسب للبلغاويين والقاطنين فى الاماكن المنخفضة الرطبة التى لاهواء فيها وحليب الحمار والفرس من بين انواع الحليب المذكورة هما اللذان خواصهما قريبة من بعضها ومن خواص حليب المرأة فالكل خفيف سهل الهضم لقلة الجبن والسمن فيه وحليب البقر اخف من حليب المعز والغنم لكثرة السكرية والمصل فيه وحليب المعز يوجد فيه بعض عطريه بهارية ولذا اشتهر بانه مقوى للبدن وحليب الغنم هو اكثر الجميع سمنا واكثر منه الجاموس واحسن طرق استعمال الحليب ان يكون صرفا من غير احداث صنع فيه وتسهل هضمه ان يضاف عليه سكر او بعض جواهر ذات تنبيه خفيف والسمن والقشطة والجبن وان كانت خواصها فى الاصل مشاركة لخواص الحليب الا ان الصنع الذى تتكون به والجواهر التى تخلط فيها يغير ان فعلها تغيرا كليا فلذلك تكون لطافة جميع محضراتها على حسب حداثتها وقلة اختمارها وانواع الجبن ثلاثة

هى الجبن الطرى الغير المملح والجبن الطرى المملح والجبن العتيق اللذاع فالجبن الذى من الرتبة الاولى يغذى ويمكث فى المعدة بمقدار ما يحتوى من القشطة وهو غذاء لطيف مقيت ان لم يكن مقدار الجبن فيه زائدا والجبن الطرى المملح مغذى مثل ما قبله لكنه اقل لطفا ويسهل هضمه ما فيه من الملح لانه يفيده نوع تنبيه والجبن العتيق اللذاع تختلف قوته فى التنبيه من تنبيه خفيف الى تنبيه يصير الغشاء المخاطى للمعدة مفرزا لمقدار عظيم من السائل او تنبيه يصير فى هذا الغشاء نوع احمرار فحينئذ يكون كالافاوية لا كالاغذية والاشخاص الذين معداتهم قابلة للتهيج ينبغى ان يحترسوا من استعمال هذا الجبن وكذا ما قبله لكونه فيه قليل تنبيه ولحوم الحيوانات الصغيرة اقل تغذية من لحوم الحيوانات الكبيرة لانها تحتوى على مقدار كثير من المواد الهلامية التى هى جوهر حيوانى قليل التغذية فان الانسان يستدعى ان يعيش فى جميع الاقاليم فينبغى له ان يستعمل جميع انواع الاطعمة التى تناسبها فانه يشاهد ان سكان البلاد الحاره يستحسنون غالبا الاغذية النباتية وبعكسهم اهل الشمال فانهم ملازمون لاستعمال الاشياء المضادة لتأثير البرد الموهن فيستحسنون اللحوم التى هى متى انهضمت احدثت حرارة زائدة واهل البلاد الباردة جدا يستعملون لحوم السمك المخمرة التى تحدث فينا اذا استعملناها حمى ولهذا السبب ينبغى ان تختلف الوسائط العلاجية المستعملة فى علم الطب بحسب اختلاف الاقاليم واما الغذاء اللبفى ويسمى بذلك للالياف الموجودة فيه فكثيرا ما يوجد فى اللحم العضلى من الحيوانات الكبيرة السن وكذا الطيور متحدا مع المادة الهلامية والاوسمازم وهو العنصر اللحمى اى الذى تكون به نكهة اللحم والزلال وغيره وهذا الغذاء هو الاكثر مكثا فى المعدة ويستدعى كثرة فعل من المعدة ويظهر حرارة تقوى دورة الدم ينشأ عنها افراز كثير من بعض عصارات ضرورية للهضم ويعطى جميع الاعضاء اعظم ما يكون من القوة فان استعمل بافراط كان سببا من الاسباب المتواترة للامراض

الا

الالتهابية وانواع النزيف وغير ذلك وهذا الغذاء من بين الاغذية هو الاكثر تنبيها وتغذية وهو على الخصوص المناسب للذين بنيتهم او تركيبهم ضعيف واللينفاويين والذين صنائعهم متعبة تستدعى شدة قوة فى العضلات وسكان البلاد الباردة خصوصا فى زمن الشتاء واغلب الجواهر المأخوذة من الجواهر النباتية اكتفى بها ابو قراط فى معالجة الامراض والافيون والكينا والماء المنبذ من الجواهر اليابسة مثل التين والتمر والزبيب وخلافها والنبيذ المتخمر والجواهر الروحية اكثر نجاحا فى الاقطار الباردة ثم ان معظم العلماء اتفقوا بسبب التجارب على ان العناصر الاصلية التى يتركب منها الجسم البشرى حاصلة فيه من الجواهر الغذائية لكونها متكونة منها وهل يقال انها موجودة فى الاصول اللاواسطية اى القائمة بنفسها نقول بحسب الظن لا يقال ذلك فانه لا ضرورة الى كون المادة الهلامية والزلالية والليفية توجد متكونة من الجواهر الغذائية وحينئذ فينبغى ان يوجد فينا قوة تنشأ عنها الاصول اللاواسطية بمساعدة العناصر المنحصرة فى المادة الغذائية واعلم ان بين الاصول اللاواسطية للنباتات والاصول اللاواسطية للحيوانات مماثلة عظيمة جدا لكن ينبغى ان القوة الحيوية تنوعهما وتغير مقاديرهما ولولا ذلك لتسلطن اصل من الاصول اللاواسطية بحسب استعمال غذاء كذا دون كذا الذى يكون فيه هذا الاصل غزيرا فكل جوهر ينفذ فى جسمنا وتصير فيه تغيرات مختلفة وينتهى بكونه صار جزأ من بنيتنا وله نفع فى زيادة نمو اعضائنا وتجديدها فهو الغذاء والمشروبات من حيث ان فيها جواهر ممدة لاعضائنا او مسهلة لما هو ممدلها ينبغى ان نعتبرها من جملة الغذاء ومثله الافاويه التى ليس فيها سبيل الى تنبيه الاعضاء وتسهيل حركة الهضم انما استعمل منها قليل ثم ان الاغذية اذا استعملت بكمية لطيفة بحيث لايبلغ الانسان منها الشبع الكلى حصلت غايتها من غير ان يحصل من نفوذها فى المعدة ومرورها فى اوعية الدورة تغير مزاج ولا تعب ولا انزعاج فى الجسم بل يستشعر

الانسان بصحة فى جميع بدنه وتقوى فيه دورة الدم وتتردد فيه حركت النفس بسهولة وتزداد فيه القوى العقليه وتتم فيه وظائف الهضم من غير ان يدرك ذلك وان استعملت بزيادة عن مقدار الحاجة زاحمت المعدة الرئة وصارت حركة النفس عسرة والعضلات فى حالة استرخاء عمومى واحس المخ بنوع من الخدر يهيئ للنوم والهضم حينئذ لكونه يستدعى من المعدة قوة زائدة لايتكون عنه الا كيموس غير جيد قليل الاصلاح والتنبيه للبدن وينتهى ذلك بحصول امراض حادة او مزمنة فى اعضاء الهضم او فور دم فى جميع البدن يتسبب عنه سريعا امراض خطرة جدا وكثيرا ما تكون مهلكة وان استعمل الغذاء بكمية يسيرة جدا وقع الشخص فى الضعف والخوى وحصل له تشاويش حقيقية فقد تبين مما ذكرنا ان الغذاء دائما ينبغى ان يكون على مقدار مايتحلل من الجسم فتعطى الاغذيه للمعدة عند ماتستشعر بالحاجة اليها ويمتنع عن الاكل حين مايسكن حس الجوع ويتلاشى

﴿ البحث الرابع فى الجوع ﴾

اعلم يا بنى ان الجوع احساس باطنى ناشئ عن خلو المعدة يحس به فى حال الصحة متى خلت المعدة من الاطعمة التى كانت شاغلة لها وينتهى بادخال اطعمة اخرى فيها توقظ قوتها الهضمية وقوة الجوع تختلف باختلاف السن والمزاج والاعتياد على تعاطى كثير الاطعمة او قليلها ثم انه اذا طالت مدة الامتناع من تناول الاغذية لامست جدران المعدة بعضها فتضيق ويأتى اليها مقدار قليل من الدم ولا تدخل الصفرى المرارية فى الاثنى عشرى بل كلما طالت مدة الامتناع عن تناول الاغذية كثر تجمعها فى الحوصلية الصفراوية واكتسبت لونا كدرا اكثر مما كانت عليه قبل والظواهر العمومية التى تنشأ عن افراط شدة الجوع هى الضعف العام وبطؤ النفس وبطؤ الدورة غير ان الامتصاص ظاهريا كان او باطنيا يقوى والقوة العقلية تشترك مع الجسم فى هذا الضعف العام

ثم ان هذا الضعف يكون فى ابتدائه مشاركا لجميع الاعضاء مادام هذا الامتناع غير طويل المدة جدا فان الاطعمة متى تعوطيت قهرت المعدة على تمم وظيفتها فتعود القوى بسرعة الى جميع الاعضاء قبل حصول التكيلس وقبل حصول خلاصة الاطعمة الى الاعضاء لتعوض مانقص منها فان استمر الامتناع افضى الى الموت بعد ان تحصل مشاق عظيمة من المعدة فانها تمتص جميع العصارات المنحصرة فى جميع الانسجة خصوصا الغشاء المخاطى حتى ان قوة هذه الوظيفة التى هى الامتصاص كثيرا ماترقى الى ان تؤثر فى انسجة العضو الهضمى فيقع المريض فى هذيان جنونى ويهلك بانين ضعيف واذا فحصت رمته شوهد ان اوعيته لاتحتوى الا على قليل من الدم خال عن التغذية وان جميع الاجزاء الصلبة كالسائلة تصير متقصفرة الى كاسية بسبب تحيونها اى صيرورتها اجزاء حيوانية ثم ان الموت من هذه الحالة يكون اسرع كلما كان الشخص اقوى شبوبية وتغذية وجميع ما ذكرناه فى الجوع يأتى فى العطش وللحياة تكون الطول اذا عدمت الاطعمة وقام الماء مقامها فان قلت ان نفسك متشوقة ان تقول ان علماء الطب قد دونوا فى كيفية التغذية والاطعمة ما يضر وينفع الاشخاص فهل ورد فى الشرع شئ يتعلق فى ذلك وهل دونوا فيه احكاما ام لا قلت لك ان شاء الله تعالى عند الكلام على ما يتعلق فى البلعوم من بعد استيفائك على ما يخص الاغذية بتمامها اوردلك ذلك

﴿ الفصل الرابع فى الذوق ﴾

(وفيه بحثان البحث الاول فى الآلة الثانية وهى اللسان)

اللسان هو عضو الذوق ومجلسه الغشاء المخاطى المغشى للسطح العلوى من اللسان والاعضاء المجاورة له كاللثتين والخدين وسقف الحنك والجزء العلوى من البلعوم وغير ذلك والمنبه المختص به هو الاطعمة فمماسة الاجسام ذوات الطعم لهذا الغشاء يحدث منها فيه تأثير به يحصل فى المخ ادراك الطعم وبالجملة فكلما كانت الاغذية لذيذة كان هضمها اسهل فلو كان

من طبعها ان تكون مضرة واخذت بلذة اضعفت خواصها المضرة والذوق يهدينا بطريقة مأمونة الى ما نتبعه وليس هو غير مأمون بالكلية كما كان يظن حتى انهم كانوا يمنعون سؤال المريض عما يشتهيه ولو من افراد ما ينفعه والاحتراسات الواجبة لحفظ هذا الحس على الحالة اللائقة لسلامة وظائفه الامتناع عن كل ما يغير اللسان او يلهبه او يغلظ الغشاء المخاطي اللساني كالاغذية الكثيرة الحرارة والحوامض والارواح والمطربات والافاويه والاغذية الحريفة واذا ضعف الذوق من الطعوم القوية فالطريقة فى عوده الى لطفه الاول تكون بطول استعمال الاطعمة اللطيفة خصوصا الماء الخالص اى القراح للشرب الاعتيادى فاذا تغير الذوق بالكلية وصار لا يقبل شيئا من الاطعمة الغذائية فلا يقهر على شئ لان الطبيعة وحدها قد دلت على الامتناع والاحتراز فى حفظ ذكاء هذا الحس لا يمكن ولو كان الاعتناء به مهما كان والعادة الجارية عند بعض الاشخاص من كونهم يعطون ارواحا قوية واغذية فيها افاوية لاينكر كونها مذمومة

(المبحث الثانى فى الذوق واعماله)

من المعلوم ان الناس اعتادوا على انهم يتخذون لحوانيتهم حراسا يعرفون بالبوابين وهم منوطون فى حوانيت الامراء والاعيان بمعرفة الداخل والخارج و احاطتهم باسمائهم ليكونوا عارفين بما يطرأ على حوانيتهم من الحوادث الداخلية والخارجية ومنه يؤخذ ان جثة الانسان عبارة عن منزل بابه الفم وبوابه اللسان ولذا كان من الواجبات علينا ان نبدء بالكلام عليه قبل الفم حيث انه يتأتى به مع الشفتين ارشادنا الى ما نشتهى من الاطعمة فنقبله ورغبتنا عما لا نشتهى فنجتنبه ومع انه يستنبط من ذلك ان اللسان عدو لانهم من الناس فقد استصوبنا صرف النظر عما يقال فيه والاشتغال بما ينشأ عنه من المنافع التى عليها مدار وجودنا ولذا يجب عليك ان تعرف جميع ما انعم الله تعالى عليك به لا يخلو عن الفائدة وانه سبحانه وتعالى جدير بالثناء الذى يعجز المخلوق عن احصائه وان جميع ما منحك به

غير مضر بك بل هو نافع لك وليس لك عنه غنى مثلا ولو انعدم اللسان لانعدمت فى الحال حاسة الذوق ولكانت البلعة الغذائية فى الفم كما تكون فى اليد على حد سواء ولكان الانسان لا يميز فى الاكل بين الخبز النظيف الطرى الجيد والعفن الردىء الذى يترتب على كثرة الاكل منه مالا مزيد عليه من الضرر لانه سم قاتل ولولا خوف الاطالة والخروج عن الموضوع لاوردنا لك من الامثال الدالة على ذلك مالا يدخل تحت حصر ولما كانت المواد التى يتناولها الانسان مهيئة بالصناعة فلو انعدم الذوق لاكثر من تعاطى ما يضر به ويتلف صحته وبالجملة فمنفعة اللسان لاتنكر لاننا نستدل به فى الغالب على الشىء الكريه فنجتنبه وحينئذ لا ينبغى احتقاره ان خفى عليه معرفة ما يحذر به الناس مما عساه بالتحيل يطرء عليه من الغش فى المواد المأكولة حيث لا يتأتى له تمييز مافى السكر من السميات كما يقع ذلك فى الملبس الازرق والاخضر الذى دخوله فيه بدون شعور منه كدخول اللص فى الدار بلا خلاف على ان الانسان لما كان من نفسه عجولا كان لا يترك للسان الزمن الذى يتيسر له فيه كشف الغطاء عن الحقيقة باختياره المادة التى تنبغى التناول لكنه لعجلته يندفع عليها فياكل منها قبل ان يرشده الى تركها وبهذه المثابة لا يكون عليه فى ذلك ادنى ملامة بل يندفع اللوم على الانسان وباقى الحيوانات اشد احترازا منه فى هذا الخصوص ويؤيد ذلك انك اذا اطرحت للهرة بلعة غذائية فانها قبل تناولها تدنو منها وتذوقها فان وجدتها موافقة اكلتها والاتباعدت عنها وتركتها ومن عادة الهر قبل الاكل انه يجس بطرف اللسان الشىء المطروح له مرة او مرتين او ثلاث مرات فى بعض الاحيان فاذا وقع له ادنى شك فى صلاحية المواد المأكولة فانه لا يقربها بالكلية بخلاف الانسان فانه لا يدع فى التناول حلوا ولا مالحا ويلحق الساخن بالبارد بدون ان يستشير الآلة المنوطة بخفارة جسمه الذى هو بمنزلة الدار ومنع الغريب من الولوج بها ولذا نرى انه لا يكاد ينجو من العقاب على

هذا الذنب الذى جرته اليه نهامته التى تسوقه الى المغص والمرض وتؤدى به فى بعض الاوقات الى التلف والهلاك وما ذاك الا لتعديه الحدود * وتجاريه على ما يطوى سجل اجله ويواريه اللحود * وحيث انه يترتب على فقد حاسة الذوق من الانسان عدم تلذذه بالمآكل والمشارب فلا شك فى انها تعد من النعم الجليلة التى حبانا بها الله سبحانه وتعالى لانه جل شأنه لعلمه بضعفنا وميلنا الى الجهل حفنا بلطفه الخفى رأفة منه بنا حتى يتأتى لنا استكمال ضروريات طبيعتنا البشرية وجعل وراء كل ضرورة ما يكافؤها بحيث ان الانسان متى ظفر بتلك الضروريات وغالبها وجد وراءها ما يكافئه على فعله فبناء على ذلك يجب علينا ان نستعمل اللسان فيما اعدله اذ لولا ذلك لجلبنا لانفسنا الوبال * ولا وقعناها فى مهاوى الخبال * ومما يستدل به على ذلك هو انه لو اشتغل بواب البيت من الصباح الى المساء بالمزاح مع الداخل والخارج وسمع سيده بما يقع منه لو بخه وعاقبه على ذلك وربما طرده ولو فرض ان جميع ما تمسكه اليد توصله الى الفم فيتناوله منه اللسان ويبعث به الى البطن لثقل على المعدة وجلب الى الجثة بتمامها المرض والالم وينشأ عن ذلك فقد الشهية ومرارة الفم وانعدام اللذة وتوالى حصول ذلك عدة ايام وربما اخذ فى الزيادة واضر بالجسم وحيث انتهينا الى هذا الحد فى الكلام على اللسان ففى هذا القدر كفاية

﴿ الفصل الخامس فى الآلة الثالثة ﴾

(وهى الاسنان وفيه ثلاث ابحاث البحث الاول فى الاسنان)

من المعلوم انه لا يوجد خلف الشفتين اسنان بفم الطفل وهو فى المهد وذلك من ابتداء ولادته الى مضى سبعة شهور من عمره وانما يوجد فى الفكين بزوزان مرتفعان ورديا اللون يعرفان باللثة لان الطفل لما كان احتياجه الى الرضاع من اهم الامور اقتضيت الارادة الربانية بقائه مجردا عن الاسنان مدة الشهور السبعة المذكورة واكثر منها على حسب قوة بنيته وضعفها حتى

لايحصل منه للمرضعة فى أثناء رضاعته ادنى اذى ولا ضرر وهذا من لطفه سبحانه وتعالى ورأفته فاذا اخذ جسمه فى النمو وابتداء قوة تمييزه فى الظهور احتاج زيادة على اللبن الى الغذاء بمواد اخرى هنالك تأخذ الاسنان بمواضعها واحدة بعد اخرى فى الظهور من البروزين المذكورين آنفا فيقوى بها على تمزيق مايتناوله ولهذه الاسنان المكونة من جير وفوصفور غلاف ابيض صلب يقيها مما يطرأ عليها من التأثيرات وبعد ظهورها لاتزال كل يوم آخذة فى النمو الى حد معلوم حتى تتم وتكمل فيابنى لاتعجب من تلفظى بالجير والفوصفور فما يتعلق بتكوين الاسنان فان هذا العنصر خلقه الله تعالى من جملة العناصر التى يتكون منها الكون وهو خاص بنمو العظام وتصلبها وهذه الاملاح منتشرة فى جميع النباتات وابوال الحيوانات والعظام فان فوصفات الجير لايختلف بشئ عن الذى يدخل فى بناء البيوت الا ان هذه مركبة من فوصفات وجير والكلس مركب من جير واوكسيد والكلس الرخامى مركب من جير وكربونات وفوصفات الجير يستحضر من الفوصفات وحين انفراده عن الجير يعملونه كالاصابع ويضعونه فى زجاجة مملوءة ماء بحيث اذا اخرج عن الماء يشتعل لنفسه وهذا المسمى فوصفور له رائحة كرائحة الثوم فاياك يابنى ان تلعب بتلك المادة لانها تلتصق بالاصابع وهى ملتهبة فتكون صعبة الاطفاء وتحدث منها جروح رديئة واذا كتب بها على حائط فى محل مظلم ظهرت الكتابة كانها نار يفزع منها من يراها ويظن ان هذا من اعمال السحرة فاذا اردت ان تعرف مثال من وصل الى علمنا الجير والفوصفور ومن الذين جلبهما واين كان مقرهما قبل ظهور الاسنان فاقول لك انه لو فرض قصر موجود فى خلا واراد صاحبه ان يبقيه على الدوام على الحالة التى وضعه عليها بدون ان ينقص منه ادنى شئ فلا بد له ان يقيم عليه وكيلا من طرفه ويحفظ فى مخازن معدة لذلك جميع مايحتاج اليه من المواد الضرورية للبناء كالحجر والرمل والخشب والحديد والزجاج والالوان وغير ذلك وحيث ان جثة الانسان

شبيهة بالقصر والوكيل الحفيظ عليها هو الدم فلا فرق بينه و بين الوكيل المذكور آنفا سوى كون مخازنه لاتزال ملازمة له فى سيره يدور بها فى جميع اجزاء الجسد ويوزع منها على كل عامل مايحتاج اليه فى عمله وجميع مايوزعه على العمال يستعوضه بغيره من الاطعمة ولذا تراه دائما يعطى ويأخذ وهنا لم يزل دأبه بالليل والنهار فى حالة الحركة والسكون وهو فى اعلى الجثة وفى اسفلها وفى داخلها وخارجها مستمر على القيام بوظيفته بلا فتور ولا توان وله اعوان وعمال يسمعون قوله ولا يخالفون امره وعند ما يظهر له ان محل الاسنان قد استعد لابرازها عند ضرورة لزومها يأمر لهذه الاسنان التى كانت كامنة فى اماكنها بمواد العمل فتصنع منها فان قيل من اين له هذه المواد اجيب عن ذلك بان الدم لما كان هو الوكيل عن صاحب القصر كان ملزوما بتحزين جميع المواد لشفقه وحبه لبنيته وصاحب القصر هنا هو المعدة وحيث انها تستلم من الفم مايلتقمه فجميع المواد اللازمة لاجزائها داخلة منه اليها وهى التى تسلمها بعد تحضيرها للوكيل فيوزعها بحسب لزومها على جهاتها المحتاجة اليها ومن هنا يعلم ان الجير والفوصفور وغيرهما من المواد التى تدخل الى المعدة من الفم هى من جملة تركيب تلك المواد فان قيل كيف لانشعر بها ونحن مدة عمرنا لم ناكل ادنى شئ من الجير والفوصفور قلنا الجواب عن ذلك سهل وهو اننا لو وضعنا قطعة من السكر فى جام بلور مملوء بالماء لذابت ولحصل الشعور بها عند تناولها بخلاف ما اذا اخذنا جزأ من عشرة او من عشرين جزأ من القطعة المذكورة ووضعناه فى مقدار من الماء مساو لذلك مرة او مرتين او اكثر فاننا لانشعر بالسكر مطلقا وهذا هو الواقع لان لبن الثدى يحتوى على قليل من الجير والفوصفور وغيرهما من المواد ومما يؤيد ذلك ان ابوال المرضعات وابوال الاطفال يحتويان على مقدار قليل من فوصفات الجير لكون كل منهما ينفع فى تصليب عظام الطفل وهذان الجوهران يسريان فى الجنين مع لبن الام وان لبن الام بعد طبخه فى المعدة يكون مع الدم فى

مخزنه الى ان ينصرف فى الاعمال عند الاحتياج اليه ومن هنا تعلم المحل الذى كان به الجير والفوصفور اللذان تكونت منها الاسنان وسترى فيما اشرحه لك من العجايب مالا يدخل تحت حصر والتحقيق ان جثة الانسان هى عبارة عن مخزن عجايب لاتحصى وغرايب لاتستقصى وان الله سبحانه وتعالى اودع فيها من الاسرار مالا يعلمه الا هو ويتضح لك ان جميع ما نتناوله فى حالة الكبر يحتوى على ماهو ملازم الا ان تحويله الى الدم وتوزيعه فى الدار على الجهات المحتاجة اليه يكون بطريقة متقنة موافقة لتقدم الانسان فى السن لان حالة الطفولية مخالفة لحالة الكبر وستعلم ذلك كله مما سيأتى وفى هذا القدر كفاية فيا بنى انه يجب علينا ان لاننسى الام التى نتغذى بلبنها فى صغرنا بل ينبغى لنا ان نحبها ونبرها فى جميع اوقات حياتنا ونحترمها فى كبرها وهرمها لانه لما كان من الواجب علينا محبة من يهدى الينا ما ناكله ويلتم منا الخدود ونفرح بذلك كما نفرح بايدينا وارجلنا واعضائنا كان من الواجب علينا ايضا محبة من كانت الواسطة فى الاسنان التى نمضغ بها الاطعمة والايدى والارجل التى نستعين بها على الاعمال

﴿ البحث الثانى فى وظائف الاسنان ﴾

ومن وظائف الاسنان تحضير الوارد الى الفم وجعله قابلا للدخول فى محله وتوزيع العمل عليها فاما الاسنان القواطع فهى حادة كالسكاكين ومن خصائصها التقطيع واما المجاورة لها من جهتى اليمين والشمال فهى مذببة ومن خصائصها التمزيق كما ان الاضراس الموجودة بالداخل من شأنها الهرس والطحن وحيث ان الفك الاعلى لايزال ثابتا فى حالتى الاكل والتكلم فالاسنان تكفى لمضغ الاشياء القليلة المقاومة يعنى الهشة السهلة بخلاف المواد الصلبة الكثيرة المقاومة فالاضراس تستعمل فى طحنها ولا يخفى ان حركة الفكين مشابهة لحركة شعبتى المقراض اى المقص فانك ان امسكته بيدك اليسرى وجعلت شعبته العليا ثابتة وحركت شعبته السفلى بيدك اليمنى ظهر لك ان جميع نقط

الشعبة المتحركة ترسم فى آن واحد بقوة واحدة قسياً مختلفة بحيث ترسم نهايته اكبر هذه القسى وترسم نقطة التلاقى اصغرها فاذا اردت ان تقطع شيئا جامدا فلا بد لك من وضعه فى نقطة التلاقى فاذا كان سهلا فعليك ان تضعه فى طرف المقص المذكور وحركة الفكين لا تختلف بشئ عن حركة شعبتى المقص لان الاضراس معتبرة كانها واقعة فى نقطة التلاقى والاسنان المقدمة وليس الفك الاسفل قاصرا على الحركة من اعلى الى اسفل بل له حركة اخرى من اليمين الى الشمال يستعملها الاطفال احيانا فى المضغ وقد اقتضت الارادة الالهية وضع كل نوع من الاسنان وتذليها بالنسبة لما يطلب فى المكان المخصص لها حتى يأتى لها القيام بما هو مفروض عليها

﴿ البحث الثالث ﴾

(فى كيفية تكوّن الاسنان وحفظها)

اعلم يابنى ان اصول الاسنان المقدمة الداخلة فى اللثة ضيقة قصيرة بخلاف الاضراس المعدة لطحن اصعب الاشياء فلها اصلان او ثلاثة اصول او اربعة فى بعض الاحيان حتى تكون فى موضعها جامدة لايتأتى قلعها بالقوة المؤثرة عليها عند هرس الاطعمة وطحنها ولاجل وقاية الاسنان وحفظها طلاها البارى عزوجل بطلاء لامع ذى رونق وبهجة ان زال عنها اعتراها التلف وجعل لها بالحرمان منه مالا مزيد عليه من الصعوبات وحينئذ يجب علينا ان نبعد عنها الخوامض المضرة كالفواكه الفجة وهى التى لم يتم نضجها لانها تؤثر فى طلائها المذكور كما تؤثر نقطة من الخل او من عصارة الليمون على الرخام وقد اقتضت الحكمة الالهية تبديل اسنان الطفل متى وصل الى سن معين باسنان لا تستبدل بغيرها فان اعترى واحدة منها تلف وازيلت من موضعها بقى الانسان طول عمره متأسفا عليها لانها ليست كالشعر والاظافر التى يقتضى قصها متى طالت ومن هنا يجب على كل عاقل استعمال جميع الطرق التى يترتب على التمسك بها

حفظها يعنى انه يبعد عنها ماينشأ منه تلفها او كسرها او سقوطها وعدد اسنان اللبن لا يزيد على عشرين سنا وهذه الاسنان تبلغ بعد سن الطفولية ثمانية وعشرين سنا ثم تضاف اليها اربع اسنان فتتم عدتها اثنين و ثلاثين سنا و هذه الاسنان الاربع الاخيرة تعرف باضراس العقل وهى التى يوجد منها اثنان فى نهايتى الفك الاعلى من جهتى اليمين والشمال ووقت ظهورها يكون من ابتداء الاربع و العشرين سنة الى الثلاثين تقريبا ومن الولادة الى سن الشيبة

﴿ البحث الرابع ﴾

اعلم يا بنى انه يجب عليك ان تعرف ان الله سبحانه و تعالى لما خلق تلك الاسنان جعلها متنوعة وجعل لكل نوع منها وظيفة يقوم بها و يناط تحضير الغذاء باتم وجه فى لا يسمع اوامره و يجتنب نواهيه لا يلومن الا نفسه وعليه تدور دوائر العقوبه والضرر و قبل ان يتخلص من الخطر مثلا كل من استعجل فى ارسال الطعام قبل استكمال هرسه وطحنه فقد الزم المعده باستكمال ما بقى من العمل بدون ان يحصل من ذلك كبير فائدة وسأبين لك ان المعدة تكون تابعة فى قوتها وضعفها لتناقص الاسنان فى الحيوانات يعنى انها تكون قوية فى كل حيوان يكون عدد اسنانه قليلا ومن هنا يعلم انها ضعيفة فى الانسان وحينئذ يلزم ان تناط بعمل زيادة عن عملها لان ذلك يكون مضرا بها وظلما لها وانت ادرى بان الله تعالى يقتص للمظلوم من الظالم ولا يكتفى بهرس المادة الغذائية وطحنها بل ينبغى تحويلها الى عجينة حتى يتاتى للدم ان يأخذ منها ماتحتاج اليه فى عمله وحيث انه لابد لاتمام هذا العمل من وجود مائع فقد اودعته القدرة الالهية فى دائر الفم بغدد شبيهة بالاسفنج فينسكب منها عند اى حركة تحصل من الفك وهذا المائع والسائل هو البصاق وهو الريق واللعاب الذى هو مادة مائية مختلطة بمادة اخرى تسمى بالمادة الزلالية وهى شبيهة ببياض البيض ولما كان يوجد بالمائع المذكور قليل من ملح القلى الداخل فى تركيب الصابون وكان هو

الباعث على حصول بعض زبد من الريق عند مصادمة اللسان للشدقين ويوجود المادتين المذكورتين واتحادهما معا يتأتى للمائع المذكور تحليل المادة الغذائية وتحضيرها لما يراد منها فيما بعد بجميع العمليات التي يكون عليها في داخل الجسم واحالته الى الدم الشرياني وهو الدم الوردي المعروف في العروق الضوارب المسمات بالشرايين ولنقتصر الى هنا على هذا القدر لما فيه من الكفاية

﴿ الفصل السادس في آلة الفم الخلفي ﴾

(وفيه ابحاث البحث الاول في كيفية تقلب اللقمة الغذائية) متى تم عجن المادة الغذائية في آلة المضغ تناولها اللسان بعد ان يحركها في ذهابه ذات اليمين وذات الشمال من الامام والخلف ومن اعلى واسفل ويجعلها على ظهره فتتكور ويتم تشكيلها فيقذفها في الفم الخلفي بان يحصرها بينه وبين سقف الحنك ويتكئ عند دفعها بطرفه على الاسنان المقدمة العليا ويميل من اعلى الى اسفل بهيئة السطح المائل فتنزلق من فوقه فاذا تجاوزت الفم الخلفي وحصل ابتلاعها توجهت مع الاستقامة الى المعدة من الطريق المخصصة بالارادة الربانية

﴿ البحث الثاني في كيفية هيئة الدهليز ﴾

حيث انه يوجد بين الفم المضغي وبين المرى كثير من المصنوعات الالهية البديعة وجب علينا شرحها لسهولة الوقوف على حقيقتها فنقول انه يوجد خلف الفم سعة شبيهة بالدهليز منفصلة عن الفم الخلفي بلسان صغير من اللحم معلق في السقف يعرف بالحاجز او باللهات فان كان هذا الدهليز هو الفاصل بين الفم والمعدة كانت عملية البلع سهلة واو ارتفع اللسان المذكور لتوجهت البلعة الغذائية الى المعدة ودخلت فيها بلا عسر لكن الامر بخلاف ذلك لان الحكمة الالهية اقتضت تكميل غرضين مهمين في الدهليز المذكور اذ هو الموصل بين الحنك والمعدة وبين الانف والرئتين وفيه للهواء الذي نستنشقه فوهتان احداهما واصلة الى الانف والاخرى

الى الرئة وحيث انه لا يدخل فيهما غيره فلا بد من وجود مانع مدبر بالقدرة الالهية الربانية يمنع من دخول المادة الغذائية فيهما البتة وتوجيهها بلا واسطتهما الى المعده والله سبحانه وتعالى هو الصانع وينبغي للوقوف على حقيقة كنه الدهليز الذى نحن بصدده ان نتوهم انه شبيه بقاعة صغيرة فرجة بابها مفتوح فى نصف ارتفاع الجدار ومسدود بغطاء على قدرها يعرف بالحاجز او باللهات ويوجد فى السقف فوهة صغيرة موصلة للانف وفى الارضية مجريان جسيمان احدهما وهو الامامى موصل للرئة ويطلق عليه اسم الحنجرة وفيها يعرف بالزمار وثانيهما وهو الخلفى موصل للمعدة ويسمى بالبلعوم المتصل بالمرى ثم بالمعدة فاذا تقرر هذا يفرض ان البلع يحصل بواسطة فتح الباب ورفع غطائه وانطباقه على السقف يمنع وصول البلعة الغذائية الى الانف ويرتفع مجرى الرئة ويختفى تحت الباب المذكور بعد ان ينقبض ويصير صغيرا جدا بحيث لايبقى فوقه الا المسافة الكافية لمرور اللقمة المبتلعة ولزيادة الامن تقفل فوهته عند اخذه فى الارتفاع بلسان صغير يعرف بلسان الزمار ينطبق عليه فيسده سدا محكما وحيث انه لم يبق بعد سد هذا المجرى سوى مجرى المعدة فتسقط فيه البلعة الغذائية وتأخذ فى السير به الى ان تصل الى المعدة وتستقر فيها وحينئذ يؤول كل شئ الى اصله ويستمر ذلك هكذا مدة الاكل بتمامها فانظر يابنى الى حسن صنع الله تعالى جلت قدرته وتعالت عظمته

﴿ البحث الثالث ﴾

(فى كيفية مرور الاغذية وما يضر وينفع) اعلم يابنى انك قد عرفت ماقدمت لك فكيف يليق بالعباد ان يغفلوا عن معرفة ذلك ويشتغلوا بما هو دونه فى الاهمية والحال ان اغلب الناس لايفقهونه وياكلون بدون ان يكون لهم المام بكيفية الاكل مع ان فى علمهم بذلك وقاية لحياتهم وطالما كنت يا بنى اسمع فى صغر سنى من اقاربى واهلى يقولون انه ينبغى الامتناع عن الكلام فى اثناء الطعام وما كنت ادرى حكمة ذلك وغاية ماهنالك ان ابى

كان يقول لى ان الصمت على الاكل من ضمن آدابه وما عرفت الحقيقة الا
فيما بعد ولعلك الآن فهمت مما وصفت لك تسبب هذا الصمت وحينئذ
يجب الامتناع عن الكلام والضحك فى خلال الازدراد والبلع على
الخصوص لانه يطرد الهواء عن الرئة الى الحنك والالفاظ هى الصوت
الذى يحدث منه عند مروره بها وحيث انه قد ذكر آنفا ان مجرى الهواء
يكون فى اثناء الابتلاع مغلقا فبوقوع تأثير الهواء الوارد عليه ينفتح الصمام
طوعا او كرها وربما تسقط البلعة الغذائية كلها او بعضها الى مجرى الهواء
ولا يخفى مافى ذلك من الاخطار التى تجر الى سعال تدمع منه العينان
ويضطرب منه الجسم من ضيق النفس ويندفع الهواء على الجسم القريب
وتبعث منه الرئة على التوالى خوفا من توجه الضرر اليها بكميات عظيمة
وتجتهد بها فى طرد الغريب الذى يتصدى للهجوم على محلها ولذا نرى
ان كل جسم غريب يخرج خارج الحنك مغتنما حتى تيسر لها الخلاص منه
لكن ان كان هذا الجسم الغريب جسيما وتعذر على الرئة والمجرى دفعه
كان مهلكا فكل عجول لا يحتفل باداب الاكل ولا يتأنى فى تناول الاطعمة
يوقع نفسه فى مهاوى التهلكة ويموت قبل شراهته وهذه هى حكمة
النهى عن التكلم والضحك فى اثناء الاكل فلا تكتف بالامتناع عنه وحدك
بل يجب عليك ان لا تكون سببا فى وقوعه من احد فانه يضر بصحته وربما
افضى به الى الهلاك وتكون انت المخطئ والجانى المستحق العقوبة من
الله تعالى بحيث ان التأنى فى الاكل يكون هنيأ ومن الاكل الهنئ ان يطيل
المضغ لاجل سهولة الهضم لان باطالته يدخل لعاب الفم فى خلال اللقمة
الغذائية ويختلط بها قبل ازدرادها وهذا هو المسمى بالهضم الاول او
الهضم المضغى واما الاكل السريع الذى لا يتمكن فيه من طول المضغ
فلا يتم فيه الهضم الاول فيعسر هضم الطعام حينئذ على المعدة وكما
لا ينبغى الاسراع فى الاكل لا ينبغى البطوء الكلى خوفا من قلة نظم الهضم
المعدى بل الاحسن التوسط فتكون مدته عشرين دقيقة او ثلاثين وان

طالت جدا لا تزيد على ساعة و ينبغي ان لا ياكل الانسان في مدة الانفعالات النفسانية لانه اذ ذاك يكون معرضا نفسه لسوء الهضم او وقوع اجسام في الحنجرة عند الازدراد واعلم يا بني انه لا بد من راحة العقل حتى يحصل الهضم فعلى الانسان ان لا يتذكر مدة الاكل الاشياء المحزنة لانه من المجرب ان الاكل الذي يحصل وقت انشراح الصدر ينهضم في اقرب وقت وزمن ويرتاح اكله وان ما يؤكل وقت الغم والنكد بعكسه لاسيما الخوف عند الازدراد

﴿ المبحث الرابع في كيفية الاكل ومقداره واوقاته ﴾

اعلم يا بني ان من الناس من يشره في الاكل حتى انه اكثر مما يحتاج اليه وحينئذ لا ينهضم الطعام كله فينزل بعضه على هيئته الطبيعية مع المواد الثفلية وينشأ عن تناوله اكثر من شبعه امراض كالضعف والتهاب القناة الهضمية التهابا مزمنا وكل منها مهلك وقال بعض الحكماء البطنة تذهب الفطنة وتجلب الداء العضال فان قدر وانهضم الطعام كله لقوة في المعدة ضعفت الاعضاء الاخر لاسيما المخ فيصير بطيء الافعال او يحدث من ذلك سمن مفرط يعيق الحركة وتنشا عنه امراض كثيرة كالنقرس وداء النقطة او ذبحة في الحلق واعلم يا بني ان الاكول لا يكون صحيح البنية بل يكون ضعيفها قصير العمر قليل المعيشة وحينئذ يجب ان يكون مقدار الطعام لكل شخص بحسب ما يناسب بنيته واشغاله الجسمية وقوته الهضمية فياكل صحيح البنية ما يقرب من مائة وخمسين درهما من الخبز في اربع وعشرين ساعة ومثلها من الجواهر الحيوانية او النباتية و اذا اكل انسان كعادته وشرب ماء كثيرا بعد واحس بعدم الهضم في الزمن المعتاد له يجب ان يمتنع عن الطعام يوما او يومين وان يشرب كثيرا من الماء لتحليل المادة الغذائية وتسكين التنبيه الناشيء عنها ومن اكل طعاما قبل هضم الاول كان سببا لجلب الضرر العظيم لنفسه واعلم يا بني ان ما يناسب من الاوقات بين كل طعامين من المعلوم ان الاطعمة

لابد لها من زمن تنهضم فيه لكن المدة المذكورة تختلف بحسب الاشخاص فتكون قصيرة فى الاطفال والشبان وطويلة فى الطاعنين فى السن وفى الاقوياء واصحاء البنية اعنى اقصر منها فى الضعاف لكن الزمن اللازم للهضم يكون من اربع ساعات الى ستة الى ثمانية فالاول للاطفال والثانى للشبان والثالث للطاعنين فى السن وينبغى ان ترتب الاوقات للاكل بحسب ذلك لكن من حيث ان المعدة عضو يحتاج للراحة لبقية الاعضاء يلزم ان لاتشتغل بالاكل بمجرد دخولها فلذلك ينبغى ان يكون بين الاكلتين سبع ساعات او ثمان وينبغى ان لاياكل الكهل فى كل يوم مرة اومرتين وان يكون الوقتان مرتبين بقدر الامكان وانسب الاوقات لذلك ان يكون الغذاء قبل الزوال بساعة والعشاء يكون قبل غروب الشمس بساعة وان يجتنب الاكل بالليل لان فيه يبتدأ النوم مع ان الهضم يكون واقعا فينتج من ذلك وجود فعلين فى آن واحد فى الجسم فيشوش احدهما على الآخر فينشأ عن ذلك سوء الهضم والتعب فى النوم وقد يحدث من ذلك داء النقطة وينبغى ان يكون مقدار الغذاء الاول قليلا لاسيما لمن كانت اشغاله عقلية لانه ان اكثر من الطعام يتعب فى الهضم ويأتيه انعاس فيختلط فكره ولا يتمكن من اتمام العمل المقصود له ويكون العشاء اكثر قليلا لان الاعمال النهارية قد تمت وجاءت طراوة الليل فيسهل الهضم ولا ينبغى لمن اكل ان ينام الا بعد اربع ساعات او خمسة لانه زمن على حسب الامكان كاف غالبا للهضم ومن حيث ان اعضاء الهضم فى الاطفال والشبان اقوى منها فى غيرهم وان الاغذية تنفع لنموهم وحفظ صحتهم يلزم ان ياكلوا مرارا فى اليوم فينبغى ان يعطوا بين الاكلتين اطعمة خفيفة كقليل من العيش الجاف او بعض الثمار ومن الناس من لاياكل فى اليوم الا مرة واحدة وهو عمل غير جيد بل مضر للصحة لان المعدة فيه تبقى خالية مدة وتؤثر فى القليل من الطعام الذى يدخل فيها دفعة فيتسبب عن ذلك امراض معوية فان

كانت عادته كذلك ينبغي ان يعود نفسه بالاكل مرتين فى اليوم ولو لم يأكل مرة الا قليل جدا

﴿ الفصل السابع فى سؤال ﴾

وهو هل دوّن اهل الشرائع كتبا فى الاكل ام لا فيابنى اراك متشوش الفكر مما اقول لك ماورد فى الشرائع على ماوعدتك به فى الكلام على الاطعمة وهل ورد فى حقها من الشارع الى العلماء وهل دوّنوا فى ذلك كتبا بمثل مادون علماء الطب فى ذلك ام لا قلت لك الق السمع فيما اقول لك من كلام درّىّ نورانىّ وفى ذلك مقالات (المقالة الاولى فى قوله تعالى (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) وفيه ثلاث مسائل المسألة الاولى قوله وكلوا صيغة امر وظاهرها للوجوب الا ان المراد هاهنا الاباحة والتحليل واحتج اصحاب الشافعى به فى ان التطوع لايلزم وقالوا ظاهر الآية هذه يقتضى اباحة الاكل على الاطلاق فيتناول مابعد الشروع فى الصوم غايته انه خص فى بعض الصور الا ان العام حجة فى غير محل التخصيص (المسألة الثانية) قوله حلالا طيبا يحتمل ان يكون متعلقا بالاكل وان يكون متعلقا بالمأكول فعلى الاول يكون التقدير كلوا حلالا طيبا مما رزقكم الله وعلى التقدير الثانى كلوا من الرزق الذى يكون حلالا طيبا اما على التقدير الاول فانه حجة المعتزلة على ان الرزق لايكون الا حلالا وذلك لان الآية على هذا التقدير دالة على الاذن فى اكل كل مارزق الله تعالى وانما يأذن الله تعالى فى اكل الحلال فيلزم ان يكون كل ماكان رزقا كان حلالا واما على التقدير الثانى فانه حجة اصحاب الشافعى على ان الرزق قد يكون حراما لانه تعالى خصص اذن الاكل بالرزق الذى يكون حلالا طيبا ولولا ان الرزق قد لايكون حلالا لم يكن لهذا التخصيص والتقييد فائدة (المسألة الثالثة) لم يقل تعالى كلوا مارزقكم ولكن قال كلوا مما رزقكم الله وكلمة من للتبعيض فكأنه قال اقتصروا فى الاكل على البعض واصرفوا البقية الى الصدقات

والخيرات لانه ارشاد الى ترك الاسراف كما قال تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) (المقالة الثانية) فى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين) اعلم ان الله تعالى بين لنا الاحكام وذكر جملة منها هنا الاول ما يتعلق بحل المطاعم والمشارب واللذات فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وفيه مسائل (المسألة الاولى) الطيبات اللذيذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب وفى الآية قولان الاول روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وصف يوم القيامة لاصحابه فى بيت عثمان بن مظعون وبالغ واشبع بالكلام فى الانذار والتحذير فعزموا على ان يرفضوا الدنيا ويحرموا على انفسهم المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وان يصوموا النهار ويقوموا الليل وان لايناموا على الفرش ويخصوا انفسهم ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض فاخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اصوم وافطر واقوم وانام وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى وبهذا الكلام ظهر وجه النظم بين من يصومون ويفطرون ويتعبدون وهم فى صناعاتهم ومن يترهبون ويصومون على الزيت فقط وهذا احتراز عن طيبات الدنيا ولذاتها فلما مدح صلى الله تعالى عليه وسلم يوم القيامة اوهم ذلك المدح ترغيب المسلمين فى مثل تلك الطريقة فذكر صلى الله تعالى عليه وسلم عقيب ذلك الترغيب ازالة لذلك الوهم ليظهر للمسلمين انهم ليسوا مأمورين بذلك فان قيل ما الحكمة فى هذا النهى فان من المعلوم ان حب الدنيا مستول على الطباع والقلوب فاذا توسع الانسان فى اللذات والطيبات اشتد ميله اليها وعظمت رغبته فيها وكلما كانت تلك النعم اكثر وادوم كان ذلك الميل اقوى واعظم وكلما ازداد الميل قوة ورغبة ازداد حرصه فى طلب الدنيا واستغراقه فى تحصيلها وذلك يمنعها عن الاستغراق فى معرفة

الله

الله تعالى وفى طاعته ويمنعه ايضا عن طلب سعادات الآخرة واما اذا اعرض عن لذات الدنيا وطيباتها فكلما كان ذلك الاعراض اتم وادوم كان ذلك الميل اضعف * والرغبة عنه اقل و الطف * وحينئذ تتفرغ النفس لطلب معرفة الله تعالى والاستغراق فى خدمته واذا كان الامر كذلك فما الحكمة فى نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن الرهبانية (فالجواب من وجوه الاول) ان الرهبانية المفرطة والاحتراز التام عن الطيبات واللذات مما يوقع الضعف فى الاعضاء الرئيسة التى هى القلب والدماغ واذا وقع الضعف فيهما اختلت الفكرة وتشوش العقل ولا شك ان اكمل السعادات واعظم القربات انما هو معرفة الله تعالى فاذا كانت الرهبانية الشديدة مما توقع الخلل فى ذلك بالطريق الذى بيناه لاجرم وقع النهى عنها (والوجه الثانى) وهو ان حاصل ماذكرتم ان اشتغال النفس بطلب اللذات الحسية يمنعها عن الاستكمال بالسعادات العقلية وهذا مسلم لكن فى حق النفوس الضعيفة اما النفوس المستعلية الكاملة فانها لايكون استعمالها فى الاعمال الحسية مانعالها من الاستكمال بالسعادات العقلية فانا نشاهد النفوس قد تكون ضعيفة بحيث متى اشتغلت بمهم امتنع عليها الاشتغال بمهم آخر وكلما كانت النفس اقوى كانت هذه الحالة اكمل واذا كان كذلك كانت الرهبانية الخالصة دليلا على نوع من الضعف والقصور وانما الكمال فى الوفاء بالجهتين والاستكمال فى الناس (والوجه الثالث) وهو ان من استوفى اللذات الحسية كان غرضه منها الاستعانة بها على استيفاء اللذات العقلية فان رياضته ومجاهدته اتم من رياضة من اعرض عن اللذات الحسية لان صرف حصة النفس الى جانب الاطاعة اشق واشد من الاعراض عن حصة النفس بالكلية فكان الكمال فى هذا اتم (والوجه الرابع) وهو الرهبانية التامة توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل واما ترك الرهبانية مع المواظبة على المعرفة والمحبة والطاعات فانه يفيد عمارة الدنيا والآخرة فكانت هذه الحالة اكمل فهذه جملة الكلام

في هذا الوجه القول الثاني في تفسير هذه الآية ماذكره القفال وهو انه تعالى قال في اول السورة اوفوا بالعقود فبين انه كما لايجوز استحلال المحرم كذلك لايجوز تحريم المحلل وكانت العرب تحرم من الطيبات مالم يحرمه الله تعالى وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقد حكى الله تعالى ذلك في هذه السورة وفي سورة الانعام وكانوا يحللون الميتة والدم وغيرهما فامر الله تعالى ان لايحرموا مااحله الله تعالى ولا يحللوا ماحرمه الله تعالى حتى يدخلوا تحت قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود) المسألة الثانية قوله (لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم) يحتمل وجوها احدها لا تعتقدوا تحريم ما احل الله تعالى لكم وثانيها لا تظهروا باللسان تحريم مااحل الله لكم وثالثها لاتجتنبوا عنها اجتنابا شبيه الاجتناب من المحرمات فهذه الوجوه الثلاثة محمولة على الاعتقاد و القول والعمل ورابعها لاتحرموا على غيركم بالفتوى وخامسها لاتلتزموا تحريمها بنذر او يمين و نظير هذه الآية قوله تعالى ياايها النبي لم تحرم مااحل الله لك وسادسها ان يخلط المغصوب بالمملوك خلطا لايمكنه التمييز وحينئذ يحرم الكل فذلك الخلط سبب لتحريم ماكان حلالا له وكذلك القول فيما اذا خلط النجس بالطاهر والآية محتملة لكل هذه الوجوه ولا يبعد حملها على الكل والله تعالى اعلم المسألة الثالثة قوله تعالى ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين فيه وجوه الوجه الاول انه تعالى جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها الثاني انه لما اباح الطيبات حرم الاسراف فيها بقوله سبحانه ولا تعتدوا ونظيره قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا الثالث لما احل لكم الطيبات فاكتفوا بهذه المحللات ولا تتعدوها الى ما حرم عليكم (المقالة الثالثة) في قوله تعالى (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) الهنيء والمريء صفتان من هنئ الطعام ومرء اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء مايستلذه الآكل والمريء ماتحمد عاقبته وقيل ماينساغ في مجراه

وقيل

وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة والمرئ لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وقوله هنيئاً مريئاً وصف للمصدر اى اكلا هنيئاً مريئاً او حال من الضمير اى كلوه هنيئاً مريئاً وهنا مسائل فى الاكل الهنيئ المسألة الاولى اعلم يابنى ان مقصد ذوى الالباب لقاء الله تعالى فى دار الثواب ولا طريق الى الوصول للقاء الله تعالى الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفوا سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين * وعليه نبه رب العالمين * بقوله وهو اصدق القائلين * كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن تقدم على الاكل يستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغى ان يترك نفسه مهملا سدى يسترسل فى الاكل استرسال البهائم فى المرعى فانما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغى ان تظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين آدابه وسننه التى يزم العبد بزمامها * ويلجم المتقى بلجامها * حتى يزن بميزان الشرع شهوة الطعام فى اقدامها واحجامها * فيصير بسببها مدفعة للوزر * ومجلبة للاجر * وان كان فيها اوفى حظ للنفس قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الرجل ليؤجر حتى فى اللقمة يرفعها الى فيه والى فى امرأته وانما ذلك اذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه آدابه ووظائفه وها نحن نرشدك الى وظائف الدين فى الاكل فرائضها وسننها وآدابها ومراتبها وهناتها فنقول الاول ان يكون الطعام بعد كونه حلالا فى نفسه طيبا فى جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بكسب ولا بسبب مكروه فى الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة فى الدين وقد امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال والموافق للبنية وقدم النهى عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لاتاكلوا اموالكم بينكم بالباطل) الى قوله ولاتقتلوا انفسكم الآية فالاصل فى الطعام كونه طيبا موافقا وهو من الفرائض

واصول الدين الثاني غسل اليدين قال صلى الله تعالى عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لاتخلو عن لوث في تعاطي الاعمال او وقوع اجسام دقيقة من المنتشرة في الهواء فغسلها اقرب الى النظافة والصحة للبدن والنزاهة والهناأة ولان الاكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه مايجري من مجرى الطهارة من الصلوة الثالث وضع السفرة اعلم يا بني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوضع له الطعام على السفرة الموضوعة على الارض ولا يشكل ذلك رفعه على المائدة لكون ذلك اقرب الى التواضع فان لم يكن سفرة فعلى الارض ولكون السفرة تذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة ومصاحبته الى زاد التقوى وقال انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ماأكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل فعلى ماذا كنتم تاكلون قال على السفرة قيل اربع حدثت بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم يا بني انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة او تحريم ان لم يثبت فيه نهي وما يقال انه ابدع بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انها موجودة قبل فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب وليس في المائدة الارفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لاكراهة فيه والاربع التي جمعت في انها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان اتم في التنظيف لاسيما ان اضيف الى حريقه ماء الكلس والزيت فالناتج اسرع في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لايعتاد عندهم اولا يتيسر او كانوا مشغولين بامورهم من المبالغة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد ايضا

وكانت

وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لايمنع كون الغسل مستحبا واما المنخل فالمقصود منه تهذيب الطعام وذلك مباح مالم يؤد الى التنعم المفرط الاخذ فى طريق الفخر واما المائدة فتيسير للاكل وهو ايضا مباح مالم يؤد الى الكبر والتعاظم واما الشبع فهو اشد هذه الاربعة فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء للبدن فليدرك التفرقة بين هذه المبدعات الرابع الجلوس على السفرة اعلم يا بنى انه يجلس على السفرة الجلسة فى اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لاآكل متكئا انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس ذلك العبد والشرب متكئا مكروه خوفا من غلط اعضاء الازدراد ويكره الاكل نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب روى عن على كرم الله وجهه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال وهو منبطح على بطنه والعرب قد تفعله الخامس نية الاكل نية الاكل ان ينوى باكله ان يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالاكل الشرع ولا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل الا ليشكر نعم الله تعالى قال ابراهيم بن شيبان منذ ثمانين سنة ما اكلت شيأ لشهوتى ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل ان يستعين على العبادة لم تصدق نيته الا باكل مادون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولايقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله تعالى عليه وسلم ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لايمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع مما لابد من تقديمه على الاكل ثم ينبغى ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب السادس الرضى بمايوجد من الاطعمة الرضى بمايوجد من الاطعمة ان يرضى بالموجود من

الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد فى التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكلما يديم الرمق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لاينبغى ان يستحقر بل ينتظر بالخبز الصلوة وان حضر وقتها اذا كان فى الوقت متسع قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء وكان ابن عمر رضى الله عنهما ربما سمع قراءة الامام ولا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس لاتتوق الى الطعام ولم يكن فى تأخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلوة فاما اذا حضر الطعام واقيمت الصلوة وكان فى التأخير مايبرد الطعام او يشوش امره فتقديمه احسن عند اتساع الوقت تاقت النفس اولم تتق لعموم الخبر ولان القلب لايخلو عن الالتفات الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا وان يجتهد فى تكثير الايدى على الطعام ولو من اهله وولده قال صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس بن مالك رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاياكل وحده وقال صلى الله تعالى عليه وسلم خير الطعام ما كثرت عليه الايدى المسألة الثانية فى حالة الاكل وآدابه اعلم يا بنى ان من آداب الاكل ان تبدأ بسم الله وتاكل بيدك اليمين وتبدء بالملح وتصغر اللقمة وتجود مضغها لكى تحبل بالعاب ايتم طحنها لتصلح لمرورها فى الحلقوم ومالم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة فى الاكل ولم يتم هضمها المضغى ويتعسر الهضم الباطنى وان لايذم مأكولا كان صلى الله تعالى عليه وسلم لايعيب ماكولا كان اذا اعجبه اكله والا تركه وان تاكل مما يليك الا الفاكهة فان لك ان تجيل يدك فيها قال صلى الله تعالى عليه وسلم كل مما يليك ثم كان صلى الله تعالى عليه وسلم يدور على الفاكهة فقيل له فى ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا وان لاتاكل من دوائر القصعة ولا وسط الطعام بل كل من دائرة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين ولا يقطع اللحم ايضا فقد نهى عنه لعله حوصلة الخبز واللحم خوفا من

تبادل المائدة الداخلة عليها وقال انهشوه نهشا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يؤكل به قال صلى الله تعالى عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله تعالى انزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدرى فى اى طعامه البركة ولا ينفخ فى الطعام الحار فانه منهى عنه لخوف العلل بل يصبر الى ان يسهل اكله وان لا يكثر الشرب فى اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او كان ظمآنا فقد قيل ان ذلك مستحب مسألة فى آداب الشرب واما آداب الشرب فهى ان تأخذ الكوز بيمينك وتقول بسم الله وتشربه مصا لا عبا فان المص له فائدتان الاولى ان اوعية الازدراد تنغصب اغتصابا لانفا لمرور السوائل الثانية انه يسرع سريانه قبل مكثه فى محل مقره قال صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب ولا تشرب الماء قائما ولا مضطجعا فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما وذلك خوفا من السائل ونزوله عبا الى المعدة يضرها او يخل باوعية المرور او باوعية مرور الهواء ويراعى اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر فى الكوز قبل الشرب ولا يتجشى ولا يتنفس فى الكوز بل فى فترة الشرب ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وبالمحافظة على هذا كله مما تجعله قانونا صحيا المسألة الثالثة ومن الاكل الهنى ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسح بالمنديل ثم يغسلها واذا اراد الاقتصار على الغسل كان افضل ويلتقط ما تناثر من الطعام قال صلى الله تعالى عليه وسلم من اكل ما يسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده ان لم يكن على المائدة من به داء ويتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجمع من اصول اسنانه بلسانه اما المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال فقد ورد فيه اثر عن اهل بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم وان

يلعق القصعة و يشرب ماءها و يقال من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة الا ان تكون من فضل اشخاص مصابين ومن بعد الفراغ من الاكل ان يشكر الله تعالى فى قلبه و يحمده بلسانه على ماطعمه قال الله تعالى (كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا نعمة الله) ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لاتجعله قوتا لنا على معصيتك و يقرأ بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع اولا فان كان طعام الغير فليدعوا له وليقل اللهم اكثر خيره و بارك له فيما رزقته و يسر له المسألة الرابعة ومن الاكل الهنئ الآداب على المائدة وفيه امور الاول ان لايبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن اوزيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغى ان يطول عليهم الانتظار اذا اشاروا للاكل واجتمعوا له الثانى ان لايسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين و يبعدون عن الاشياء المكدرة فى الاطعمة وغيرها ولا يشرب والطعام فى فيه ولا يتقهقه على المائدة والطعام ايضا فى فيه فان بهما خوفا على الصحة الثالث ان يرفق برفيقه فى القصعة فلا يقصد ان ياكل زيادة على ماياكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا رضاء رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغى ان يقصد الايثار ولا ياكل زيادة عن عادته فان قلل رفيقه نشطه ورغبه فى الاكل وقال له كل ولا يزيد فى قوله كل على ثلاث مرات فان ذلك الحاح وافراط فقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكرر الكلام ثلاثا فليس من الادب الزيادة فالحلف عليه بالاكل ممنوع وقال الحسن ابن على رضى الله تعالى عنهما الطعام اهون من ان يحلف عليه الرابع ان لايحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادباء حسن الادب من لايحوج صاحبه الى ان يتفقده فى الاكل وحمل عن اخيه مؤنة

القول ولا ينبغي ان يدع شيأ مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجرى على المعتاد ولا ينقص من عادته شيأ فى الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الأدب فى الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قال من اكله ايثارا لاخوانه ونظر لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد فى الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فى الاكل فلا باس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وذلك لرفع الحياء وزيادة النشاط فى الانبساط وقال جعفر ابن محمد رضى الله عنهما احب اخوانى الى اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم على من يحوجنى الى تعهده فى الاكل وكل هذا اشارة الى الجرى على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله تعالى تبين جودة محبة الرجل لاخيه بجودة اكله فى منزله الخامس ان غسل اليد فى الطست لاباس به وله ان يتنخم فيه ان اكل وحده وان اكل مع غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك فاذا قدم الطست اليه غيره اكراما له فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت البنانى رضى الله تعالى عنهما على طعام فقدم انس الطست اليه فامتنع ثابت فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما تكرم الله عز وجل عليك وروى ان هارون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير فصب الرشيد على يديه فى الطست فلما فرغ قال يا ابا معاوية تدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا باس ان يجتمعوا على غسل اليد فى الطست فى حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد من طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء فى الطست قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اجمعوا وضوءكم يجمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى الى الامصار لا يرفع الطست من بين يدى القوم الا مملوأ وله فائدتان الاولى

يجتمع الادهان على وجه الماء فن الكثرة يجمع ويخلص الماء ففيه منفعة والثانية اقرب الى التواضع ولم يكونوا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود رضى الله عنه اجتمعوا على غسل اليد فى الطست الواحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذى يصب الماء على اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى انه صب على يد واحد خادم جالسا فقام المصبوب عليه فقيل له لم قمت فقال احدنا لابد وان يكون قائما وهذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذى يصب واذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففى الطست اذن سبعة آداب ان لايبزق فيه وان يقدم بالمتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنة ويسرة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما ان يمج الماء من فيه ويرسله برفق حتى لايرش على الفراش وعلى اصحابه ويصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك والشافعى رضى الله عنهما فى اول نزوله عليه وقال لايروعك منى فخدمة الضيف فرض السادس ان لاينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف فى الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا فى الطعام اكل معهم اخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضى الله عنهم فان امتنع لسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم السابع ان لايفعل مايستقذره غيره فلا ينفض يده فى القصعة ولا يقدم راسه اليها عند وضع اللقمة فى فيه واذا اخرج من فيه شيأ صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة فى الخل ولا الخل فى الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التى قطعها بسنه لايغمس بقيتها فى الاطعمة ولا يتكلم بما يذكر من المستقذرات المسألة الخامسة ومن

الاكل

الاكل المهنى تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين تقديم الطعام الى الاخوان فيه فضل كثير قال جعفر بن محمد رضى الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لاتحسب عليكم من اعماركم قال الحسن رضى الله عنه كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها البتة الا نفقة الرجل على اخوانه فى الطعام فان الله تعالى يستحى ان يسأله عن ذلك هذا ماورد من الاخبار فى الاطعام قال صلى الله تعالى عليه وسلم لاتزال الملائكة تصلى على احدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروى عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لايقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك فانا احب ان استكثر مما اقدمه اليكم لنا كل فضل ذلك وفى الخبر لايحاسب العبد على ما ياكله مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقال اذا اكل وحده وفى الخبر ثلاثة لايحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل مع الاخوان وقال على كرم الله وجهه لان اجمع اخوانى على صاع من طعام احب الى من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول من كرم المرء طيب زاده فى سفره وبذله لاصحابه وكانت الصحابة رضى الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الانس والالفة ليس هو من الدنيا وفى الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة ياابن آدم جعت فلم تطعمنى فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول جاع اخوك المحتاج فلم تطعمه ولو اطعمته اطعمتنى وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاءكم الزائر فاكرموه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم خيركم من اطعم الطعام المسألة السادسة ومن الاكل المهنى آدابه فى الدخول والتقديم اعلم يا بنى اما آداب الطعام فبعضها فى الدخول وبعضها فى تقديم الطعام اما الدخول فليس

من السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الاكل فان ذلك من المفاجأ وقد نهى عنه قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه) يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق ان صادفهم على طعـام ان لاياكل مالم يؤذن له فاذا قيـل له كل نظر فان علم انهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد وان كانوا يقولونه حيأ منه فلا ينبغي ان ياكل بل ينبغي ان يتعلل اما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت اكله فلا باس به وكان عون ابن عبدالله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولآخر ثلاثون صديقا يدور عليهم في الشهر ولآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة مكان اخوانهم يعلمون ان حالهم هذه بدل عن كسبهم وكان قيام اولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه فله ان ياكل بغير اذنه اذ المراد من الاذن الرضا لاسيما في الاطعمة وامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن واكل طعامه محبوب وقال تعالى او صديقكم ودخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دار بريرة واكل طعامها وهي غائبة وذلك لعلمه بسرورها ولذلك يجوز ان يدخـل الدار بغير اسـتئذان اكتفاء بعلمه بالاذن فان لم يعلم فلا بد من الاسـتئذان اولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسـن فياكلون ما يجدون بغير اذن وكان الحسـن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه انه كان قائما ياكل من متاع بقال في السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فقال له هشام ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع تاكل متاع الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل على آية الاكل فتلى الى قوله تعالى او صديقكم فقال

فمن الصديق يا ابا سعيد قال من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب

مشى قوم الى منزل سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثورى وجعل يقول ذكرتمونى اخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه فى المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه الى اصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيأ فقيل له قد اخذه فلان فقال قد احسن فلما لقيه قال يا اخى ان عادوا فعد **المسالة السابعة** ومن الاكل الهنئ ترتيب الطعام اعلم يا بنى ان من ترتيب الطعام تقديم الفاكهة اولاً ان كانت حاضرة فذلك اوفق فانه اسرع استحالة وفى القرآن العظيم تنبيه على تقديم الفاكهة اولا فى قوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون) ثم قال (ولحم طير مما يشتهون) ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم او الثريد وهذا الغذاء هو الاكثر مكثا فى المعدة ويظهر الحرارة ويعطى جميع الاعضاء اعظم ما يكون من القوة فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى (هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه) الى آخر الآيات اذ حضر العجل الحنيذ اى المحنوذ اى المشوى وهو الذى احيد نضجه وهو احد معنى الاكرام اعنى تقديم اللحم وقال تعالى فى وصف الطيبات (وانزلنا عليكم المن والسلوى) المن انواع العسل والسلوى اللحم سمى سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه لانه اقرب تغذية ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم سيد الادام اللحم واذا عدم اللحم فالحليب او البيض يقوم مقامه فاللبن سهل الهضم جدا فى الغالب وقوت اعتيادى للاطفال لانه اقرب تغذية وهو كلما كان جيدا كان اكثر تغذية والبيض كلما كان طبخه برشتا كان جيد الهضم واختيار صنع اللحوم فان المشوى والمسلوق منها مفضل على غيره من الانواع وقال بعضهم اذا كان خبزك جيدا وماؤك

باردا وخلا حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان وفى الخبر ان المائدة التى انزلت على بنى اسرائيل كان عليها من كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا اجتمع على المائدة حسن للموافقة وكان بعضهم يقدم من الالوان الطفها حتى يستوفى منها ما يريد ولا يكثر الاكل بعده وكان من سنة المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصفون القصاع من الطعام على المائدة لياكل كل واحد مما يشتهى وان لم يكن عنده الا لون واحد والى هنا نقتصر عن باقى اقوالهم بحيث بينا لك طرقا مما قالوه ودونه اهل الشرع وما ورد لهم ولنرجع لما نحن بصدده فنقول

﴿ الفصل السابع ﴾

فى ان الانسان يملك التصرف بالاعضاء الظاهرة دون الباطنة وفى كيفية مشابهة المعدة لفرن الخبز وفيه اقوال اعلم يا بنى انه يتأتى لك التصرف فى استعمال يديك ورجليك وعينيك وباقى اعضائك الظاهرة على حسب اختيارك وارادتك ظاهرا فلك مثلا ان تحرك احدى رجليك دون الاخرى وهذا فى اعضائك الظاهرة كلها بخلاف الباطنة فليس لك على استعمالها بارادتك سبيل لان جميع الافعال والحركات الباطنة كلها جارية بواسطة آلاتها الباطنة بدون اختيار ولا ارادة الانسان حتى انك لو اردت توقيف حركة المرئ لاستحال ذلك عليك ومن هنا تعلم ان غيرك هو المتصرف فى باطنك والمتسلط عليه دونك وهذا الباطن هو عبارة عن مملكة شاسعة الاقطار متباعدة الحدود والاطراف وانت وان كنت سلطانها الا ان امرك لا ينفذ الا فى حدودها والدم فى المملكة الباطنية هو الذى امره نافذ فى المطبخ العام الذى تنتفع به لكن لغير ارادتك والمعدة هى الرئيسة فى هذه المملكة الباطنية وهى التى تتصرف بارادتها فى افرانها وليست هذه المعدة كبيرة بل صغيرة ونحيفة ويصدق عليها من حيث كونها

سيدة وخادمة ومن وظائفها انها تستلم جميع مايصل اليها وترده كما تستلمه بلا نقص لان جميع ماتستوليه لنفسها لايكاد يكون محسوسا وليست الافران التي ذكرتها لك آنفا مجازية بل هي حقيقة فان قيل من اين ترد اليها النار فيقال ان الدم لما كان هو الوكيل عن صاحب المخزن كان هو الذي تطلب منه النار وان قيل من اين لها الحطب فيقال ليس المراد بالحطب هنا مايستعمل في الحريق بالبيوت والمنازل بل المراد به الحرارة التي تنشأ عنه حيث ان الغرض من استعمال الحطب في الحريق هو الحرارة ولايخفى ان المعدة تطلبها من الدم متى كانت محتاجة اليها لانه ينسكب حولها من جميع جهات الجسم فيحدث بها من الحرارة مايكفي التنضيج لما بها من المواد واذا نرى الانسان يحس ببرودة خفيفة في الظهر متى ملأ المعدة دفعة واحدة امتلاء زائدا اذ يتحصل من ذلك حرارة الجسم ومن هنا يعلم لك الخطر الذي يصير المحموم عرضة له في اثناء اشتغال المعدة بالعمل لان برودة الماء تطرد الدم المجتمع حولها من حيث كونها عبارة عن قدر يحصل منه في داخل البدن هيجان شديد ينشأ عنه في كثير من الاحوال الهلاك المفرط في القيام بما يجب عليه لبدنه من الواجبات والحقوق ولنقتصر الى هنا على ماذكر من مسئلة حرارة الدم ونضرب صفحا عن بيان وروده اله اعتمادا على كونه يتأتى ايضاحها فيما بعد ونكتفي بمعرفة كونه يوقد النار بالثابة التي توقدها به ويتحصل على الحرارة ويبعث بها الى المعدة وهي الرئيسة المذكورة آنفا فتصلح بها المادة على نسق مايفعل الطباخ بمعنى انه يقلبها ويحرك القدر من ورقة الى آخرى لاجل حصول المزج نهاية الاتقان والمعدة هي التي تقوم باداء مثل هذه الاعمال بواسطة انقباضها وانبساطها على التعاقب فلا تزال تطرد المادة من جهة الى اخرى حتى تصير عجينة ويتم مزجها على وفق المرام وفي اثناء العمل يضاف الى هذه المادة ما يلزم لها من المائع مع ما يحتاج اليه من الملح المصلح للمادة كما هو الجاري في الاطعمة التي نتناولها وهذا المائع ينصب من فوهات كثيرة موجودة

فى جدران المعدة المذكورة وبه ممزوج شبيه بالملح او بخلاصته التى هى اقوى منه تأثيرا وهذا الممزوج هو الذى يجعل فى المائع صلاحية انحلال جميع المواد الغذائية الواردة اليها ولما كان جميع المواد المجردة عن الملح غير لذيذة الطعم اقتضت الحكمة الالهية الهام النوع البشرى استعماله فى الاطعمة وتوصيله الى المعدة لينصلح به فيهما مالا بد منه لدوام صلاح الجثة وهذا الامر غير خاف فى جميع الازمان على احد من الناس وهو معلوم من مبدء ظهور الجسمية التأنيسية وليست الحيوانات مخالفة لنا فى ذلك بل انها تحب الملح وتضعه فى غزائها مما يترتب عليه صلاح اجسامها وزيادة قواها وقد امتحن بعض علماء هذا الفن المائع المذكور آنفا فوجد به مادة اخرى غير الملح وهى عصارة معدية تسميها العامة بالنفحة فاذا دخلت على الحليب جبنته وتبين لهم انها اقوى منه تأثيرا لوجودها فى اللبن ويستحب تناول الجبن فى آخر الطعام لاشتماله عليها وعلى الملح معا والمراد بالطبخ هنا هو الهضم الذى متى تمت عمليته آل جميع ما يؤكل من لحم وخضروات وفواكه ونحوها الى عجينة واحدة وحيث انه يؤخذ مما سلف ان المعدة تكون بعد الاكل مشغولة بعملها فلا ينبغى مضايقتها وجبرها على تحمل ماليس فى طاقتها بل يلزم اعطاؤها فى اثناء تناول الطعام ماتقبله بلا زيادة ولا نقص لانها رقيقة لطيفة يثقل عليها اى شئ خفيف تطلبه بدون احتياج اليه وذلك لاحترازها على حفظ الجسم وصيانته فى جميع احواله وحرصها على بقائه وسلامته وزعم بعض الناس ان المعدة تصرف من جدرانها جزأ فى صلاح المواد الغذائية وبناء على ذلك يجب على المصابين بداء النهامة والدنائة ان يحترزوا على انفسهم اشره المؤدى بهم الى كثرة الاكل التى تسوقهم الى التخمة المهلكة (القول الاول) فى صفة المعدة اعلم يا بنى ان المعدة عبارة عن كيس كمثرى الشكل موضوع فى البطن اسفل عضلة رقيقة تسمى الحجاب الحاجز يأتى الكلام عليها وللمعدة من اسفل تحدب كبير يسمى بالقوس العظيم ومن اعلى تقعير صغير يسمى بالقوس

الصغير و يشاهد على سطحها الباطن عدة غدد صغيرة تسمى بالاجربة المعدية تفرز سائلا مخصوصا يسمى بالعصارة المعدية ولا يتأتى الوقوف على حقيقة مقدار سعتها لانها لما كانت منقبضة كانت تتمدد بقدر مايدخل فيها من الاغذية فهى بهذه المثابة عبارة عن كيس الدخان المرن الذى يكون فى مبدأ امره كالبيضة ثم يأخذ فى التمدد حتى يصير كالرأس عند انتفاخه بقوة ومتى خرج منه الهواء ينقبض و يؤول الى حالته الاولى واذا مكث الانسان بلا اكل مدة من الزمان اعتراه المغص لان معدته تكون حينئذ خالية من الاغذية وهذا الخلو هو الذى ينشأ عنه انقباضها بحيث تصير صغيرة و يتأثر بسببه جميع مايحيط بها كما قلنا آنفا من الاعضاء المجاورة لها (القول الثانى) انه فيما يتعلق بالمعدة وفى تناول الغذاء اعلم يا بنى يجب التنبيه لكل انسان بناء على ذلك ان لايهمل الاكل فى وقته وهذا التنبيه يجب ان لايتأخر عن العمل بمقتضاه كل موسر من الناس بخلاف المعسر منهم فانه لما كان لايتيسر له فى كل وقت الحصول على مايسد رمقه به كان يدركه الموت متى تجاوز معه الجوع كما قلنا ولقد شوهد فى كثير من الفقراء الذين هلكوا من الجوع ان معدتهم آخذة فى الضمور حتى صارت كالاصبع او مايقرب منها بخلاف المكثرين من الاكل فى اغلب اوقات النهار فقد رؤى فيهم انها تمددت حتى صار حجمها قريبا من نصف حجم البطن ومن هنا يعلم ان حجم المعدة لايكون محدودا وانما بحسب مايدخل فيها من المادة الغذائية ينقبض و يتمدد وحينئذ فهى شبيهة بمن يرتفع و ينخفض من الناس فى الجاه والقدر بمناسبة اقبال الدنيا عليهم و ادبارها عنهم والفرق بين هؤلاء و بين المعدة فى الارتفاع و الانحطاط هو انهم لجهلهم و بلههم لايهتدون الى طريق الحق بخلافها فانها وان كانت غير عاقلة لا تضل عن الطريق الذى سلكته ولا تحول عنه الى غيره مع قيامها باداء الواجبات المفروضة عليها لكننا نبتهج غاية الابتهاج بتغير شكلها لما فى ذلك من موافقة شهواتنا على اختلاف انواعها و ليست كيفية

تقريبهما اقل غرابة من سواها فانها فى اثناء الهضم تكون مسدودة سدا
محكما من الطرفين بحيث تكون من اعلاها مغلقة بآخر حلقة من المرئ
ومن اسفلها بحلقة اخرى تكون اقوى من المتقدمة لانها بمنزلة الحارس
للامعاء ويطلق على كل واحدة من هاتين الحلقتين اسم البواب بمعنى ان
العليا تعرف بالبواب الاعلى وهو بواب الدخول الذى تسميه الاطباء بالفؤاد
والسفلى بالبواب الاسفل وهو بواب الخروج الذى لايفتح مطلقا الا اذا تم
الهضم من الذى فى المعدة ولا يزال مغلقا على الدوام ولبواب الدخول
ذوق مختلف حتى انه يسلم على الداخل وينفتح بلحم الخاروف كما يبتهج
بفخذ الدجاجة وجناح الحمامة ويبتسم للخوخة كما يبتسم للمشمشة والعنبة
ويسجد لكل مايصل اليه من كباب ولحوم ناشفة وغير ذلك من المواد سواء
كانت ناشفة او طرية او حامضة او مالحة او حلوة او مطبوخة بالسمن او
بالزيت ولا يتأخر عن قبول كل شئ يدفع اليه بخلاف اخيه البواب الآخر
فانه نفور غير مطيع لايقبل رجاء احد ولا يصغى الى نصيحة ولا يسمع وصية
وليس له غير حبيب واحد لايعرف طول عمره سواه وهذا الحبيب عجينة سنجابية
لايابسة ولا مائعة وهى كريهة الرائحة لايقبل طعمها غيره وهذه العجينة
هى المعروفة عند ارباب الفن بالكيموس وهى نتيجة المخلوط المتكون من جميع
المواد الغذائية الخفيفة اللذيذة الطعم او المغلظة وعلى هذا لايكون هناك
ادنى فرق بين الكيموس المتكون من غذاء الامرآء والسلاطين وبين
الكيموس المتكون من غذاء الفقرآء والمعسرين وهذه الحالة الثالثة هى
التى يستوى فيها الناس كحالتى الولادة والموت وهنا نعلمك كيفية التكيمس
وهيئة المعدة عند الامتلاء ففى الامتلاء يزول انكماش الغشاء المخاطى
لكن تمدد المعدة انما يكون بالاكثر فى جسمها اى طرفها الايسر وثنيات الغشاء
المخاطى فى هذا المحل تكون اكثر عددا ومع ذلك فلا تزال المعدة حافظة
لشكلها المخروطى غاية مافيه ان طرفها العلوى يكون اكثر بروزا فى المراق
الايسر وتقوسها العظيم ينزل نحو السرة وكلها تنزل الى اسفل نحو البطن

الاالبواب فلا يتغير محله لكونه مثبتا بثنية من البريتون والضغط الحاصل من هذا العضواى المعدة يتسبب عنه سيلان الصفراء المنحصرة فى الحوصلة المرارية والبول المنحصر فى المثانة ويدفع الحجاب الحاجز الى اعلى فيصير التنفس مشرفا سريعا ومتى تجمعت الاطعمة فى المعدة زال الضعف العام وقويت قوة العقل ومن هنا يعلم ان فائدة المعدة ليست قاصرة على احالة الاطعمة فقط بل لها نفع فى جميع الاعضاء بواسطة تأثيرها الاشتراكى (القول الثالث) فى استحالة هذه المواد الى كيموس واعلم يا بنى ان استحالة المواد المذكورة الى كيموس يختلف بحسب اختلافها فبعضها يستحيل اليه بسرعة ويبادر بالدخول فى البواب وبعضها لايستحيل اليه الا بعد زمن فيتأخر عن الدخول الى ان يتم هضمه ثم يلحق بما يكون سابقا عليه فى ذلك ومن هنا يتبين لك الخطر الذى يترتب على ادخال مواد فى المعدة يعسر هضمها ولا يتأتى استحالتها الى كيموس وهذه المواد هى كنواة المشمش والكرز ونحوهما مما يبقى فى المعدة حيث انه لايمكن اخراجه منها لانه يعقب بقاءها بها مغص وآلام ينشأ عنها اضمحلال الجسم وسقمه فلو ادخل فيها بالتريجى بعد مدة طويلة من الزمن اشياء من الممنوع دخولها فيها ولم ينظرها كالاشياء التى تدخل خفية بلا مكث لحصل مرض شديد يستمر مدة اعوام حتى انه ربما ساق الموت الى المهمل المفرط بعد ان يكابد مشاق عظيمة واهوالا جسيمة من الاوجاع الشديدة فضلا عن صرف كثير من الدراهم وذلك كله ناشئ عن بعض اهمال يسير ادنى الالتفات يكفى فى ازالته فانظر كيف يكون الانسان بتهاونه واهماله صار عرضة للاخطار ويؤيد ذلك ماسمعته من بعض الاخوان حيث قال لى انه لم ينس طول عمره ما تلقنه من معلمه وهو صغير فى اثناء دروسه الطبية التى كان يأخذها عنه وهو ان امرأة ابتلعت سهوا منها نواة خوخة اى دراقنة فاعتلت ومرضت مدة حولين كاملين اشرفت على الهلاك فى خلالهما حتى ان الاطباء مع اعتنائهم بمعالجتها واهتمامهم باسعافها على الدوام تحيروا فى امرها وانتهى بهم

اعمال اهتمامهم وقوة عزمهم على تشخيص مرضها الى كونهم يئسوا منها وبينما هم مرتقبون موتها بعد مضى هذين العامين خلصت امها لراحة اتاحة وتوجه اليها الشفاء على الفور دفعة واحدة ولما راوا ذلك اهتموا بالبحث عن حقيقة التشخيص فتبين انهم بعد العناء وتعب الفكر الشديد سألت المريضة عما سبب راحتها فاخبرتهم انه نزل منها نواة خوخة فترتب عندهم على ان النواة المذكورة التى كانت تقرب من البواب عقب كل هضم وتحاول الدخول منه فلا تجد اليه سبيلا فترجع على عقبها منكسة الرأس ولا زالت هكذا حتى دخلت منه خفية بطريق التحيل وربما كان طول المدة هو الذى اوقع بينها وبين البواب المذكور الالفة والمودة الى الرأفة بها بحيث انفرج لها ودخلت منه فلما سمعت المصابة ما حط راى الاطباء عليه اخرجت لهم النواة فلما شاهدوها وجدوا غضونها مرتفعة وانخفاضاتها محدبة فلا تغفل يا بنى عن حفظ هذا المثال وعليك بمقتضاه وهو ان لا تاكل الخوخ ولا ماثله بنواه بل تنزعه قبل الاكل ولا تكتف بذلك بل تنصح ذلك لكل من تراه وان لا ياكل شيأ من ذلك حتى يكون آمنا على صحته مما ينشأ عنه اضمحلالها وتلفها ويتنبه لما فيه فانه من الامراض التى ربما اوردته موارد الهلاك ومن هنا تعلم ان استحالة المادة الغذائية الى كيموس وحيث انك علمت مما سلف ان البواب قسوة عظيمة وعدم قبول التوجه ممن يرغب فى الدخول من بابه قبل الاستعداد للمثول بين يديه بخلاف المستعد لذلك فانه متى حضر امامه ودنا من اعتابه فانه يفتح له ويدخل ولا يفتح الى صديقه وبمجرد دخوله الى الداخل تجد من ورائه مجرى طويلا اسطوانى الشكل يعرف بالامعاء وبالمصران الذى قدروا ان طوله يساوى سبعة امثال قامة الانسان ولذا يكون ملتفا على نفسه بهيئة بقجة تملأ البطن وهو على قسمين دقيق وغليظ فالاول هو الطويل واليه ينسب معظم حجم البقجة المذكورة والثانى هو عبارة عن مصران غليظ قصير وهو وان كان كما يظهر منعزلا عن الاول الا انه متصل به ويبتدئ من اسفل

ابه ن نحو الخاصرة اليمنى ثم يأخذ في الصعود ثم الاستقامة الى اسفل الكبد ويمر من تحتها بعد ان يتقوس ثم ينخفض بالجهة اليسرى الى ان ينتهى باسفل الجذع وهنالك يدخل الكيموس في المعاء الدقيق فيستولى عليه بحركته الديدانية ويشحنه وينبغي لك بان تعرف انه يوجد خصوصا في مبدأ المصران من مسافة الى اخرى حواجز مرنة يجتمع الكيموس امام الاول منها وتتكون منه كتلة فيها كفاية لدفعه ثم يأخذ في السير الى ان يصل الى حاجز آخر ويتحوى ويدفعه ويدخل منه ولا يزال هذا دأبه الى ان تتم اهم العمليات التي يمكن عملها بعد الماء وطول بقاء وهذه العمليات هي انفصال ما يصلح من الكيموس لغذاء البدن وقوام الحياة وطرد ما لا يصلح منه خارج الجسم (الفصل الرابع) في بيان اختلاف مواد الغذاء على الاعمال الباطنية ولا يخفى عليك يا بني ان مواد الغذاء ليست واحدة بل مختلفة عن بعضها اختلافا بينا حتى ان الصالح للتغذية من اللحوم لا يكون قدر الصالح من الخبز مثلا وتتم عملية الانفصال والاستحالة في الجزء الابتدائي من المعاء المعروف بالاثنى عشرى من حيث ان طوله عبارة عن مقدار الاصبع اثنى عشرة مرة تقريبا وذلك كما يفعل العاملون في الذهب عند استخراجه من الحجر المختلط فانهم يكسرونه ولا يزالون يباشرون العمل فيه حتى يستحيل الى تراب ثم يغسلونه الى ان يفصلوا منه قطع الذهب ويطرحوا التراب بعيدا ومثل ذلك يحصل في الاثنى عشرى فان عملية الانفصال المذكورة تتم فيه ولذا نرى انه متمتع بخاصية التمدد التي يكون فيه بسببها قابلا لقبول ما يرد عليه من المعدة ويطلق عليه بهذه المثابة اسم المعدة الثانية وما ذلك الا لكون المواد الغذائية ترد اليه فتمكث به مدة كما تمكث في المعدة وفي هذه المدة تتم عملية الانفصال او الاستحالة التي لولاها لكان جميع ما نأكله لم يكن فاذا اردت ان تعرف كيفية عملية الانفصال او الاستحالة المذكور فاقول ان الكيموس ينصب عليه في اثناء وجوده في الاثنى عشرى مائعان احدهما لا يتلف في

التركيب من اللعاب الفمى وهو وارد اليه بواسطة مجرى صغير متصل به
وبشئ آخر شبيه بالاسفنجة موجود خلف المعدة ومستور بها فى اعلى الاثنى
عشرى ويطلق عليه اسم بانقرياس وهذه كلمة رومية معناها مجمع اللحم
وثانيهما هو الصفراء التى ترد من الكبد وتنصب فى الاثنى عشرى من
فوهة قريبة من الفوهة التى ينصب منها اللعاب الوارد من البانقرياس
ومتى اختلط المائعان المذكوران مع الكيموس حصل التحليل بكيفية لم
نصل الى معرفتها ولم نقف الى الآن على حقيقتها وليس هذا السر الالهى
هو الذى بقى وحده غامضا علينا بل هناك اسرار اخرى متعددة فى
داخل الجسم الانسانى وفى خارجه لم تزل غامضة ايضا علينا وغير واضحة
لنا حيث ان الكبد الذى هو معمل الصفراء هو والصفراء من اهم الاشياء
التى معرفتها ضرورية فى عملية تحليل الكيموس وان العمل لايتم بدونها
كان من الواجب علينا ذكرهما لانه لايليق بنا ان نضرب صفحا عن ايراد
مافيه لنا مزيد النفع او نهمل فى القيام باداء ماهو لازم لنا كما يقع ذلك
من الاغنياء الذين لايلتفتون الى ذلك ويشتغلون بما ليس فيه فائدة تعود
عليهم ويعلقون آمالهم بما لايقتصر ضرره عليهم بل يعم غيرهم وحينئذ
يتعين عليك قبل ان تسمع منى وصف الكبد ان تعرف معرفة خبير بالامور
ان داخل جثة الانسان هو عبارة عن معمل مشتمل على طبقتين عليا وسفلى
فالعليا محتوية على الصدر والسفلى على البطن ولكليهما صناع
خصوصية قاطنة بها ومقيمة فيها فاما الطبقة الاولى فمن عمالها القلب
والرئتان اللتان سيأتى بيان وصفهما قريبا واما الطبقة الثانية فمن صناعها
المعدة والامعاء وجميع مايشتغل معهما باتمام عملية الهضم والطبقتان
المذكورتان منفصلتان عن بعضهما بسقف قريب فى الوضع من المعدة
وهذا السقف هو المعروف عند الاطباء بالحجاب الحاجز وهو عبارة عن
عضلة رقيقة مفرطحة ممتدة فى جميع عرض الجثة والكبد الذى نحن بصدده
يوجد فى البطن معلقا بالحجاب المذكور وهو شاغل وحده للجهة اليمنى منها

ومن

ومن هنا يؤخذ ان الكبد مع كبره ليس معلقا فى الحجاب الا من جزء واحد ولذا نرى من حيث انه سائب فى البطن يهتز باى حركة تطرء على الجسم وهذا السبب يكون النوم مضرا على الجانب الايسر خصوصا عند الامتلاء بالاكل لان الكبد يقع فى هذه الحالة على المعدة بثقله فيضغط عليها كما يقع رجل على صاحبه فى السفينة او العربة ان مالتا الى جهة فيحصل فى داخل جسم الانسان من الكبد مايحصــل من هرة تنام على المعــدة وهذا هو المعروف عند العــامة بالكابوس (القول الخامس) فى الكبد وكيفية عمله الكبدهوعبارةعن غدة كبيرة الحجم جدا لونها اسمر محمر منقسمة الى فصوص تتألفمن حبوب مكونة من حبيبات وفى وسط كل واحدة منها تجويف صغير يتم فيه امر من الامور المهمة وسر من الاسرار الربانية التى لم يصل الى معرفتها احــد من البريه مع مابذلوا فى البحث عنها من الهمة والاجتهاد والمملكة الباطنية مشتملة كما سبق على مالا يحصى من العمال وكل واحد منها يطلب من الدم مايحتاج اليه لاتمام عمليته وهذا هو الموجب للاهتمام بالاكل والاستمرار عــلى تناول المواد الغذائية لاجل القيام باداء مطلوبات الطالبين فاذا علمت ذلك تبين لك كيف يشب الانســان وينمو من سنة الى اخرى حتى يبلغ حدسن الكبر ولا يأخذك العجب من الوقوف عند هذا الحد مع استمرار تناول الطعام لان الشــئ متى بلغ نهايته وقف فلو حسبت ما اكلته فى كل ســنة وجعلت كل صنف من الاغذية فى ظرف بحيث يكون الجامد منعزلا عن المائع والحلو عن الحامض لامتلئت من ذلك قاعة كبيرة وحيث ان هذه المواد بتمامها قد وصلت الى داخل الجسم فلو فرض ان العمال الباطنية استعملوا نصفها او ثلثها فقط وان باقيها قــد خرج الى خارجه ولم ينتفع به اصار طوله كبيرا جدا ولتعذر مروره من اى باب ولو بلغ انفراجه فى الارتفــاع ما بلغ مع انه لايزداد فى الســنة الواحدة غير زيادة يسيرة ولو قدرت ما اكله ابوك وما بقى منه فى داخله وما خرج منه لتراءى لك انه فى الطول كالعمود الذى تلتذ النساء وقليلوا

العقل من الرجال بسماع خرافاته مع ان هذا الطول لم يتغير وكأني بك
وقد استولى عليك العجب من هذا الامر وقلت اين ذهب ذلك كله
فاسرد لك لتقف على الحقيقة وتهتدى الى اقوم طريقة ما نقل عن
الاعقاب الخالية عن رواة قصص كهنة المصريين ان احد حكمائهم وماوقع
لزوجته فينالاب فى غيبته وهو سائح حول الارض وذلك لما طال غياب
زوجها كثر خطابها وألحوا فى طلبها بعد ان يئسوا من عودته فصارت
تعللهم بالمواعيد الباطلة والتمويهات المزخرفة وتوهم كل واحد منهم انها
لا تختار عليه بنفسها ولما تم لها ذلك وانطالت حيلتها عليهم ادعت انها
مشغولة بنسج خرقة وطلبت منهم مهلة ليتأتى لها فيها تكميل نسج هذه
الخرقة وكان مرادها من ذلك الشطر بطولها كانت تصرف نهارها فى
نسجها وليلها فى نقضها فهل فى امكانها بالتمادى على مثل هذا العمل مدة
سنة التقدم فى نسج الخرقة المذكورة ام لا الجواب لا لان النسج
والنقض متباينان فلما حضر زوجها وعلم بما قد مضى ونظر الى خرقة
زوجته فاحضر جميع الحكماء وقال لهم ان هذا النسج والنقض تحقق ان
الانسان متى بلغ طول قامته حد النمو وقف وما ذلك الا لكون كل واحد
من اجزاء جسمه يعتبر كأنه فى الشبه كخرقة زوجتى فينالاب بحيث لا فرق
بينه وبينها الا كونها تنسج من طرف وتنقض من طرف آخر ومن هذا
القبيل البناء الذى يضع حجارة جديدة فى جهة من البيت ويزيل الحجارة
القديمة فى جهة اخرى منه فانه لا ينقطع عن العمل ومع ذلك فانه لا
يتقدم بناؤه ولا يزداد فى الارتفاع وانما يبقى هذا البيت جديدا على الدوام
بلا انهدام ويستنبط من ذلك ان كل من تعلقت آماله [illegible]
فى امتلاك بيت من مثل هذا النوع متى كان الانسان صغيرا كان كالذى
يقع من المبنى قليلا ولذا يشاهد ان التقدم يحصل من سنة الى اخرى حتى
يبلغ العمر الحد المحدود له هنالك يكون مقدار ما يقع مساويا لما يوضع
بدله وبذلك يحصل الوقوف من التقدم بالكلية وان كان الانسان يتناول

من المواد الغذائية فى السنة الواحدة ما يزيد على زنته مرارا (الفوائد السادس) فى بيان مواد الهدم اى المواد القديمة وعرق وريد الباب ولنذكر لك مسألة تميل الى معرفتها وترغب فى الوقوف على حقيقتها وهى اذا سأل سائل عما يفعل بالمواد القديمة وفى اى شئ تستعمل مواد الهدم يجاب عن ذلك بما معناه حيث انك لم تنسى ما ذكر آنفا بخصوص المنوط بصيانة المعمل وحفظه على حالته الاصلية فيقال لك ان هذا الوكيل ليس قاصرا على تحضير مايحتاج اليه كل عامل فقط بل هو مأمور بكنس ذلك المعمل ونقل انقاضه ولذا تراه فى هذه الحالة الاخيرة يستعمل اعوانا متعددة ويكون له فى اى مكان يمر به مساعدون من الاصاغر لاينفكون مثله عن الشغل طرفة عين وعند ما يتناول البناء فى اثناء سيره السريع مايحتاج اليه يأخذ احد الاعوان المواد القديمة ويضمها على بعد منه واتكلم فيما سيأتى على نقل مواد الهدم والفضل التى اعتمها من اعجب الاعمال وتبين لك يا بنى انها عبارة عن مجارى صغيرة جدا منتشرة فى جميع اجزاء الجسم ومحيطة به كالشبكة ومتصلة ببعضها ومشتملة بجميع جميع المواد التى تأخذها فى مجرى واحد وتذهب بها فى المجرى العظيم الذى يذهبه الدم ومثل ذلك حاصل فى مجارى دمشق الشام المتفرعة فى جميع جهاتها فانها بعد اجتماعها من هنا ومن هنا تنصب فى مجرى واحد يوصلها الى نهر بردى بالثابة الحاصلة من المجارى الصغيرة المذكورة فان لم يكن هناك مواضع اخرى تجتمع فيها آل بها الى كونها لاتجد موضعا للتخزين لكن الله سبحانه وتعالى جعل لها بقصد تخلصها مما يلحقها من الصعوبة فى جهتى اليمين والشمال من الجسم مخازن صغيرة يخزن بها عند مروره عليها جميع المواد التى جلبها معه من مواد الهدم ويخرج بطرق مختلفة والجاويف التى تقدم انها موجودة بالكبد هى من ضمن هذه المخازن وهى من اهمها ومتى انتهت دوره الدم فى الطبقة السفلى اعنى فى البطن اجتمعت كلها وانصبت فى مجرى واحد يسمى بالوريد الباب فيسوقها الى الكبد وينقسم

هذا الوريد فى الكبد الى فروع كفروع الاشجار واغصانها المنفصلة عن جذوعها ويتوزع الدم من فروعه هذه الى عدة مجارى صغيرة دقيقة تنوف بمقدار آلاف من المرات عن شعر الرأس وتنتهى الى فوهات الكبد وهنالك كل نقطة واردة من المجارى الشعرية المذكورة تتخلص مهما كان صغرها بكيفية لانعرفها من جزء مما تحمله ثم تتوجه نقط الدم الصغيرة الى مجارى شعرية اخرى شبيهة بالاولى تجتمع معا عند سيرها وانتشارها بالجسم كهيئة اغصان الاشجار فى حالة ذهابها الى جذوعها وتنتهى الى مجرى واحد معد الى سير الدم فيه ويتخلص منه نقيا مجردا عن جميع مواد الهدم ثم يبتدئ فى عمله بالمثابة المارة الذكر وهنا نعرفك اصل الوريد الباب لان حدوده تنشأ من الماساريقى المسماة عند العامة بالدوارة ومن اوعية المعدة والامعاء وتجتمع الى وريدين الطحالى والماساريقى وكل منهما يقبل الاوردة المجاورة له ثم ينضمان الى جذع واحد ويكون تحت الطرف الصغير للبانكرياس ثم يصعد مقدار اربع قراريط حتى يصل قرب الطرف الايمن للقناة المستعرضة للكبد فينقسم الى فرعين يتكون منهما هنالك قناة تحت الكبد تسمى جيب الوريد الباب والفرعان المذكوران يتفرعان بلا نهاية فى النسيج الخاص للكبد هذا وكنت لم اتكلم الى هنا على الصفراء التى وعدتك بايراد وصفها وربما نسبتنى الى التقصير وقلت انى ما اتيت بالمقصود ولا وفيت لك بوعدى وهو من اخلاق الوعد الا انى اقول لك كن يا بنى مستريحا منشرح الصدر غير مشغول البال فانى ما اهملت ذكر هذا المائع النافع حيث قصصت عليك قصصا وعرفتك انه ينصب من الكبد ونبأتك انه يعرف بالصفراء (القول السابع) فى بيان الاعمال التى يجريها الدم واعلم يا بنى ان جميع الاعمال التى يجريها الدم مماثلة للاعمال التى يجريها الكناس الذى يجمع من الكناسة انواعا مختلفة ويبعث بها الى معامل متنوعة يحصل منها على محصولات تباع وتشترى ويكتسب منها مبالغ عظيمة فضلا عما ينشأ من المنافع العمية * والفوائد

العظيمة

العطيئة * ومن هنا يتضح لك ان الكبد هو شيخ الكناسين لانه يأخذ جميع ماتأتيه به اعوانه من الانقاض المتحصلة من الهدم وما جمعوه منها مما وجدوه فى طريقهم وهو الذى يتكون منه الصفراء كما سيأتى وحيث علمت حقيقة الصفراء ووقفت على كنه وظيفتى الكبد وعرفت انه يخلص الدم من فضلاته فقد اتضح لك ان هذا الكبد محسن للدم والكيلوس معالاته هو الذى يبعث به اليه وحينئذ هو محسن فى الحالتين بدون ان ينقص منه شئ لكونه يعطى بقدر مايأخذ ولا تمكث الصفراء فى اوعيتها الا برهة يسيرة ثم تخرج منها بعد استكمال عمليتها الى مجارى شبيهة بمجارى الدم وفى سيرها تجتمع وتندفع فى مجرى واحد تصل منه الى مخزن واحد ملتصق بالكبد يسمى الحوصلة الصفراوية وسيأتى الكلام عليها فتجتمع فيه بين هضمين متعاقبين ثم تنصب بكثرة فى الاثنى عشرى عند الضرورة فاذا دعيت فى مناظرة مخزن الصفراء فها هى واردة عليك بحث فى بيان استفراغ الحوصلة المرارية وكيفية انصبابها على العجينة الغذائية ثم اعلم يا بنى ان استفراغ الحوصلة المرارية مدة الهضم بسبب تجمعها واحتباسها فى القناة الصفراوية اما ضغط المعدة لها لتمددها حينئذ عن الاطعمة واما ثوران حيوى مخصوص بهذه الحوصلة لا يحصل الا زمن فعل الهضم فبسبب انقباض اليافها العضلية الداخلة فى تركيبها وقد شبه الاقدمون الصفراء بصابون حيوانى من حيث ان من خواصها انها تخلط المواد الغذائية بعضها خلطا تاما بحيث تتحد اجزاؤها المائية بالاجزاء الشحمية اوالزيتية فهى سائل كثيرة التركيب فيقال هو مائى زلالى زيتى قلوى مالح فى آن واحد اى بنى اذا ذقته لوجدته هكذا اى يحتوى على ماء وزلال كثير وهذا هو السبب فى لزوجته وعلى زيت محتوى على اصل مر وعلى قلى وعلى انواع من املاح كلسية فوصفاتية اى من املاح العظام واملاح نوشادرية وعلى نوع من الاجسام السكرية لكونه يشبه سكر اللبن وهو غزير فى صفراء البقر وقليل فى صفراء البشر ثم ان هذا السايل ينصب على العجينة

الكيموسية مع السيال البانقرياسى وهو سائل ابيض تفه الطعم زلالى يشبه اللعاب مشابهة تامة يأتى من قناة متكونة من اوعية دافعة للافراز تجتمع بالقناة الهضمية كاجتماع الزغب بالريشة وهذه القناة تنفتح فى الاثنى عشرى بجانب القناة الصفراوية وماعدا هذين السائلين يفرز الاثنى عشرى نفسه كمية عظيمة من عصارة نضحية تختلط ايضا بالعجينة الغذائية وهذه السوائل يعين بعضها بعضا على التكيلس ثم ان الصفراء بعد ان تختلط بالعجينة الغذائية تتجزأ الى جزئين احدهما زيتى زلالى ملون مر يمتزج مع المواد الثفلية فيعطيها الصفات المنبهة المحتاج اليها فى ايقاظ فعل الامعاء والآخر ملحى قلوى محتوى على جملة اصول حيوانية يختلط بالكيلوس واما السيال البانقرياسى يحدث فى العجينة اصولا ازوتية الازوت عنصر بسيط غازى يكون ساريا فى اغلب النباتات وهو الذى يولد الاملاح الازوتية اى مثل ملح البارود وغيره ويسمى ايضا نيترات ولولاه لما وجدت اى الغدة البانقرياسية فى الحيوانات التى تتغذى من النباتات لان طبيعة ماتتغذى منه ليس فيه هذه الاصول ومما يدل على انه يحدث الاصول المذكورة فى هذه الحيوانات كبر حجم البانقرياس فيها واعلم يا بنى ان الكيلوس سائل اشهب منوى الرائحة حلو الطعم وقد يكون مالحا و قوامه كقوام اللبن وتختلف صفاته بحسب اختلاف الاطعمة المكونة له واذا اردت يا بنى ان تنظر لمخزن الصفراء فخذ من الجزار اى اللحـام كبد اى حيوان كان تجد المرارة ملتصـقة به فافصـلها عنه بعد تفريغ مافى جوفها مع الاحتراز على هذه المرارة من الانفجار لانها اذا انفجرت وسكبت على اللحم صار طعمه مرا كريها لايقبله الذوق وبالتأمل فيها قبل انفصالها عن الكبد يرى انها ملتصقة به وحينئذ تكون المرارة فى كل الحيوانات والانسـان عبارة عن مخزن الصفراء هذا وان كان التلغراف الكهربائى باعثا على العجب الا انه يوجد فى داخل البدن وخارجه ماهو اعجب منه حتى انه لايمضى على الاخبار فى حال وصولها الى اجزاء الجسم غير زمن لايكاد يكون محسوسا وذلك ان الكيموس متى حل بالاثنى

عشـــرى وصل الخبر الى مخزن الصفراء فتبعث له ما يحتاج اليه من المائع بلا توان ولا مهلة بين الخبر والارسال بواسطة مجرى يأتنه عليه فيوصله الى الاثنى عشرى ومع ورود المائع اليه يختلط فيه مع الوارد من البانقرياس ويغمر الكيموس فيتم عمل الامعاء وينفصل مايحتاج اليه من الدم (القول الثامن) فى بيان نشر كيفية الدورة اللبنية واختلاطها بالدم حيث انه لم يبق علينا سوى نشر كيفية الدورة اللبنية واختلاطها بالدم وسيرها معه فنقول انه يوجد من الاعوان الصغيرة التى ذكرتهالك آنفا واظن انك مانسيتها يا بنى مقدار عظيم مصطف على طول الامعاء الدقيقة خصوصا حول الاثنى عشرى وان افواه الالوف المؤلفة من المجارى الصغيرة المتجهة الى مجرى المعا تمتص كل ماتحصل من الكيلوس وتسمى بهذا السبب بالاوعية الماصة اوالكيلوسية ولا تقتصر على ذلك بل تصل الى الحواجز فى باطن الامعاء وتوجد كما سبق على مســافة من بعضها فى طول مجرى المعا الذى هو زيادة عن ذلك ثنيات صغيرة متعددة وبهذه الثنيات تتصل جميع المجارى الصغيرة المذكورة آنفا ومن هنا تستنبط انه لم يفقد من امتصاصها اى جوهر صغير مما فيه من الكيموس منفعة للدم حتى ان الكيلوس يأخذ فى الصعود الى مسافات بعيدة بجهات الجسم ولا يبقى من المادة الغذائية الامالبس فيه منفعة فيتوجه الى المعا الغليظ الذى سبق انه متصل بالمعا الدقيق ويكون نصيبه كنصيب ذوى البطالة والكسل الذين لايعود منهم على الجمعية الانسانية ادنى مافيه فائدة لها ولا يعدون بهذا السبب من اعضائها بل يحذفون منها كما تحذف الطبيعة منها مالا ينفعها ولنتكلم الآن على الكيلوس الذى تستحيل كل واحدة من نقطه الى دم يكون به قوام حياتنا وحيث انك تعلم حقيقة مابقى منه كما يعلمها غيرك لانى لااذكر لك الا الكيلوس الذى هو غاية مقصودنا وعليه مدار وجودنا فنقول انه عند خروجه من المعا يكون شبيها بلبن كما قلنا آنفا دسم متماسك مشتمل على مالا يحصى من الجواهر الكروية الصغيرة السابحة فيه تعلم حقيقتها فيما سيأتى وذاق بعض الناس الكيلوس فقالوا

ان فيه ملوحة قليلة واني ولولم اذقه الا انى لا اخرج عن رايهم ولا اقول فيه الا كما قالوا وبالجملة فهو مركب مما يتركب منه الدم بحيث لا ينقص عنه سوى التربية التى يؤول بها الى ما تعهده فاذا سألتنى عن كيفية تربية الدم فى الاوعية التى يمر بها فاقول لك ان امرها مجهول على جميع الناس الى الآن وهى منظومة مع ماسلف وما سيأتى فى سلك الاسرار المستودعة فى الجسم الانسانى التى لايعلمها الا الله سبحانه وتعالى ومن يتأمل فى الكيلوس عند خروجه من الاوعية الكيلوسية يشاهد فيه انه مشابه للدم بلا شك فى ذلك وهو مغاير لما دخل فيها وحينئذ فتربية الدم قد حصلت فى تلك الاوعية بالقدرة الالهية وان الانسان لايصل بما يعلمه من الوسائط والآلات الى ادراك حقيقتها ثم ان لون الكيلوس الذى يكون عليه مبدء الامر هو ابيض وقد يتلون قليلا و يتم تلونيه عند ملامسته للهواء و يؤول الى اللون الاحمر وحيث انه لم يبق علينا لاتمام ما يتعلق بالمواد الغذائية سوى توضيحها لك فنقول ان الاوعية الصغيرة الشعرية وهى الاعوان المذكورة الوف الالوف المصطفة على طول القناة المعوية لها غدد موضوعة على المساريقى المسماة عند العامة بالدوارة فتاتى تلك الاوعية الشعرية بالسائل الكيلوسى الى تلك الغدد فتنوعه وتصلح شانه وتخرج تلك الاوعية من الغدد فريعات ثم تنضم الى فروع ثم الى جذوع حتى تصل الى امام السلسلة الفقارية فى الصدر فتصير جذعا واحدا يسمى بالقناة الصدرية يصب فى الوريد تحت الترقوة وايضا تشتبك داخل الجسم اوعية ماصة تمتص من الجوامد والقناوات امور الهدم وابتداؤها من القدمين متشبكة كشبكة شعرية على القدم والساق والفخذ ولها غدد فى ثنية الركبة والاوربتين و بعد دخول الاوعية الشعرية فى الغدد تخرج بهيئة فروع وفريعات وتدخل فى البطن تجتمع مع الاوعية الماصة من جميع دائرة البطن وتجتمع مع بعضها وتصعد الى الصدر وتصب فى الاوردة الوداجية وايضا مثلها من اعالى الجسم تجتمع مع

بعضها

بعضها وتفرغ فى الاوردة انوداجية وهذه الاوعية تمتص ايضا من البول والمنى والمخاط واللعاب والدمع والمادة الصملاخية وجميع هذه السوائل الممتصة الراجعة تسمى بالاينفا فاذا وعيت ذلك كله فقد عرفت جميع ما يتعلق بالجزء الاول من جميع ما قلته لك وهو المواد الغذائية التى يتضح لك من تلاوتها ان الاكل عبارة عن اعطاء اعضاء البدن ما تحتاج اليه فى اتمام عمليتها وان الفم يتناول هذه المواد الغذائية بحالتها الطبيعية والمعا يحصرها والدم يحضرها وحينئذ يقع التوزيع بعد التحضير المعروف بالهضم وهذا هو تاريخ الكيلوس المختفى عن الاعين فى الحبوس المتنوعة الموجود فى جواهر الغذاء من ابتداء تناول اللقمة الغذائية باليد ووضعها فى الفم وانتهائها الى القناة الصدرية وبعد تخلص الكيلوس من جميع ما هو مختلط به بما يطرأ عليه من العمليات فى المعا يكون نقيا والمراد من التوزيع المذكور آنفا هو الدورة وهى تاريخ الدم الذى تقدم انه هو الوكيل المنوط بالدوران دائما على جميع جهات الجسم بالرجوع على عقبه بلا توان بمعنى انه يخرج من القلب ويرجع اليه ويدخل فيه ثم يخرج منه ولا يزال هذا دأبه الى انتهاء العمر وفراغ الاجل (القول التاسع) فى بيان دورة الدم وتنقيتها يا بنى يؤخذ مما سلف ان تاريخ الهضم قد تم لكنه ملحق بتاريخ الدورة تاريخ آخر لا يتأتى انفصاله عنه وان كانا مباينين لبعضهما ولنبسط لك الكلام على ذلك يابنى فنقول ان الدم يقطع فى سيره دورتين يبتدئ فى احداهما وهى الكبيرة من اطراف الجسم وينتهى الى القلب ومنه الى الاطراف ويشرع فى ثانيتهما وهى الصغيرة من القلب الى الرئتين ومنهما اليه وعند ما يكون فيهما يتقابل مع الهواء الذى نستنشقه وهناك يقع بينهما مايبهر العقول من الامور التى يتضح بمعرفة كنهها انه لولا الهواء لما كان فى الدم صلاحية لغذاء الجسم ولو مدة خمس دقائق وهذا هو المعروف بالتنفس والهضم والدورة والتنفس معا بتاريخ واحد ولكل واحد منها على حدته تاريخ مخصوص

وحيث ان القلب بالنسبة للدورة هو كالمعدة بالنسبة للهضم كان من الواجب على ان احيطك به علما يا بنى لانى لا اشك فى ميلك الى تاريخه و شغفك بحب الاضطلاع عليه واهتمامك بالوقوف على حقائق اسراره ودقائق رموزه وآثاره واحتفالك بما فيه نفع ابناء وطنك وفقنى الله تعالى الى تفهيك ما يخفى عليك وهداك الى اقوم طريق وواصل بالخير اليك وجعلك من الطلبة الذين هم فى كشف الغطاء عن الغوامض يرغبون و بجياد قرائحهم العالية الى معرفة الاسرار الربانية يسابقون ليزدادوا يقينا بالله سبحانه وتعالى وشفقة على عباده ويقفوا بالمعرفة على اسرار حكمته ومراده فاقول راجيا منك يا بنى القاء سمعك * الى ما فيه مزيد نفعك * يا بنى خذ عنى * قبل بسط الكلام على القلب رواية كنت سمعتها فى حداثة سنى * وحكاية لم تغب عن ذهنى * وهى انه كان باحسن مكان * فى سالف الزمان * رجل من امراء قدماء المصريين مرفه الحال * منعم البال * كثير المال * بغناه تضرب الامثال * حتى اجمع القلوب والكثيرون * على انه اغنى من قارون * لانه عثر على كنز مشتمل من الجواهر والاموال * على مقدار لايعد ولا يكال * وقد هجس بخاطره فى بعض الايام انه يبنى لنفسه قصرا * يأوى اليه ويفاخر به ايوان كسرا * بحيث لايكون له بين القصور نظير فى حسن وضعه * ورصانة بنائه وهندسته وزخرفته واتقان صنعه * وان يكون فيه من الفرش وباقى الاثاث * ما يأخذ بألباب الذكور والاناث * ولا شك انه قادر على ذلك لانه حائز من الدراهم على ما يدفع به كل محظور * وتسهل به جميع الامور * ولما قويت عزيمته على هذ المشروع استنهض اليه من جميع اقطار الدنيا كل من اتقن فن النقوش والعمارة واظهر فيها الابداع و المهارة و ذلك بما بذله من درهمه وديناره * وصرف همته فى ليله ونهاره * فطلب منهم ان يرسموا لهذا القصر صورة بديعة ولا يلتفتون فيها الى ما يصرف على عمارته من النفقة فعمل له مهرة المهندسين عدة

رسوم اختار منها ماهو اتقنها واحسنها منظرا واعجبها وحول العملة الى قطعة معتدلة الهواء وامرهم ببذل الهمة فى وضع ما استحسنه من الرسم عليها فشرعوا فى العمل بعد ما اجلب لهم فوق كفايتهم من الحجارة والاخشاب على اختلاف انواعها وغير ذلك من المهمات ومكثوا على ذلك مدة يسيرة من الزمن فتم بناء القصر المذكور وجاء فى اتقانه واحكامه * على وفق مقصوده ومرامه * هنالك نظمه وزخرفه بالنقوش الفاخرة * والفرش التى هى للعقول باهرة * وبهذه المثابة ظهر من حيز العدم الى حيز الوجود * بديع الاوصاف متين العقود * ما شاد مثله فى جميع البلاد * احد من العباد * وهو فى لطفه غايه * وفى ظرفه نهايه * لكن مع انه انموذج للمبانى الرفيعه * ذات الصنائع المتقنة البديعة * خرج عن شرط لا بد منه * وامر مهم لاغنى عنه * غفل عنه المهندسون * وغاب عن فكر المؤسسين * وهو ان وضعه كان فى ارض على المياه بعيدة وتلك الارض ارض الواحات من اراضى مصر وكان ذلك موجبا لتكدر خاطر صاحبه وتبدل فرحه بالترح حتى كاد يختنق من الغيظ وانتهى به الحال الى كونه اهتم كل الاهتمام بجلب ما يلزم من الماء الى هذا القصر فتشبث بالطرق التى يتأتى له بواسطتها ان يسوق اليه من المياه العذبة ما يجرى حوله بالليل والنهار وبث جملة من المهندسين فى عدة من الجهات ليبحثوا عن تلك المياه بغاية الالتفات وقد اختلفوا بما فوض اليهم * وما احيل من طرفه عليهم * فعثروا بعد العناء والكد على نهير صغير متباعد عن القصر بمقدار بعض فراسخ وفى الحال كروا راجعين اليه * وعرضوا عليه * نتيجة ما شاهدوه والتمسوا منه ان يصرح لهم بجلب الماء الى قصره من هذا النهير فبعد ان ذهب عنه غضبه وزال ماكان يجده فى نفسه من الغيظ اخذ بيده ورقة وكتب فيها للمهندسين هذه الشروط الثلاثة وهى اولا ان الماء لا يؤخذ الا من نفس ارضه ثانيا انه لا يزال جاريا ليلا ونهارا فى كل مكان

من قصره وانه يكون كافيا جيد الخواص ثم رمى اليهم بهذه الورقة وخرج من غير ان يتكلم معهم بكلمة واحدة فلما وقف عليها المهندسون تعجبوا مما جاء به فيها مما يدل على جهله * وسخافة عقله وتشبثه بطلب المحال فتداولوا بمفارقته بقصره والتخلى عنه وتركه يهيم فى اودية جنونه وينفق امواله كما يشتهى فيما لايعود عليه بادنى فائدة وبينماهم معولون على الانصراف اذ قام من بينهم واحد منهم وقال اعلموا ياخوانى ان العار يلحقنا لما حصلنا عليه من العلوم والفنون وعجزنا عن القيام بما يفى بمرامه وانى قدمت فكرتى فى اثناء مداولتكم فعثرت على على طريقة لائقة بهذا المقام وها انا اشرحها لكم فاقول انى عند ماكنت مشتغلا بالبحث مثلكم بجبر خلل ماوقع منا فى وضع القصر بقطعة ارض خالية من الماء اخذت معى رجلا له خبرة باستكشاف المعادن والعيون ليرشدنى الى ماياتى به حل هذه المسألة الصعبة فدلنى على قناة تحت سطح الارض بين طبقتين من الطين يجتمع فيها ماء المطر وينصب فى مستنقع مجاور للقصر الا ان هذا الماء لما كان راكدا كريه الرائحة غير نقى كان غير موافق للصحة وحيث ان القناة المذكورة قريبة من هذا المستنقع فلا شك انها تكون وافية بالمراد وان توصلنا نحن الى ازالة مافيها من العيوب انحلت المشكلات * وسهلت الصعوبات * وبلغنا المرام ووصلنا الى المقصود وهذا الامر لا يتيسر الا بجعل الماء جاريا وتعريضه للهواء ليصلحه ولقد وفقنى الله تعالى الى حل ذلك ووصلت الى كشف الغطاء عنه فتستعمل طلمبة تصل منها مجارى متعددة الى جميع نقط القناة وتمتص منها وبعد ان تجمعه فى مجرى واحد غليظ منتهى برشاشة لتكبسه بقوة فيخرج من خروق هذه الرشاشة فى هيئة مطر رزراز اى رفيع النقط يجتمع كله فى حوض معرض للهواء به طلمبة اخرى تبتدئ بامتصاصه ثم تكبسه ثانيا فى مجرى غليظ متفرع منه مجارى صغيرة متعددة بقدر عدد امكنة القصر المذكور وبهذه المثابة يمكن الوصول بلا شك الى مرغوب

السيد

السيد المالك وحيث انه لم يبق علينا غير صعوبة واحـدة وهى عدم كفاية ماء القناة لاداء جميع اللوازم فان هذه الصعوبة يمكن ازالتها ايضا باسهل طريقة وهى ان تضع تحت كل بزبوز حوضا صغيرا يخرج منه المجرى وظيفته توصيل الماء الساقط الى الطلمبة الماصة المعدة لامتصاص ماء القناة الاصلية تمتصه فى اثناء تشغيل الطلمبة ويرجع الى حوض الهواء فتأخذه الطلمبة الثانية وتبعث به مع غيره الى الارض ثانيا وعلى هـذا المنوال يستمر العمل فيكون كل ما اتى من القناة فى كل دفعة فيـه كفاية لاداء لوازم سـكان القصر وحيث انه يمكن فى بعض الاحيان ان سكانه يحتاجون الى غسل ايديهم وخلافها من البزابيز فيحدث من ذلك بعض اوساخ مضرة بنقاوة الماء فينبغى لا زالة هذه المضرة ان توضع مصافى فى مجارى البزابيز ليتخلص الماء من هذه الاوسـاخ ويصير حوض الهواء نقيا وبسـبب استمرار الماء على الحركة فى المجاوى تضيع خواصه الاولية ويكون من الجودة فى اعلى درجة بحيث لا يختلف عن الميـاه الصافية المعتادة بادنى شئ فلما سمع رفقاؤه ما اتى به مما يتوصل به الى بلوغ المرام فرحوا فرحا شديدا ما عليه من مزيد وشكروه واثنوا عليه وعلى افكاره الجليلة ثم توجهوا باجمعهم الى صاحب القصر واخبروه بما عثروا عليـه وتوصلوا اليه وعرضوا عليه مشروعهم وبينوا له فى الرسم المحل الذى توضع الآلة اللازمة لتحرك المجارى العديدة المذكورة آنفا فلما تمثلوا بين يديه وانهوا ما بدى لهم اليه عبس فى وجوههم وبسر وقال لهم لايمكننى الاستغناء الا عن هذا المحل واشـار بيده الى خزانة ضيقة مظلمة لا تزيد سعتها عن بعض اقدام مربعة فى ركن غير ظاهر من القصر واشـترط عليهم انه لا يلزم بسبب القرب من محلات السـكنى ان يوقد به فحم ولا خلافه لما ينشأ عن ذلك من الوساخة وان لا يوضع بجوار هذه المحلات افران او قزانات او نحو ذلك لما يترتب على وجوده ضجر وعدم راحته وتكدره من الدخان الذى يحدث منه تشويه قصره وكراهة الاقامة به

وخوفه من الحريق وانفجار القزانات وغير ذلك مما لا ينبغي وجوده بمحلات السكنى المذكورة التي لا يخفى على احد مقدار ما صرف على عمارتها من الاموال ثم ختم كلامه بقوله مخاطبا لهم انه لايسوغ لكم ان تأخذوا الا الخزانة المظلمة التي سبق التنويه بذكرها بشرط ان لا يقع منكم ما يحصل لي منه ادنى جزع ومما احيطكم به علما هو انى اكره الارتجاج الذي ينشأ من العجلات عند سيرها والصوت الذي يخرج منها في حالة احتكاك اضراسها ثم تركهم وانصرف فحرر رقيما الى سيد الكهناء العالم بجميع الامور المعلم الاول فيثا غورث وارسله اليه من غير علمهم وما كان من امرهم فخاضوا في الكلام واكثروا من اللغط في هذا الخصوص وتحيروا فيما يفعلون ليحصلوا على الغرض المطلوب وانتهى بهم الحال الى كونهم رجعوا الفرار لما قام بخواطرهم من اصراره على تعجيزهم وهضم جانبهم باطفاء نور شهرتهم والاهتمام باخماد ذكرهم وانكار معارفهم وبينماهم عازمون على الفرار اذ حضر سيدهم ومعلمهم صاحب الاسرار الاولية كاشف سير الافلاك والدورة الارضية * فلما حضر وعلم بما دونوه من العلوم الطبيعية المتنورة أعلمهم انه يسكت ساعة زمانية يوهم بامور خيالية وما ظهر يسالون عنه من هو مخاطب لهم فسكت فبعد برهة ظهرت لهم خيالات ظلال اشخاص واجتمعت تلك الظلال فصارت شخصا انثيا وتمثلت بين ايديهم فرمقوها فوجدوها امرأة تميل بطبعها الى العلماء وترشدهم الى الاستكشافات العلمية ورفعت عصاة بيدها وضربت بها الهواء الجوى فظهرت خيالات ظلال فاجتمعت وظهرت للعيان بنت صغيرة لها من العمر خمس سنوات عليها ملابس رثة واطمار بالية فقالت الاولى للعلماء قد علمت ما انتم بصدده وما لقيتم من التعب والعناء فهذا السيد النائم اخذته الشفقة عليكم ورأى انه لا يسوغ له تركمكم تركضون بافراس افكاركم في ميادين علم الطبيعة الظاهرة ولشغفه بحبكم من بين الامم بادر باسراع عمل ما وراء الطبيعة واحضرني ومعي هذه البنت ومعها انموذج

تصلون باتباعه فى العمل الى اقصى المرام ثم خلت سبيلهم وانصرفت وعن اعينهم فى الحال اختفت * فهنالك احاطوا بالبنت وطلبوا منها الانموذج فاخرجت لهم من تحت ابطها ملفا صغيرا قدر مجمع الكف فيه خيوط عددها غير متناهى وقالت لهم هذه الآلة الموافقة لاغراض السيد صاحب القصر فهذه الخيوط العديدة الاولية تغوص فى جميع قطعة الارض المحاطة بتلك القناة وهذه الخيوط الثانية المتصلة بالخيوط الغائصة فى الارض يكون ارتفاع مرماها للمياه المجتمعة الآتية اليها اثنين وثلاثين قدما فى العلو وتكون تلك المسافة منقسمة ستة اقسام اى احواض تحت بعضها وكل حوض له ثقوب دقيقة فوقها احجار رملية والحوض الاسفل يكون السابع متصلا به خيوط ماصة ترجع لشق الكيس الثانى وناولتهم الكيس فلما تأملوه وجدوه كيسا طويلا ضيقا من جهة ومقفولا من جميع جهاته ومنقسما من داخله الى شقين بحاجز ممتد من اعلى الى اسفل وكل شق تخرج منه قناة كالاولى والشق الثانى له ايضا حق وتحته قناة غليظة لها ايضا خيوط اغلظ من الاولين فلما نظر المهندسون الى الخيوط التى اشارت لهم انها تغوص فى الارض الجاذبة الى الماء المرسل الى شق الكيس المخرج منه الى الخيوط العديدة المرسلة الماء الى العلو النازل فيما بعد الى حق الكيس الى شقه الثانى المرسل فى الخيوط الثالثة وكلها كانت تنقبض وتنبسط فى آن واحد بآلة ممسوكة باليد على الدوام فلما رآها المهندسون ظهر لهم انها مستوفية لجميع الشروط فاما الشق الايمن وهو الاول فهو مع حقه قائم مقام الطلمبة الاولى التى من خصائصها امتصاص الماء من باطن الارض واتيانه الى شق الكيس ثم الى الحق ومنه الى الخيوط المرسلة الماء الى اثنين وثلاثين قدما ومن هنالك الى المصافى ومن المصافى الى الحق ومن الحق الى الشق ومنه الى خيوط التوزيع فتعجب المهندسون من ذلك غاية العجب لاسيما على نقاوة الماء الذى خرج من المصافى وعزموا على شراء هذا الكيس من البنت ليعملوا مثله وقالوا

ايها ان صاحب القصر لايتأخر عن دفع اى مبلغ تطلبينه منه فاطلبي ماتريدين فقالت البنت لايتأتى لى ان ابيع هذا الكيس المذكور فى صدر هذه الحكاية حيث انه لاغنى لى عنه فانه قلبي وانا قلب هذا السيد العظيم القدر واختفت عن اعينهم وفاق الفيلسوف الاول من منامه ووبخ تلاميذه على خطاب البيع من البنت غاية التوبيخ وصور لهم عملية الآلة كما هى كانت عليه يا بنى ان هذه الحكاية الطويلة لاتخلوا عن الفوائد التى لابد لك من معرفتها ووقفت منها على امور طبيعية وعلى الدورة الحقيقية لانى سمردت لك فيها دورة مائية بهيئة الدورة الدموية وبسطت لك الكلام على القلب واوضحت لك جميع كيفياته وتبين لك انه هو الكيس المذكور آنفا والمراد فى تلك الحكاية ان القلب عضو موضوع فى ملتقى الثلث العلوى بالثلثين السفليين تقريبا وهذا الموضع هو الخزانة المظلمة المذكورة ايضا آنفا ولذا كانت حياة الاجزاء الكائنة اعلى الحجاب الحاجز اقوى من حياة الاجزاء الكائنة اسفله وكانت الامراض للاجزاء الاولى اكثر اشتدادا من امراض الاجزاء الثانية وحجم هذا العضو فى الجنين بالنسبة له كما هو كذلك فى القصار بالنسبة للطوال وهو كبير الحجم فى الحيوانات ذوات الجراءة وهذا دليل على ان البنية الآلية تأثيرا فى الافعال النفسانية وذلك لان الجراءة تنشأ من الشعور بالقوة الناشئة عن سرعة اندفاع الدم من القلب الى جميع الاعضاء ولا يكون ذلك الا من كبر الحجم فان قيل قد توجد حيوانات ضعيفة جدا فيها جراءة عظيمة كالدجاجة وقت ذبها عن افراخها والرجل الضعيف البنية اذا وقع فى اخطار شأنها الاهلاك فالجواب ان الجراءة فيهما فى هذه الحالة امر غريزى الهامى يؤثر فى الافعال النفسانية (القول العاشر) فى بيان كيفية شكل القلب ومايتعلق به اعلم يا بنى ان القلب بيضى الشكل موضوع بانحراف وفيه اربعة تجاويف كما قلنا آنفا هى الاذينان والبطينان فالاذينان كيسان صغيران عضليان غشائيان متجاوران يقبلان الدم من جميع الاوردة ويصبانه فى البطينين المستقر

فى قاعدتهما هذان الاذينان واما البطينان فهما كيسان عضليان منفصلان
عن بعضهما بحاجز والظاهر ان التجويفين الايمنين اى الاذين اليمنى والبطين
الايمن اوسع من الايسرين لكثرة الدم الداخل فيهما فى آخر زمن الحياة
واليساريان فى الاجنة اعظم سعة وسمك جدران تجاويف القلب فيهن مستوى
بخلافه فى الشبان فان التجويفين الايمنين ويقال لهما الوريدان اعظم سمكا
من اليساريين وهذا هو الاليق فى هذا السن لانهما ليس عليهما الا قبول
الدم من جميع الجسم ويحتاجان لقوة عظيمة بها يدفعانه للرئة واما اليساريان
اللذان يقبلان الدم من الرئة فيحتاجان اليها لاجل قوة دفع الدم لجميع
اجزاء الجسم فعلى هذا لايختلط هذان النوعان من الدم ببعضهما ولو اختلطا
لفسدت الصحة كما يشاهد فى بعض الاحيان ثم ان القلب يكون من الياف قصيرة
مندمجة قوية منضمة الى بعضها بواسطة نسيج خلوى لايتكون فيه شحم
ابدا وهى قليلة لكنها ذات انقباض شديد وتنفذ منها فى النسيج المذكور
اوعية كثيرة والياف ايا ما كان اتجاهها يكاد يكون المقصود منها تقريب
دائرة تجاويف القلب الى مراكزها ويوجد فى القلب ايضا غشاء رقيق
مغشى لباطنه يسهل اتجاه الدم من جهة الى اخرى فان قلت انك ذكرت
لى ذات لويفات طويلة وذات لويفات قصيرة فما الفرق فى ذلك وما معنى
اللويفات قلت لك انك تأخذ لنا باكرا عند الصباح حينما يفتح الجزار
ويأتى باللحم الى دكانه تتوجه عنده وتأتى لنا باللحم الذى هو ملتصق
باللوح وتأتى ايضا بقطعة لحم اى عضلة من قرب العرقوب واسلقهما وأت
بهما الى هنا فلما فعل ذلك اخرج له لحم اللوح ونسله له فكأنه نسالة قماش
كتان فانظر يا بنى ان هذه النسالة كل خيط منها ليفة كالليف فهذا العضل
الغير المندمج واما عضلة العرقوب المسماة بالشام موزة فهى لويفات مندمجة
قصيرة ولحم القلب مندمج اكثر من ذلك واعلم يا بنى ان من الفوائد التى فى
تلك الحكاية المتقدمة بالشقين البطين الايمن والبطين الايسر والغرض من
الحق فى كل منهما الاذين الايمن والاذين الايسر والابواب هى الصمامات

وحوض الهواء هو الرئة التى يتحد فيها الدم مع الهواء والقناة الموجودة تحت الارض التى يحبس فيها الماء و يبقى راكدا غير نقى الماء الدقيق الذى يجتمع فيه الكيلوس و يتوجه الى الاوعيـة العـديدة المتعدد الى الفروع والجذوع الى القناة الصـدرية الى القلب ومجـارى رفع الماء الى اثنين وثلاثين قدما ثم الى الاحواض السبعة عوضا عن الرئة ثم مجارى توزيع الدم فى القصر عوضا عن الشرايين والمجارى التى يرجع فيها المائع بعد استعماله هى الاوردة فهل هذه الآلة التى صـنعها المهندسـون اتم واحكم ام الآلة التى صنعها البارى عز وجل و اودع فيها هذه الاسـرار ووضعها فى جوف الانسان بالاحكام الغريب اتم واحكم افد الجواب واحكم فى ذلك بما تراه من الصواب (القول الحادى عشر) فى مايتعلق بالعروق الضوارب وهنالك حكمة اخرى احب ان اوضحها لك وهى انك تشاهد على الدوام ان الطبيب اذا دعى الى معالجة مريض يبدأ بجس نبضه بان يضع اصبعيه عـلى عرق قريب من الكف تحت الابهام فان لم تكن لك معرفة بهذه الحكمة لكونك الى الآن لم تسئل عنها فاقول لك بعد وقوفك على دورة الدم ان العرق الذى يجسـه الطبيب بيده هو شريان من الشـرايين المذكورة آنفا وان الاضطراب الذى يحس به تحت اصبعيه عند وضعهما فوقه هو الضربات المقابلة لضربات القلب ثم انه اذا وضعت الاذن على قسم القلب سمعت ثلاثة اشياء الاول دوى اصم بطئ مصحوب بمصادمة قوية لجدران الصدر ولا يحصل ذلك الا وقت انقباض البطينين الثانى دوى رنان اقصر من الاول ناشئ عن انقباض الاذنين الثالث سـكون تام معقوب بالدوى الاول وفى مدة هذا الثالث يظهر ان القلب فى حالة الراحة التامة واعلم ان انبسـاط القلب ناشئ عن توجه الدم الى تجاويفه وان انقباضه ناشئ عن القوة الانقباضية لهذا العضو وان الضربات التى يحس بها فى المسافة التى بين الضلع الخامس و السادس ناشئة دائما من قرع طرف القلب عند انقباض البطينين لجدران الصدر وعدد ضربات القلب فى

الدقيقة

الدقيقة الواحدة تختلف بالسن والمزاج والامراض والانوثة والذكورة وغير ذلك فتكون الضربات متواترة جدا كلما قربت من زمن تكوين القلب فانها تكون مائة وخمسين الى مائة واربعين قبل الولادة وعند الولادة مائة وخمسة وثلاثين وفي سن الطفولية مائة وعشرين وفي الصبا خمسة وتسعين وفي الفتوة ثمانين وفي الكهولة سبعين وفي الشيخوخة ستين وفي الهرم اربعين ثم يتنازل في هذا السن الاخير وتكون ضربات القلب في النساء اكثر تواترا منها في الرجال وفي القصار اكثر منها في الطوال وفي سكان البلاد الحارة اكثر منها في البلاد الباردة وهي الشمالية وفي المسأ اكثر منها في الصباح وفي الوقوف اكثر منها في القعود والراحة وقد يختلف النبض في حال الصحة فانه قد شوهد شيوخ لم يكن عندهم في الدقيقة الواحدة الا تسع وعشرون من الضربات وقد وجد في هذا السن ايضا عدم استواء فيه اي تقطع اعتيادي وقد يكون النبض عند بعض الاشخاص متواترا بالكلية بحيث يظن انهم محمومون واعلم يا بني انه يؤخذ مما سبق انه يجب على كل طبيب لمن عني بتعريف علم النبض ان يكثر من جس النبض في حال الصحة ويجود التلبث والتفطن فيه ليستحكم حفظ صورته للنفس اليه عند الحاجة اليه وقد سمى الاطباء كل واحد من اصناف قرع النبض باسم وذكروا اسبابه ودلائله فاذا تبين قرع النبض في طول الساعد اكثر مما كان تبين في حال الصحة قيل انه نبض طويل فاذا كان يأخذ من اصبع اللامس في العرض موضعا اكثر قيل انه عريض واذا كان اعظم مما جرت به العادة سمي عظيما واذا كان ناقصا فيها سمي صغيرا واذا كان ما بين النبضتين من الزمن اقصر مما جرت به العادة سمي سريعا واذا كان في زمن اطول سمي بطيئا واذا كان قرعه للاصابع بعنف في سائر الغمز عليه مع اتيان القرعة ليس بصدرة ولا ممتدة لكن منقبضة غير متمددة قيل انه ليس ممتلئا او انه خاوي من الدم واذا كان يلقى الاصابع منه عند قرعه لها شبيها لما يلقى من الخيط والوتر الشديدي التمدد عند ما يقرع احدهما

قيل انه صلب واذا كان يلقى كما يلقى هذه وهو غير شديد التمدد قيل انه رخو واذا كان كل واحدة من النبضات شبيهة بصاحبتها فى العظم والقوة سمى مستويا واذا خالف قيل انه مختلف وذلك الاختلاف يقع بين كل ثلاث نبضات متساوية نبضة واحدة مخالفة لها او بين كل اربع اوخمس نبضات نبضتان مخالفتان لها ثم يدور على هذا المثال قيل انه نبض منتظم واذا كان الاختلاف مخالفا لهذه بان يقرع الاصابع بعد ثلاث نبضات ثم بعد عشرة ثم بعد خمسة سمى غير منتظم وقد سموا ضروبا من النبض فى ذلك النبض الغزالى وهو ان يقرعك الشريان مرتين قريبتين ثم ينقبض ثم يعود لمثله ويسمى ايضا ذالقرعتين والمختلف القرعة وهو ان يكون اول قرعة ضعيفا وآخر القرعة قويا وبالعكس اى اوله اقوى من آخره وذنب الفارة وهو ان يكون اول نبضة لها مقدار ما من العظم ثم يتلوها اخرى اصغر منها وهكذا حتى تزول ثم يعود كاوله والموجى وهو الذى يأخذ من عرض الاصبع مكانا كثيرا مع لين وامتلاء لكن ليس له شهوقة ويتداخل حتى كانه امواج متتابعة والنملى وهو فى غاية الصغر والتواتر حتى انه يشبه نبض الاطفال القريبة العهد بالولادة وهذا يكون تابعا للمسلولين وبعض الحميات الخبيثة والمرتعد وهو الذى يحس منه كانه بحالتى شبيهة بالرعدة والملتوى وهو الذى يحس منه كانه خيط يلتوى وبهذه المثابة يصل الطبيب الى معرفة احوال المرض ويتحقق ان شريان اليد ليس له خواص تميزه عن باقى الشرايين بل هو مثلها سواء بسواء وانما آثروه بالاختيار عنها لظهورها وخفاؤها فى داخل الجسم اوفى اوضاع لايستحسن الامتحان بواسطتها لامور ولا حاجة هنا الى سرد جميع الشرايين الكثيرة العدد الموضحة فى كتب الطب المطولة المتكفلة ببسط الكلام عليها لانه قد اكتفى هنا بايراد الاصلى منها وكيفية توزيعها للدم فى الجسم وقبل ذكرها على اللف والنشر نذكر طبيعة الدم فنقول

﴿ الفصـــل الثامن فى طبيعة الدم وفيه اقوال ﴾

(القول الاول) فى لون الدم الدم سيال احمر اللون فى الرتب الاربع من الحيوانات ذوات الفقرات وابيضه اوازرقه فى الحيوانات التى فى رتبة ام الخلول وشفاف كالماء فى الهوام والحيوانات القشـرية واما فى الجسم البشـرى فيختلف احمراره شدة وضعفا بحسب كونه وريديا او شريانيا فيكون ناصعا اى شديد الحمرة فى الاشخاص ذوى البنية الشـديدة ومائلا للصـفرة فى المصابين بالاستسقاء والضعاف البنية وتختلف ايضا كثافته ورائحته المختصة به على حسـب قوة البنية وضعفها وكل هذه الاختلاف ناشئ من كثرة او قلة وجود الحيواة فيه فيميل للصفرة عند قلة الحياة فكأنها تذوب فيما اذا كان الشخص مصابا بسؤ القنية (القول الثانى) فى تغيرات الدم وهنا اسرد لك تغيرات الدم فى الامراض لتكون على بصيرة منه لان الاشخاص المصابين بمرض من الامتلاء الدموى تحصل لهم بالفصد الراحة التامة ومن ذلك اعرفك ماهو موجود بالدم من التركيب لتفهم حقيقة التغيرات بالكلية فاذا نظرت فى بنية الدم وجدت ان الماء الذى فيه نسبته اليه كنسبة سبعين جزا او ثمانين فما بينهما الى مائة وانه يحتوى على مواد اخرى مختلفة بعضها سابح فيه والبعض الآخر محلول فيه فالسـابح هو المادة الشبيهة بالليفة العضلية المظنون انها سـابحة فيه فى حال صلابتها والمحلول فيه هو اولا المادة الزلالية ونسبتها اليه كنسبة اربعة او ستة الى مائة وثانيا المادة الدهنية الشبيهة بالمادة الدهنية المخية لكنها عارية عن الخواص الدهنية وثالثا زيت مفصفر ابيض ورابعا الجوهر المغذى وخامسا وهو الاخير املاح مختلفة ويمكن ان توجد فيه ايضا الجواهر التى وصـلت الى المعدة فى حال الحياة كملح البارود والاصـول الملونة للفوة والراوند (القول الثالث) فى الفرق بين الدمين والفرق بين الدم الوريدى والدم الشريانى فى حال الحياة وهى قلة مايوجـد فى الدم الوريدى من الكراة والمادة الليفية والماتوزين كلمة يونانية معناها الدم اعنى اصـل الحياة الموجودة

فى الدم والا وكسيجين وقتامة اللون عما يوجد منها فى الدم الشريانى والعناصر المذكورة موجودين فى الدم الشريانى والماتوزين هو الاصل المنبه لجميع الوظائف وهو الملون للدم وهو موجود بكثرة فى دم الجنين ولا يتسلطن عليه الجزء المائى الا عند ولادته وهو ايضا يتناقص من الحالة المرضية ولا يظهر تناقصه الا بعد استقرار المرض زمنا طويلا ومن حيث ان تناقصه فى الحالة المرضية بطئ يكون استعواضه عند عود الصحة كذلك ولذا يعسر عود الصحة التالفة من طول المرض واذا استفرغ دم بفصادة استعوض جميع اجزائه بسهولة الا الا ماتوزين اى اصل الحياة اعنى اصل الدم فلا يستعوض الا بعد زمن طويل ولذا ينبغى الاحتراز الزائد من تكرير الفصد ومن اكثار الدم المستفرغ به لاسيما للاشخاص الضعاف (القول الرابع) فى تغييرات الدم فى الامراض واعلم يا بنى انه لاينبغى انكار تغيير الدم فى الامراض بالكلية غاية الامر انها اندر من تغيرات بقية الاخلاط والقائلون بتسبب الامراض عن تغير الجوامد فقط المنكرون تسببها عن تغير الاخلاط كما تجاوزه الاخلاطيون القائلون بان جميع الامراض ناشئة عن تغير الاخلاط فقط وانما الاخلاط كما يتغير تركيبها من فعل الجوامد كذلك الجوامد يتغير تركيبها من فعل الاخلاط فان المجموع الماص يمكنه ان يدخل فى كتلة الاخلاط اصولا غريبة تغيرها فتكون ينبوعا واضحا لامراض كثيرة كالاصول المعدية اى المولدة للعدوى والسمية ونحو ذلك والمداومة على غذاء كذا دون كذا تحدث فى الاخلاط تركيبا مخصوصا به تؤثر تأثيرا ظاهرا فى الجوامد فان الاقتصار على استعمال المآكل النباتية يحدث فى الدم اصولا ملطفة تنبه الاعضاء تنبيها لطيفا بحيث انها تؤثر تأثيرا ظاهرا فى جودة الاخلاق ولذا صارت الحيوانات التى لاتتغذى الا من اللحوم فقط متوحشة ضارية واهل القبائل الذين يغتذون من اللحوم فقط اشد قساوة من غيرهم (القول الخامس) فى بيان مقدار الدم فى الجسم البشرى ولنذكر لك يا بنى بيانا شافيا فى مقدار الدم فى الجسم البشرى

وذلك

وذلك ان الدم متى خرج من الاوعية واخذ فى البرودة تصاعد منه بخار مائى تكون فيه رائحة الدم المختصة به شديدة خصوصا ماتصاعد من دم الحيوانات التى تتغذى باللحوم وقد قال بعض الاطباء ان جميع الخواص الحيوية للدم ناشئة من وجود هذا المتصاعد فتى فقد من الدم هذا المتصاعد صار فى حالة رمية و بسبب تطاير هذا البخار وتحلله لم يتمكن الاطباء من ان يحكموا بان تحصل منه نتائج تفيدنا بيان الصحة اوالمرض واعلم يا بنى ان مقدار الدم الموجود فى الجسم البشرى يعسر تعيينه وقدره بعض العلماء بعد ان تركه سائلا من حيوان حتى مات بخمس ثقل الجسم لكن هذا التقدير فاسد فانه لايمكن قط اخراج جميع الدم المنحصر فى الاوعية لا بالطريقة المتقدمة ولا بغيرها من الطرق المستعملة لاهلاك الحيوان لانه يعسر تحققه بعد انقطاع استمرار النزيف المعقوب بالموت فان الدم يتولد بسهولة فى مدة اربع وعشرين ساعة كما يحصل للاشخاص الفاقدين نحو ثلاثين رطلا منه والغالب ان مقداره فى الجسم البشرى من خمسة وعشرين رطلا الى ثلاثين ونسبته لثقله كنسبة الواحد لاربعة او خمسة على ان هذا المقدار يختلف بالسن ايضا فيكون كثيرا فى الاطفال لكثرة اوعيتهم الشعرية التى تتناقص بتقدمهم فى السن حتى تنسد فان اغلب الاوعية الشعرية الشريانية ينسد فى سن الشيخوخة وكذلك يكون كثيرا فى الاشخاص ذوى الامزجة الدموية فان المجموع الدورى فيهم اعظم منه فى غيرهم فيكون الدم فيهم كذلك وقد اتفقت كلمة العلماء على ان الدم توجد فيه اجزاء ولم تتفق كلمتهم على تعيين شكلها لانه لايمكن التحقق منه بالنظارة المعظمة الا بعسر شديد فقال بعضهم انه كروى وبعضهم انه خلاف ذلك (القول السادس) فى بيان كيفية الشرايين وهنا نورد لك يا بنى كيفية الشرايين على اللف والنشر فنقول ان الدم الذى يدخل فى البطين الايسر الآتى له من الاذين الوارد عليه من الرئتين يدخل فى قناة واحدة كبيرة تعرف بالاورطى اى الابهر اوالوتين الذى يمتد من البطين الايسر الى اعلى ثم

يحنى على نفسه فيخرج من هذا الانحناء من جهتى اليمين والشمال اربعة
فروع توصل الدم الى جهتى الرأس والذراعين وهذه الفروع الاربعة هى التى
يحس بها فى القبضتين والصدغين والابهر المذكور بعد ان تتوزع منه تلك
الاوردة ينزل الى الجهة السفلى وحيث انه هو الذى يتغذى منه الجسم كله
فوقايته من كل عارض ضرورية لانه ان قطع مات الانسان لامحالة ولهذا
جعله الله سبحانه وتعالى شاغلا لاحسن الاوضاع واقره فوق العمود الفقرى
من امامه وهذا الابهر يكون فى مبدء الامر عند اخذه فى النزول واقعا خلف القلب
امام الفقرات ثم ينزل الى الفقرات القطنية وبهذه المثابة يكون كانه موجود فى
حصن منيع ولايضاح ذلك نمثل لك هذا المثال وهو انك اذا وضعت امامك فى
المائدة خاروفا صغيرا قريب عهد بولادة وتأملت فى فقراته لوجدت خيط
عمود ممتد على طول الفقرات فهذا هو الابهر المذكور الذى عند مروره
بالجسم يوزع الدم على الشرايين فتوصله الى جميع جهات الجسم وهذا
الابهر متى وصل الى الفقرات القطنية تشعب وانقسم الى شريانين غليظين
كل واحد منهما نازل فى جهة الى نهاية الرجل ويتوزع من الاورطى ما
بين الفرعين الاسفلين والاربعة فروع العليا شرايين القلب وشرايين
الصدر وشرايين البطن وجميع تلك الشرايين كلما تباعدت عن الابهر
انقسمت الى ما لانهاية حتى تصير كالشعر او الشعر الدقيق وتنشبك فى كل
عضو كشبكة (القول السابع) فى كيفية المسام فبناء على ما ذكر لو اردنا
التوغل يا بنى فى وصف مايخرج من ذلك كله لتعذر الامكان ولاستحال
على الحاسبين فى الماضى والحال والاستقبال الوصول الى ذلك ومن هنا
يتحقق يا بنى انه لايوجد اى نقطة من نقط الجسم خالية من العروق لانك
ان غرزت ابرة فى اى موضع كان من الجسم لخرج دم على قدر الغرزة
وهذا يدل بلا شك على ان سن الابرة يقابل وعاء من اوعية الدم اذ لو
كان الامر بخلاف ذلك لمرق السن من اى مكان بدون ان يخرج منه دم
وحينئذ لو عددت ما تحتوى عليه سعة الجلد من المواضع التى يغرز فيها

سن الابرة ويخرج منه الدم لاستحال احصاء العروق الموجودة في الجسم وحصرها بالعد وبهذا ترى انه لا يتأتى حصرها باى عدد كان ولعلى انه ربما خطر ببالك يا بنى ان قولى هـذا فيه مبالغة فاذن اريد ان ارفع الشك عنك وادفع عنك الوهم بما تزداد به يقينا وهو انك تأخذ نظارة معظمة من النظارات التى تكبر الاشيئا عن اصلها بمقدار يختلف الف مرة الى مائة الف وتنظر بها الى اى نقطة من الجسم فيظهر لك ان هذه النقطة التى تبدو للعين انها صغيرة تصير ذات سعة كبيرة مشتملة على عروق غليظة كالحبال الغليظة جدا وان كل واحد منها ينقسم الى عدد غير متناه وهناك طريقة اخرى يوجد بها المسام فكل مسامة بها عروق ومن المسام يحصل التنفيس الجلدى والعرق الغير المحسوس لانه قد ثبت بالتجربة ان الجسم يفقد بهما خمسة اسداس الغذاء الذى يدخل فيه ولا غرابة فى فقد هذا المقدار بواسطة المسام لانه قد شوهد بالتجربة مرارا بالنظارات المعظمة فى خط من القيراط فى الجسم البشرى اكثر من مائة من المسام فيكون فى القيراط اكثر من الف وفى القدم اكثر من اثنى عشر الفا فيكون فى القدم المربع مائة واربعة واربعين مليونا تقريبا حاصلة من ضرب الاثنى عشر الفا فى نفسها ومن حيث ان مساحة الجسم البشرى المتوسط اربعة عشر قدما مربعا وفى القدم مائة واربعة واربعون مليونا تكون المسام الموجودة فى الجسم البشرى بليونين وستة عشر مليونا حاصلة من ضرب المائة والاربعة والاربعين فى اربعة عشر فانظر يا بنى كيف عدد المسام الجلدى الذى كل مسامة بها عروق فاياك ان تتوهم انه يوجد ادنى مبالغة فى قولى لك ان الابرة تقطع عند غرزها فى الجسم جملة عروق فيما ذكر يتضح انه لا يمكن خلو ادنى جزء صغير من اجزاء الجسم عن كثير من العروق المملوءة بالدم الذى هو السبب فى انشائها وهو الذى عليه مدار وجودها حتى ان كل من يتجرد عنها يموت فى الحال

﴿ الفصل التاسع ﴾

في بيان ان الوتين هو من جملة اسماء الاورطى وفيه مقالتان فان قلت كيف نذكر الوتين من جملة اسماء الاورطى قلت لك ان الوتين هو نفس الاورطى والابهر والاول والاخيرهما الوريدان بحقيقة تسمية هذا العرق واما تسميته بالاورطى هي تسمية حديدة بمعنى انها مشبهة باورطى العسكر اعني ان هذا العرق مجموع يتفرع منه خمسة فروع اى اقسام والوتين تسمية قرآنية والابهر تسمية حديثية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونعرفك يا بني ان الابهر ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله سبحانه (ولو شئنا لقطعنا منه الوتين) وذكر ايضا سبحانه وتعالى في قوله (ولقد خلقنا الانسان ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) فذكر الاول بمعنى ان هذا الدم المتفرع في الابهر هو مشتمل على اصل الحيوة وذكر الثاني بمعنى انه سبحانه وتعالى اقرب اليه من التغذية اى التحليل والتركيب بقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وسأ ورد لك يا بني تفسير هاتين الآيتين في مقالتين (المقالة الاولى) قوله تعالى (لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وفيها مسألتان المسألة الاولى في هذه الآية وجوه الوجه الاول لاخذنا منه باليمين اى القوة الموجودة في جسمه اعني ان شق الجسم احدهما اقوى من الآخر وهو اليمين الوجه الثاني معناه لاخذنا اى بيده ثم لضربنا رقبته وهذا ذكره على سبيل التمثيل بما يفعله الملوك بمن يكذب عليهم فانهم لايمهلونه ويضربون رقبته في الحال وانما خص اليمين بالذكر لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذه بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يلحقه بالسيف وهو اشد على المعمول به ذلك العمل فنظر الى السيف اخذه بيمينه ومعناه لاخذ منه باليمين وقوله لاخذنا منه باليمين اى لابطلنا منه اصل القوة المشتركة بين الوتين والمادة العصبية كما ان قوله لقطعنا منه الوتين اى لقطعنا وتينه اى ابهره وهذا قول الحسن البصري الوجه الثالث ان اليمين بمعنى القوة والقدرة وهو قول الفراء والمبرد والزجاج وانشدوا قول الشماخ

اذا

اذا ماراية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

والمعنى لاخذنا منه باليمين اى سلبنا عنه القوة والباء على هذا التقدير صلة اى زائدة قال ابن قتيبة وانما اقام اليمين مقام القوة لان قوة كل شئ تكون فى ميامنه (المسألة الثانية) فى كيفية الوتين وقطعه الوتين هو العرق المتصل من القلب الى امام السلسله فى الجذع المتوزع منه جميع عروق البدن وهذا الوتين اذا قطع مات صاحبه بوقته مثل قطع الراس ويقابله الحبل النازل من المخ الى العجز اذا قطع مات الحيوان قال ابو زيد وجمعه الوتن وثلاثة اوتنة والموتون الذى قطع وتينه قال ابن قتيبة ولم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب لامتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله عليه السلام ما زالت اكلة خيبر تعاودنى فهذا اوان انقطاع ابهرى اى وقوف الحيوة والابهر هو اصل مجرى الحيوة والانقطاع اى انقطاع الدورة الدموية اى الموت وكانه قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذ اوان ان يقتلنى السم المؤثر على ابهرى وحينئذ صرت كمن انقطع ابهره اى وتينه (المقالة الثانية) فى قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) بيان لحال قدرته وعلمه والوريد العرق الذى هو مجرى الدم الذى يجرى فيه ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن ويغذيه بتلك الاجزاء الدقيقة التى تأخذها الاعضاء من اطراف تلك الحبال الموصلة للدم والآخذة ماخرج منها والله تعالى اقرب من محل تلك الجزئيات بعلمه ويحتمل ان يقال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بتفرد قدرتنا فيه يجرى امرنا فيه كما تجرى دورة الدم فى عرقه ويطلق الوريد على العروق الصغيرة المتفرعة من المجرى الاصلى وهو اسم الاوعية الشعرية لانه يتفرع منها عدد غير متناهى فى القدر والصغر وكل عرق شريانى يتركب كما يتركب الكبير من ثلاث طبقات متداخلة فى بعضها والدم يجرى فى باطنها ومن هنا تفهم حقيقة مااودعه الله سبحانه وتعالى من العجائب فى كل جزء صغير ما امكن من اجزاء الجسم

وعلى مقتضى ما اوردناه لك آنفا يسهل علينا ان نشرح لك كيفية تغذى الاعضاء وذلك لان الوكيل الذى سبق الكلام عليه واظن انك ما نسيته متى وصل الى نهاية الشرايين الشعرية اشتغل بكونه يوزع على كل جزء من اجزاء البدن ما يخصه بدون ان يقع منه ادنى خطأ بمعنى انه يبعث مثلا الى الاعين والآذان ما يوافقها كما انه يرسل الى الشعر والاظافر والجلد فلا تعجب يا بنى من امتزاج ذلك كله فى آنية واحدة فان كل عضو يأخذ ما يختص به بحيث لا يتعدى على غيره وهذا كله يجرى بتقدير العزيز العليم وبالجملة فكل من الاعضاء قائم بذاته له حياة خاصة به وحينئذ فمثله مع الدم كمثل الاحباب الذين يتعارفون فى جمعية ويأخذ بعضهم بايدى بعض هذه حالته المعتادة لكنه يحصل منها فى بعض الاحيان ما يحصل من الادميين الذين يقع كثير منهم فى الخطأ ولا يميز العدو من الحبيب فانها طالما تخطئ ولا تصيب وتأخذ من الاعضاء ما ليس له معها ادنى ائتلاف وقد يكون هذا ناشئا عن جهلها بنفس المادة اللازمة لها ولنمثل لذلك بالعظام فانها تتركب من مواد هلامية ومن فوصفات الجير الذى هو السبب فى صلابتها وهذه العظام تكون فى مبدء الامر هلامية ويتوالى دخول فوصفات الجير عليها مع الزمن فتأخذ فى الازدياد على حسب التقدم فى السن وبهذا المثابة لا تأخذ من الدم سوى المواد الهلامية والملح المسمى بفوصفات الجير فاذا اعتراها كسر فانه يحصل فى محله التهاب يترتب عليه تغير ذوقها وتأخذ من الدم ما تتكون منه لحمته فيلتحم محل الكسر المذكور وهذا هو الاستثناء وهنا نعلمك بالآلة التى ترجع العظام الى الهلام وهو قدر بابين وهو اسطوانى الشكل يعمل من معدن صلب كالنحاس او الحديد يملأ ماء ويسد عليه ببرمة متينة جدا لتمنع نفوذ البخار ويسلط عليه تنور يسخن الماء فى باطنه حتى تصل حرارته لدرجة تطبخ عظام اكبر الحيوانات وتخرج منها المادة الهلامية القائمة مقام اللحم فى الاقتيات واذا اردت ان تحضر مائة وستين رطلا طيبا من المادة الهلامية فى اربع

وعشرين ساعة بنحو ثلاثة عشر رطلا من الفحم فقد علمت من هذا ان العظام متكونة من المادة الهلامية وبدخول ملح الفوصفور الكلسي فيها تتصلب وقد تمتنع العظام في بعض الاحيان في الامراض من اخذ فوصفات الكلس بالكلية فلا تتجدد وتتناقص شيأ فشيأ بسبب امر الهدم الذي سبق ذكره وهكذا حتى يأتي عليها زمن لايكون لها فيه طاقة على تحمل ثقل الجسم وقد تتصل الى العظام في سن الشيخوخة كمية عظيمة من الفوصفات الجيرية فلا يبقى فيها موضع قابل لما يرد اليه من الفوصفات الجديدة مع الدم ولاجل ان يتخلص الدم منها في دورته يقابل من الاعضاء مايكون له معه ائتلاف في غذائه على خلاف عادته ويتناوله بدون ان يستأذن الوكيل الذي يجد نفسه بهذه المثابة مهملا فيضمحل امره ولا يتجاسر على مخالفة قانون هذه العادة الا الشرايين والعضلات التي تصير بعد مدة عظاما وامثال ذلك كثير لايحصى وليس الغرض من ايراد ماذكر الا لتعلم منه يا بني اننا لم نقف على الحقيقة على ماينبغي لان جثة الانسان هي مخزن عجائب كلما تأملت في جهة منها ترى بها من هذه العجائب ما يغاير في الجنس مما تشاهده في الجهة التي تتركها وهي مشغولة بسكان ليسوا بظاهرين لك ياكلون ويشربون ويتريضون ولا يعلم حقيقتهم الا الخالق البارى جل شأنه

﴾ الفصل العاشر ﴿

في اللفظة اللاطينية اعني اعضاء ومايتعلق بها قد ذكرت لك هنا لفظة تقدمت وقصرت على خلاف عادتي عن تفسيرها وليس الحامل لي على ذلك سوى كوني اعلم ان جميع الناس يعرفونها وانت لا تجهلها لكنه لما خطر ببالي انهم ربما كانوا يفهمونها على غير حقيقتها التزمت بايضاحها حتى يندفع الشك وبعلم كنهها وهذه اللفظة التي ترجمتها اعضاء هي كلمة لاطينية معناها آلات وحينئذ ينبغي ان يفهم منها عند اطلاقها آلات الجثة التي منحنا بها الله سبحانه وتعالى وجعل عليها مدار امور الحيوة وحيث انه لايخلو في الجثة ادنى جزء صغير عن منفعة لشيء اولامر مهم فهي من

اعلاها الى اسفلها عبارة عن آلات مجتمعة * فالعين هي آلة الابصار والقلب هو آلة دورة الدم والكبد هو آلة صناعة الصفراء والعظام هي الآلات المعدة لحمل الجثة والعضلات هي القوى التي تنشأ عنها الحركة والجلد هو الآلة الواقية والحصن الحافظ وآلة الحس واللمس والمعدة آلة لتسوية الكيموس والاثنى عشرى آلة لتسوية الكيلوس والماء الدقيق آلة لفعل فصل الكيلوس عن المادة الثقلية وامتصاصه والكليتين آلة لافراز البول والانثيان اى البيضتان آلة لافراز المني والمخ وما يتبعه آلة التفكرات ومأوى الحياة ولنقدك ان العضو الواحد كله آلات مثلا الكلية هي مركبة من ثلاث طبقات طبقة قشرية يتوزع بها جملة من الاوعية الشعرية وهذه الطبقة مع الاوعية الشعرية كل جزء منها آلة لكيفية تغيير الدم الى جوهر آخر والطبقة الثانية وتسمى الجوهر الانبوبي تحبل مايفرزه الجوهر القشرى الى بول خال ورؤس الانبوبي كشبه حلمات متجهة نحو الكؤس ومن الكؤس الى الحويض ومن الحويض الى الحالبين الى المثانة وكل هذه آلات وفي الكلية آلات اخرى وهي الشرايين المغذية الى الكلى فكل جزء من جزئيات الكلى آلة لتغذيتها و كل الاعضاء كذلك وبالجملة ليس في الجثة جزء مجرد عن المنفعة لان البارى جل شأنه لايخلق شيئا عبثا ولك ان تعبر عنها بانها مخزن لآلات او اعضاء لكل واحد منها في حد ذاته كيفية مخصوصة مخالفة للكيفية التي يقوم بها غيره ولكل منها سر خاص به وله حياة قائمة بذاته وحينئذ فالحيوة مؤلفة من مجموع كل واحدة منها وهي وان كانت غير مرتبطة ببعضها الا انها تمتزج امتزاجا كليا وينشأ عنها سر خفي وتصير هي الحيوة التي تقوم بالجثة في الظاهر والباطن وهي عامة فيها ليست موجودة في محل معين منها ومن هنا تستنبط قاعدة مهمة وهي انه كلما تعددت الاعضاء في الحيوان تعددت حواصل الجمع وبهذه المثابة تتسع دائرة حياته وكلما تناقصت الاعضاء المذكورة تناقصت حواصل الجمع وقصرت الحيوة وسيظهر لك يا بني عند بسط الكلام

على

على شرح اعضاء الحيوانات ان بعضها لايكون له الا عضو واحد فتكون حياته قصيرة جدا بحيث لا يتأتى حصر مقدارها وضبطه وقولي ان الحياة هي عبارة عن حاصل جمع كذلك وان كان صحيحا من جهة الا انه لخوفي من وقوفك على غير الحقيقة قد الزمت نفسي ان اوضح لك ان هذا الحاصل ليس بحاصل جمع اعداد على انه يلزم تعريف الحياة بما هو اجل وارفع من ذلك لنضرب لك مثلا اذا جمعت آلات الطرب جمعت في محل وضرب عليها فيسمع من كل واحدة منها نغم مغاير لنغم الآخر لان التأثير الناشيء عن نغم الرق مخالف للتأثير الناشيء من الناى والتأثير الحاصل من القانون مخالف للتأثير الحاصل من نغم العود وهلم جرا فيعلم من هذه الانغام المتفرقة انه يتألف منها نغم مخصوص له عند المشغوفين بالسماع اسم مخصوص وهو غير مشابه لغيره من الانغام المتفرقة المذكورة التي كل واحد منها ناشيء عن كل آلة على حدتها وحينئذ فالنغم المؤلف من انغام الآلات الموجودة في الجثة هو الذي صوره المولى عز وجل وحيث علمت الآن المراد من قولي نغم فانه من الواجب عليك ان تجيب من يسألك عن الحياة بقولك له انها نغم فلا تغفل عن ذلك لانى ماقصدت به الا مجرد التشبيه وانى لااعلم كنه الحياة ولا كيف هي والذى اخذت عنه العلم لايعلمها زيادة عنى بل اعلمك شيأ ذكرته في كتابي كشف الاسرار النورانية ان الروح هي الريح كما اخبر عنها سبحانه وتعالى في قوله (ونفخنا فيه من روحنا) كما هو مبسوط هناك فلو نظرت وتأملت في كيفية الهواء ودخوله في الرئة وملامسته له وانه يعوض ماتقص من الحياة فلو طفت بجميع بقاع الارض وسألت اهلها لما افادوك الا كهذا فينبغي ان تكل الامر لعظمته جلت قدرته (القول الاول) في رجوع هذا الدم الى القلب ولقد ذكرت لك آنفا ان الاعضاء تأخذ من الدم مايلزم لها في غذائها عند ماتكون في نهاية الشرايين وماذكرت لك كيف يرجع هذا الدم الى القلب مع ان ذلك من اهم الامور والزم الضرورات لكن حيث تقدم ان كيفية التغذية بهذه

المثابة من الاسرار الربانية فكذلك تكون كيفية رجوع الدم ثم وان كان لايخفى ان القنوات الشعرية الشريانية تتفرع الى غير نهاية وان نهاية كل منها هى مبدء الاوردة الشعرية التى يكون عددها ايضا غير متناهى وان الدم يصل اليها من جميع الجهات بلا توان البتة فتسوقه الى القلب وحينئذ فقد علم ان المحل الذى تبتدئ منه الاوردة هو الذى تنتهى اليه الشرايين (القول الثانى) فى بيان مجئ الحرارة الانسان فاذا اردت ان تعرف من اين للانسان ان يعلم مجئ الحرارة له مادام انه لم يتأت له مشاهدته فاقول لك ان هذه المشاهدة متعذرة له فى نفسه بل وفى الحيوانات الاقرب منه شبها ولكنها ممكنة له فى غيره مما هو اقل منه كالا لانك تعلم انك لو وضعت يدك على عنقك استشعرت بحرارة واذا وضعتها على هرة او على طائر صغير استشعرت فيهما بمثل هذه الحرارة ايضا فلو سألتنى عن منشأها قلت لك انه من الدم نفسه لانك لو وضعت يدك على ضفدعة لاستشعرت ببرودة فان قلت من اين نشأت هذه البرودة قلت لك انها نشأت من الدم ومن هنا تعلم ان دم الضفادع ليس فيه سخونة كدم الانسان وغيره من الحيوانات وحينئذ يقال ان المخلوقات ذوات الدم الاحمر البارد كالثعابين والضفادع والسلاحف والورل والاسماك وما شاكلها لاتختلف فيها دورة الدم عن دورة دم الانسان غير انه آلة تسخين الدم فيه وفيما يماثله ليست فى الصناعة كآلة تبريده فيها وبذلك تحكم بانه يوجد فرق بين جسم الانسان وجسم غيره من الحيوانات التى هى دونه فى كمال الخلقة (وهنا) نبسط لك يا بنى الكلام فى كيفية انتشار الحرارة فنقول اعلم ان جميع الاجسام الطبيعية تقذف وتقبل سيالا غير قابل للوزن تسميه العلماء عنصر الحرارة وعنصر الضوء وعنصر الكهربائية لانه مشتمل على هذه الثلاثة وهو جسم واحد ويتنوع بهذه الثلاثة على حسب مايرد على اجسامنا والاجسام الغير العضوية بواسطة توارد اطوار هذا السيال عليها تكون فى درجة حرارة متوازية واما الاجسام العضوية فهى

بعكس ماقبلها فتحفظ سواء فى الاقاليم الحارة والباردة درجة حرارة مخصوصة وتكون درجة الحرارة فى بعض من الاجسام مختلفة قليلا عن درجة الحرارة الكائنة فى الاجسام المحيطة بها كالنباتات والحيوانات ذوات الدم البارد والحرارة التى يحفظها الجسم البشرى تكون دائما منه اثنين وثلاثين درجة الى ثلاث وثلاثين من ميزان الحرارة ولو كانت الحرارة الخارجة عنه مهما كانت فيمكن ان يحمل حرارة خط الاستواء التى منها تنشوى وتنطبخ الجواهر الحيوانية المذبوحة لاجل الطعام وقد علم ان عنصر الحرارة الكامنة فى الاجسام والمتحدة بها ينتشر عندما تنتقل هذه الاجسام من الحالة الغازية الى حالة السيولة ومن حالة السيولة الى حالة الصلابة والدم المندى لجميع جهات البنية البشرية يقبل دائما اما بواسطة التنفس واما الهضم وجميع هذه الجواهر المختلفة جدا تصل الى البنية مخالطة بمقدار ما بين هذا العنصر ولا ينفصل منها الا عند مكابدتها لتغيرات بواسطة التأثير العضوى فتسخن الاعضاء التى يحصل فيها هذا الانتشار والحالة السائلة المدنة للجواهر الغازية انما هى ناشئة من تجمع عنصر الحرارة فيها فحينئذ تفيد اعضاؤنا حرارة عظيمة عند انتقالها الى حالة السيولة فالاوكسجين اى اصل تركيب الهواء وهوالينبوع الاكثر غزارة لعنصر الحرارة الذى تنتشر به اعضاؤنا والحرارة الحيوانية تكون دائما بحسب سعة المسالك التنفسية ومقدار الاوكسجين الذى ينتشر به الحيوان فحرارة الطيور اكثر من حرارة البشر لان سعة اعضاء التنفس فيهم اعظم وتنتشر بها للاوكسجين اكثر والهضم ايضا ينبوع غزير لعنصر الحرارة لا سيما هضم بعض الاغذية والجلد ايضا يؤثر فى الهواء الجوى فيحدث فيه تحليل تركيب ينتج منه ايضا انتشار عنصر الحرارة واخير اتتولد الحرارة فى جميع اجزاء الجسم التى تضطرب فيها العضلات بواسطة حركتى التركيب والتحليل (القول الثالث) فى بيان ان الاعصاب ليس لها دخل فى وظيفة تولد الحرارة اعلم يا بنى ان الاعصاب

ليس لها دخل فى وظيفة تولد الحرارة لانه اذا قطع عصب قصدا اوغيره حصل للعضو الذى يتوزع فيه هذا العصب برد مؤلم وذلك ليس لكون الاعصاب هى المولدة للحرارة نفسها بل لانها مستودع للقوة العصبية التى هى ضرورية لحياة المجموع الوعائى الدموى فيكون حينئذ هذا البرد ناشئا ببطء الحركة الدورية بسبب ضعف القوة العصبية ونحن وان كنا خالين من المعارف الكافية فى معرفة الكيفية التى بها يحمل الجسم دخول الحرارة الزائدة جدا الا انه يصح لنا ان نعتبر ان البخار الجلدى والتنفس الرئوى اللذين يزيدان من استعمال الجواهر المسخنة اشد الوسائط التى تتخلص بها البنية الالية من زيادة عنصر الحرارة فيها ويحصل لها بها الموازنة فالسبب فى كون الجسم البشرى يقوى على تحصيل البرد هو ان فعل الاعضاء يزيد بواسطته فينتشر فى الجسم مقدار من الحرارة مساوى للمقدار الذى فقده بسبب الهواء او الاجسام الاخر الملامسة له لكن لا ينبغى السهو خصوصا بحسب علم الشفا عن ان البرد موهن فى حد ذاته ولا يحدث فعلا مقويا فى الاعضاء الا بواسطة رد فعل حيوى فينبغى ان يحترس من استعماله بمنزلة دواء مقوى للاشخاص الضعاف الذين بنيتهم غير قادرة على احداث رد الفعل الصحى المذكور وان يحترز خصوصا من استطالته وضده وما جرت به العادة من غمر الاولاد فى الماء الجليدى لا يكون مناسبا الا فى القبائل الشمالية القوية البنية * وحيث انه قد سبق القول منى يا بنى ان الدم الشريانى بعد انتشاره فى جميع جهات الجسم بواسطة القنوات الشعرية يدخل فى القنوات الوريدية ويتوجه فى سيره نحو القلب فان قيل لاى شئ سلك الدم هذه الطريق دون غيرها قلت انه سلكها ليتأتى له المرور بالقلب والوصول الى الرئة ثم يتغير ويتحول الى دم شريانى نافع للغذاء ويكتسب الخاصية وهى قيامه باداء لوازم الحياة وكفاية الجسم من حيث كونه متكفلا ببقائه ولا يخفى ما فى هذا من الاشتمال على سر من الاسرار وهو التنفس الذى ينبغى قبل بسط الكلام عليه تعريف الهواء الذى نستنشقه لان هذا

هذا التنفس عليه وانت تعلم ان الهواء ثقيل لكونه ان كل سنتيمترو مربع من اى سطح يحمل فوقه منه كيلوغرام وثلثمائة جزء من الف جزء حتى ان الكتاب الصغير الذى تتناوله بيدك يحمل فوق سطحه مائة وسبعة وثمانين كيلوغرام لان عرضه احد عشر سنتيمترو وطوله سبعة عشر سنتيمترو وانت خبير بمساحة الشكل المستطيل هى عبارة عن ضرب طوله فى عرضه فكيف تعجب وتضحك من قولى لك ان سطح الكتاب المذكور يحمل هذا القدر الذى هو عبارة عن خمسة قناطير مصرية يسهل عليك رفعها باصبعيك مع انك لاتقدر على حمل نصف قنطار ولا شك انه ماوقع منك الضحك الا من باب الانكار المتقدم ذكره من كل جهة ولنزدك بيانا وههنا ابحاث ﴿ البحث الاول فى التثاقل ﴾ اعلم ان الاجسام التى تظهر فيها قوة التثاقل صغيرة جدا بالنسبة للارض فان محيطها سبعة وعشرون الف ميل ولا تبعد عنها الاجسام الا بمسافة قليلة لكون الارض تجذبها اليها نظرا الى كبرها عنها وهذا الجذب هو المانع للاجسام من تشتت الاجزاء الصغيرة المنفصلة منها وهذه القوة تسمى بالجاذبية الى المركز وصعود بعض الاجسام كالدخان والبخار وغيرهما انما هو بسبب خفتهما عن ثقل الهواء المساوى لحجمهما فانه اذا اجتمع جسمان على اخفهما فوق الآخر كما يشاهد فى الخشب خصوصا خشب الفلين ثم ان سرعة سقوط الاجسام فى الهواء ليست على حسب مقادير زنتها فاذا كان جسمان وزن احدهما كوزن الآخر ست مرات لايسقط بسرعة ضعف سرعة الآخر ست مرات فلو كان هناك كرتان احداهما من زجاج والاخرى من مثانة منفوخة وكان وزن التى من الزجاج مثل زنة التى من المثانة تسعة عشر مرة والقيتا من اعلى منارة فان وصلت الاولى الى الارض فى ست ثوانى وصلت الثانية فى ثمانية عشر ثانية فتكون نسبة احدى السرعتين للاخرى كنسبة الواحد الى الثلاثة مع ان نسبة الوزن بين الكرتين كنسبة الواحد لتسعة عشر ولو سقطتا بسرعة واحدة لان سقوط جميع الاجسام فى الفراغ يكون بسرعة واحدة وان اختلف الثقل والذى يثبت ذلك ان يوضع فى

انبوبة واسعة طولها ستة اقدام مسدودة الطرفين بسدادتين من نحاس ينطبقان على الطرفين باستحكام قطعة من ورق واخرى من رصاص وقطعة من قماش واخرى من وبر ريش ثم يستفرغ من الانبوبة الهواء من فتحة فى احدى السدادتين فاذا جعلت اعلا الانبوبة اسفلها مرات عديدة متوالية شاهدت فى كل انقلاب سقوط الاجسام التى فيها بسرعة واحدة فاذا دخل فى الانبوبة بعض هواء كان الرصاص اسرع الاربعة سقوطا ﴿ البحث الثانى فى زنة الاجسام ﴾ فالاجسام منها ماهو ثقيل ومنها ماهو خفيف والفرق فى هذه انما فى الزنة الظاهرية اعنى النوعية لا فى الزنة الحقيقية فان زنة الرطل من الاسفنج او الزغب كزنة الرطل من الرصاص والزنة النوعية زنة كل جسم على حدته فى حجم معين وقد جعلوا الماء المقطر معيار المعرفة الزنة النوعية من الاجسام الصلبة والسائلة وجعلوا الهواء معيار الزنة الاجسام الغازية اى الدخانية فالمثال الاولى هو ان يؤخذ دورق له سدادة محكمة من نوعه ويملأ ماء مقطرا حتى تمس السدادة سطح الماء فيسد بها ثم يوزن الدورق ويعرف مقداره بالضبط وبعد ذلك توزن السدادة ويوضع الجسم المراد معرفة زنته النوعية فيخرج من الدورق ما يعادل ذلك الجسم ثم يسد ثانيا ويجفف ظاهره جيدا ويوزن ثانيا فتنقص زنة الماء الذى خرج منه ثم يخرج ذلك الجسم وينشف ويوزن وحده لتقابل زنته بزنة الماء الذى اخرجه من الدروق حين وضع فيه فان كان العمل فى الذهب وجدت زنة الدرهم كزنة الماء الخارج تسعة عشر مرة فيعلم ان الوزن النوعى للذهب تسع عشرة مرة لان الماء معدود بواحد وبهذه الطريقة يمكن معرفة الجسم المجهول بمعرفة وزنه النوعى فلو راينا قطعة معدن وجهلنا المعدن الذى هى منه ووزناها بالوزن النوعى فوجدناها بالاجرام ٧٥ر ٦١ ووجدنا الماء الذى اخرجته ٢٥ر ٣ اعنى ثلاث اجرامات وخمسة وعشرين جزأ من مائة من الاجرام عرفنا انها من معدن الذهب لاننا اذا قسمنا زنتها على على زنة الماء كان الخارج بالقسمة تسعة عشر وهى زنة النوعية للذهب فلو

كانت

كانت القطعة من النحاس وكان وزنها ٦١٫٧٥ لاخرجت من الماء ٦٫٩٤٢ اعنى ستا من الاجرام وتسعماية واثنين واربعين من الف من الاجرام تقريبا فاذا قسمت زنتها على زنة الماء كان الخارج بالقسمة ٨٫٨٩٠ وهذه هى زنة النحاس النوعية وجميع الاجسام توزن على هذه الكيفية الثانى الهواء هو كبقية الغازات من الاجسام التى تنقاد للجذب الارضى فله ثقل وتعيين ثقله يكون بان تؤخذ كرة من زجاج ذات حنفية توزن باتقان ثم تملأ ماء مقطرا ثم توزن ثانيا ويعلم وزن ما كان فيها من الماء بحيث ان كل جرام من الماء يعادل سنتميترو مكعبا منه ثم يفرغ الماء منه ويجفف جيدا ويفرغ منها الهواء بالآلة المفرغة جيدا وتقفل حنفيتها حتى لا يدخلها هواء ثم توزن فارغة ثم يدخل فيها الهواء ويكون جافا بامراره على كلورور الكالس ثم تقفل الحنفية وتوزن فاذا فرضنا الماء الذى كان فى الكرة ١٠٠ اجرام فكان وزن الهواء ١٢٫٩٩١ ولوزن عشرة اعنى عشرة سنتميترو منه ١٫٢٩٩١ ولوزن عشر عشره اعنى سنتميترو واحدا منه ٠٠٫١٢٩٩١ من مائة الف ويستخرج ذلك بطريقة الاربعة المتناسبة فيقال ان نسبة ٠٠٫١٢٩٩١ التى هى زنة سنتميترو مكعبا من الماء كنسبة مائة سنتى جرام مكعب من الماء للمجهول الذى هو زنة مائة سنتميترو من الهواء وترسم هكذا ٠٫١٢٩٩١ : ١ : : ١٠٠ : س = ٧٦٩٫٧٥ فينتج من ذلك ان الهواء اخف من الماء بسبعماية وتسعة وستين وخمسة وسبعين من مائة ويلزم فى تجربيات وزن الغازات ان تكون درجة حرارة المحل معتدلة وبهذه الطريقة يمكن وزن جميع الغازات بعد تنقيتها وزنا متقنا ومن حيث ان اكثر الغازات له تأثير فى المعادن فلتجعل حنفية الكرة التى يوزن فيها الغاز من البلور ﴿ البحث الثالث فى الوزن النوعى للاجسام ﴾ ولنزدك بيانا يا بنىّ فى الوزن النوعى قبل البسط على ثقل الهواء على الاجسام كما اشرت لك فى ثقله على الكتاب وانكرت على اوّلا ان

ارشميدس عين كية النحاس المخلوط بذهب التاج عند مسألة الملك هيرون عن هذا المشكل بحيث صار عنده ظن ان هذا التاج مخلوط مع الذهب بنحاس وطلب بيانه من غير ان يفسد التاج فمكث زمنا طويلا فى واسطة بها يمكنه الجواب عن هذا المشكل فكان ذات يوم فى الحمام ونزل فى الابزن اى المغطس فوجد خفة جسمه فيه ونظر الى مقدار الماء الذى سال من الابزن من دخول جسمه فيه وتفكر فى ذلك واستنبط منه قاعدة بها حل ذلك المشكل الذى سأله عنه الملك فصاح من الفرح قائلا وجدته وجدته فظنوا فيه انه اخذ عليه الحمام والقاعدة المذكورة ان الجسم الموزون فى الهواء اذا اوزن فى الماء فقد من زنته بقدر زنة حجم الماء الخارج وحجم الماء الخارج يساوى حجم الجسم فارشميد وزن قطعة من الذهب النقى فى الهواء ثم فى الماء وقطعة من النحاس النقى كذلك وعرف الزنة النوعية لهذين المعدنين ثم وزن التاج بهذه الكيفية فاذا فرضنا ان هذا التاج يشتمل على ١٢٣٫٥٠ اجراما من الذهب وعلى ٦١٫٧٥ اجراما من النحاس فيكون ثلثاه من الذهب وثلثه من النحاس ويكون وزنه فى الهواء ١٨٥٫٢٥ وقد تقدم ان ٦١٫٧٥ من الذهب يخرج من الماء ٣٫٢٥ وان مثل هذه الكمية من النحاس يخرج من الماء ٦٫٩٤٢ اجراما فالكمية الخارجة من الماء ١٣٫٤٤٢ حاصلة من ضم ما خرج بالنحاس لضعف ما خرج بالذهب ويرسم هكذا ٦٫٩٤٢ + ٣٫٢٥ × ٢ = ١٣٫٤٤٢ ويقال فى هذا الرسم ستة اجرامات وتسعماية واثنان واربعون جزأ زائدا ثلاث اجرامات وخمسة وعشرين جزأ مضروبة هذه الزيادة فى اثنين تساوى جملة ذلك ثلاثة عشر اجراما واربعماية واثنين واربعين جزأ فاذا قسمت الماية والخمسة والثمانون والخمسة والعشرون جزأ التى هى الوزن النوعى للذهب والنحاس على ما خرج من الماء وهو الثلاثة عشر الصحيحة والاربعماية والاثنان والاربعون الكسور كان الخارج فى القسمة ثلاثة عشر صحيحة وسبعماية وواحد او ثمانين كسورا وهى الزنة

النوعية للتاج فلو كان ذهب التاج غير مخلوط لكان الخارج فى القسمة تسعة عشر وحينئذ فالفرق الحاصل بين الثلاثة عشر والتسعة عشر يدل على كمية النحاس الوجودة فى التاج لان ثلث التسعة عشر هوستة وكسور وهذه الطريقة الحسابية تكفى لاثبات هذه الكيفية تنبيه ينبغى ان يكون العمل بماء مقطر تقطيرا جيدا و تكون درجة حرارته فى جميع مدة العمل واحده وطريقة الدورق يمكن ان يحصل بها الزنة النوعية للاجسام المسحوقة ايضا لكن كثيرا مايتخلل اجزاء المسحوق هوا فيحصل فى الوزن خلل ولو قليلا فان كان الجسم المراد معرفة زنته النوعية مما يذوب فى الما استعمل له سائل آخر كالزيت المعتاد او زيت آخر غير انه ينبغى ان تعرف الزنة النوعية لذلك السائل اولا بان يؤخذ كرة من زجاج تسع الف قمحة تماما من الماء المقطر جيدا وتملأ من السائل المراد معرفة ثقله النوعى ثم توزن ويؤخذ الفرق بين الوزنين فما بقى فهو الثقل النوعى للسائل مثال ذلك كرة تسع الف قمحة من الماء المقطر فاذا ملئت من حمض الزاج اى حمض الكبريت كان ملئها ١٨٤٥ من ذلك الحمض فيكون ثقل حمض الكبريت النوعى ١٫٨٤٥ فان قلت انه يلزم البسط فى بعض الوزن فى الماء والهواء قلت لك اذا كان جسم مثل الذهب اى اسورة وزنها فى الهواء ٣٨٫٧٢ درهما فكم يقتضى ان يكون وزنها فى الماء يكون ٣٦٫٧٢ قطعة خشب من فلين وزنها فى الهواء ٤٨ درهما وقطعة من النحاس وزنها فى الماء ٤٨٨ درهما وثقلهما معا فى الماء كان ٣٣٦ درهما فكم هو الثقل النوعى للفلين كان ٠٫٢٤ عشرا ولنزدك بيانا على ثقل الهواء على الاجسام فاذا كان حجر ثقله قنطار ان اذا علا فى الجو مقدار الف ميل من سطح الارض فما يكون وزنه هناك يكون وزنه مائة وثمانية وعشرين رطلا اذا كان جسم وزنه رطلا وعلى ثمانية آلاف ميل كان وزنه اوقية و ايضا اذا كان صخرة مائتان واربع وعشرون قنطارا عند سطح البحر اذا رفعت

الى مائة ميل كان وزنها خمسين رطلا فمن هنا تعلم ان الهواء مثقل على الاجسام ﴿ البحث الرابع ثقل الهواء على الانسان ﴾ وهنا نزيدك بيانا فى كيفية ثقل الهواء على الانسان اعلم ان اعتدال الهواء فى شواطئ البحار فى اوقات السكون فيكون ميزان الزيبق المسمى باروميتر ثمانية وعشرين رطلا وفى مقابلته من الميتر ستة وسبعون سنتيمترو اذا صعد هذا الميزان على الجبال كان انخفاض الزيبق ملليمتر واحد اى واحد من الف لكل عشرة امتار وخمسة اعشار ميتر من العلو المقطوع بالصعود فى عمود هواء مماثل له فى القطر فيكون الهواء اخف من الزيبق بعشرة آلاف وخمسماية مرة واذا انخفض به من المحال المرتفعة جدا كان لكل واحد من ميللى ميتر اى واحد من الف من الانخفاض اكثر من عشرة امتار وخمسة اعشار وكلما ارتفع عن سطح الارض ازداد وهذا مما يدل على ان كثافة الهواء تنقص كلما ارتقى فى الجو وحيث ذكرنا ان ضغط الهواء يعادل ستة وسبعين سنتيمترو من الزيبق فمن الواضح ان الهواء يثقل على الكرة بمثل مايحصل من طبقة زيبق سمكها ستة وسبعون سنتيمترو فالآن يمكن ان يعلم بالحساب مقدار سمك تلك الطبقة على الارض لانه قد علم ان كل دسيميترو مكعبا من الزيبق يقرب ثقله من ثلاثة عشر كيلواجرام وخمسة اعشار ثم انه قد سبق ان الباروميتر اذا كان فى حالة الانتظام يكون علو عامود الزيبق ٧٦ سنتيمترو فاذا كانت قاعدة العامود سنتيمترو واحدا كان العامود كله سنتيمترو مكعبا من الزيبق وزنه هذا المقدار من الزيبق تساوى حاصل ضرب جحمه فى ثقله ويرسم هكذا ٧٦ ×١٣٫٥٩ = ١٫٠٣٣ اى كيلواجرام واحد وثلاثة وثلاثون جزأ من الف جزء فينتج من ذلك ان كل عامود هواء يساوى قطر عمود زيبق قاعدته سنتيمترو واحد يكون وزنه ١٫٠٣٣ اى كيلواجرام واحد فاذا اريد معرفة زنة مايحمل الانسان من الهواء ان كل قيراط من الماء يساوى وزن ٣١٧ قمحة من الماء والزيبق يساوى

١٣٫٥٩ مرة اثقل من الماء فقيراط مكعب من الزيبق تزن ٤٣٠٢ قمحة و٣٠ قيراطا تزن ١٢٩٠٢٤ قمحة ولكن ٩٢١٦ قمحة تساوى رطلا مصريا كل مائة واربعة واربعون درهما فيكون ثقل العمود من الزيبق الذى علوه ٣٠ قيراطا وقاعدته قيراط واحد مربع يساوى ١٢٩٠٢٤ـــــ١٤ رطلا مصريا فينتج ان كبس الهواء على كل قيراط ٩٢١٦ من سطح الجسم اربعة عشر رطلا مصريا او اكثر مضروبة فى اربعة عشر قدما مربعا وذلك ان القدم المربع مائة واربعة واربعون قيراطا مضروبة فى اربعة عشر فيكون الناتج ٢٠١٦ قيراطا مربعا وهو مساحة جسم الانسان مضروبة فى اربعة عشر رطلا مصريا فيكون الناتج ٢٨٢٢٤ رطلا مصريا ونعلل بطريقة اخرى وهى من حيث ان الهواء يضغط على الانسان من كل جهة من الجهات الست وان مساحة الجسم البشرى المتوسط القامة اربعة عشر قدما مربعا كما قلنا آنفا تسهل معرفة ضغط الهواء وثقله عليه فميزان الزيبق الذى هو البارومتر ثمانية وعشرون قيراطا اعنى ستة وسبعين سنتيترو فثمانية وعشرون قيراطا قدمان ومساحة الجسم اربعة عشر قدما فتقسم على اثنين فالناتج من القسمة حينئذ سبعة فتضرب تلك السبعة فى ستة وسبعين سنتيترو فيكون الخارج ٥٣٢ وهو عدد قيراط مكعب فتضرب ذلك القيراط فى ٢٩ قيراطا فيكون الناتج حينئذ من ذلك الضرب ١٥٤٢٨ سنتيتر هذه مساحة جسم الانسان فتضرب تلك الجملة فى كيلو اجرام واحدا وثلاثة وثلاثين جزأ من الف جزء فيكون جملة جمع ثقل الهواء على جسم الانسان ١٦٠٠٠ كيلواجرام اعنى من اثنين وثلاثين الف رطل الى ثلاثة وثلاثين كل رطل ستة عشر اوقية وسبب عدم الاحساس بهذا الثقل كون الهواء ضاغطا من جميع الجهات وبسبب وجود نواميس الموازنة كان ذلك الضغط معتدلا فى الظاهر والباطن فلا يوجد جزء من الجسم الا وهو مضغوط من جميع

اسطحته ومن حيث ان انواع الغازات المنتشرة فى الجسم والسوائل السارية فى كل جهة منه قليلنا القبول للانضغاط كان ذلك سببا لمقاومة كافية توجب هذه الموازنة والضغط الذى تحملها الاسماك فى البحر سيما الساكنة فى الاغوار العميقة منه كالتى تبلغ مئات الوف من الاقدام ازيد من ذلك بكثير فتحملها لهذا الثقل اغرب وذلك لان ثقل كل جو يعادل اثنين وثلاثين قدما من الماء ومن تلك الاسماك ما يتحمل ثقل ثلاثين او اربعين جوا من غير مشقة مع اننا لانتحمل جوا واحدا والانسان اذا تغيرت عليه الاحوال الجوية المعتادة بان صعد على جبل شامخ او ارتفع بواسطة قبة الهواء استشعر بقلة ثقل الهواء عليه فيتواتر النفس منه و تحصل له مشقة تختلف فى القلة والكثرة على حسب الارتفاع الذى وصل هو اليه وهذا الامر يحصل فى الحيوانات التى توضع تحت مستفرغ الآلة المفرغة لانه كلما حصل الفراغ اخذ للحيوان فى الانتفاخ لزوال الموازنة بين ظاهره وباطنه ﴿ البحث الخامس اثبات ثقل الهواء ﴾ ونعرفك يا بنى ان تشبيه الهواء بتشبيه تأثير الزنبلك لا باثقال الاجسام فتلعب به كما تشاء وبناء على ذلك فكل عمود من الهواء زنبلك راكز على الارض ومرتفع الى الجو كما يقال بمقدار ثلاثة عشر فرسخا تقريبا وطبقاته السفلى حاملة لما فوقها وتأثير بعضها واقع على بعض فى كل حالة وجميع ما يكون منها شاغلا لاسفله يجتهد فى التخلص من ثقل ما فوقه كما ان جميع ما يكون منها شاغلا لاعلى يهتم فى بقائه على حاله فلا يجد الشاغل لاسفل مفرا يتخلص منه لان الضغط واقع عليه من جميع الجهات وحينئذ فاى شئ من الاشياء الشاغلة للوسط المكبوس بهذا التأثير الواقع عليه من الاسفل من كل جهة لا يحس بثقل الهواء الذى هو امر حقيق محسوس يخلع الاشجار ويحرك السفن العظيمة ويغرقها او يسيرها بسرعة على وجه الماء ومن هنا يستنبط ان الهواء له قوة وهذه القوة هى ثقله وبهذا فقد ثبت ان له ثقلا وهناك

طريقة بسيطة سهلة التحقق لثقله وتأثيره وهى ان تأخذ طلمبة يعنى اسطوانة تتحرك فيها سدادة اى مكبس محكم فيها بواسطة قضيب متصل بيد الطلمبة ثم تجعل الطرف السفلى من الطلمبة المذكورة فى بئر عميق وتجذب القضيب فتنسحب معه السدادة ويتبعها الماء داخل الانبوبة المذكورة فيملأ كل محل اخلاله منها وهكذا حتى يرتفع فيها الى اثنين وثلاثين قدما ويقف عند هذا الارتفاع ولا يتعداه الهواء وضغط على سطح ماء البئر لان السدادة المذكورة اذا ما كانت محكمة لم يتأت له ان ينفذ بل يخرج منها شيئا فشيئا من الانبوبة الجانبية الموقعة على جسم الطلمبة فيبقى جسم الانبوبة المتجهة الى جو الماء خاليا من الهواء فيدخل جزء من ماء البئر فى الانبوبة المذكورة ويملأ الفراغ وحيث علمت ذلك الآن فلاى شىء لم يرتفع الماء عن اثنين وثلاثين قدما بل يقف عند هذا الحد فاقول لك فى الجواب عن ذلك لو بقيت للهواء قوة لوقع تأثيرها على الماء ورفعته وحيث انه لم يرتفع فيستدل بذلك على ان هذا الارتفاع هو عبارة عن قوته ولما كان الماء الموجود فى الانبوبة ثقيلا بحيث يتأتى وزنه وكان هو الذى يقاوم تأثير لهواء فثقله ليس دون ضغط الهواء ومن هنا علمت كيفية تقديره وثبت ان السنتيمتر المربع يقع عليه قدره كيلو اجرام فلو وضع بدل الماء زيبق لارتفع فى الانبوبة الى ستة وسبعين سنتيمتر لان الزيبق اثقل من الماء بمقدار ثلاثة عشر مرة ونصف مرة تقريبا ولو وضع بدله ايتيرسولفوريك المسمى روح اوفان لترا اى انه يرتفع فى الانبوبة الى اثنين واربعين قدما لانه لما كان على الثلاثة الارباع من ثقل الماء تقريبا لان كثافته سبعماية وثلاثون عشرا كان يرتفع عنه زيادة وفى جميع هذه التغيرات لايزيد ثقل الماء المقاوم لضغط الجو الواقع على كل سنتيمتر مربع كيلو وثلث كما ذكر آنفا وحينئذ يجب عليك يا بنى ان لاتشك فى ثقل الهواء فانه يدخل فى كثير من امور الدنيا ويكون منشأ لحوادث لاحصر لها وليس هنا محل ذكرها

وقد شرحت ذلك في كشف الاسرار النورانية بالخصوص لدخول الهواء في قوام الحيلة التي تكون بدونه مستحيلة ﴿ البحث السادس في كيفية تنفسه في التنفس وكيفية الحراره ﴾ وعلى حسب ظني الآن ان قلبك يا بني قد امتلأ ايمانا بحيث قد اكتشفت على الاشياء المكنونة وعلى مقتضى ما اسلفنا ساغ لنا الآن ان نتكلم على كيفية دخول الهواء في جوف الانسان وخروجه منه فنقول لايخفى عليك يا بني مايتشبث به في ايقاد النار الطباخون الذين يسرعون في ذلك باستعمال منفاخ ان تيسر الحصول عليه او ينفخون بافواههم وحيث علمت ذلك فالانسان مشابه للمنفخ اذ لولا ذلك لتعذر عليه بدون وجوده اجراء العملية التي يستعملها فيها وبهذا يتأتى الوصول الى ادراك حركة الرئة في عملية التنفس ولنشرح لك ذكر مانحن بصدده في تركيب هذا المنفاخ الذي يستعمله كثير من الناس من غير وقوف على حقيقة صناعته قائلين انه عبارة عن لوحين مثنى الشكل موضوع احدهما فوق الآخر ومتصلين معا بقطعة من الجلد معدة لتقريبهما وتبعيدهما عن بعضهما بحسب الارادة وهما مكونان بينهما الشيء شبيه بعلبة مقفولة تأخذ في الضيق والانساع تبعا لقرب اللوحين المذكورين وبعدهما عن بعضهما وانهما اذا انضما الى بعضهما صغر المنفاخ واذا انفرجا كبر وعلى اى حالة فانه لايخلو ولو من قليل من الهواء الذي يدخل بتقدير العزيز العليم في جميع الاماكن مثلا لو فرض انك شربت ماء من قدح كان مملوًا به فانه يصير فارغا منه لا من الهواء وبالجملة فكل اناء اووعاء غير مملوء بشيء يكون مشغولا بالهواء الذي يملؤه بتمامه ومن هنا يتضح لك ان المنفاخ وان كان مقفولا الا ان الهواء شاغل لداخله فاذا تباعد لوحاه عن بعضهما كبر حجمه فان لم يجد الهواء الخارج منفذا يتوصل منه الى داخله ويختلط بالهواء المظروف فيه نشأ به فراغ لكن لما كان يوجد عادة في اللوح الاعلى والاسفل من احدهما لسان صغير من الجلد فمتى تباعد اللوحان

عن بعضهما فتأثير الهواء الخارج يقع على هذا اللسان فينفخ ويدخل منه الهواء قليلاً داخل المنفاخ ومتى تقاربا من بعضهما فتأثير الهواء الداخل يقع على اللسان ويجتهد فى النحاس فيغلق عليه الباب فلا يجد له منفذا يفلت منه فى هذه الجهة فيخرج من ماسورة رفيعة هى المتجهة فى العادة الى جهة النار وبهذه المثابة يدخل الهواء من جهة اللسان فى المنفاخ ويخرج منه بواسطة هذه الماسورة فيوقد النار فان كنت فهمت يا بنى هذه العملية سهل عليك فهم كيفية دخول الهواء فى صدر الانسان وخروجه منه فان العملية واحدة لان الصدر هو عبارة عن العلبة المذكورة التى تأخذ فى الانقباض والاتساع على التوالى ففى الحالة الاولى وهى حاله الانقباض يخرج الهواء الداخل وفى الحالة الثانية وهى حالة الاتساع يدخل الهواء الخارج وحينئذ فالصدر هو منفاخ بلا زيادة ولا نقص الا ان منفذ الدخول والخروج فيه واحد لااثنين كما هو المعتاد فى المنفاخ وهو مشكل بخلافه من لوح واحد ومنفذه الحنجرة التى تقدم انها متصلة بالهواء الخارج بواسطة الفم والانف بحيث يكون الانسان مخيرا فى استنشاق الهواء من ايهما اراد واللوح القائم فى الانسان مقام اللوحين فى المنفخ هو الحجاب الحاجز الذى ذكرت لك رسمه عند الكلام على الكبد وقد سبق انه يقسم الجسم الى طبقتين وحيث انه هو الذى عليه مدار عملية استمرار الحرارة التى هى اساس الحياة لزم ان نتكلم لك عليه بالتفصيل ليكون عندك الالمام بحقيقة قدرة الصانع جل وعلا فنقول (البحث السابع فى كيفية تركيب المنفاخ الانسانى) ولنشرح لك كيفية تركيب المنفاخ الانسانى اولا فنقول انه يوجد فى طرفى العمود الفقرى من ابتداء العنق الى الكليتين اثنا عشر عظمة مقوسة موضوعة فوق بعضها تعرف بالضلوع فاما الاولى منها فى كل جهة فهى متجهة نحو القص الذى هو عبارة عن عظمة الوسط فى الصدر وهى متصلة به تقريبا واما الخمسة الباقية منها فى كل جهة فانها ليست مجتمعة معا بل هى منفصلة عن بعضها كالسبعة الاولى الا

انها متصلة من اطرافها بشريط متكون من مادة صلبة لينة فيها قليل من المرونة وهذا الشريط المذكور هو المعروف بالغضروف وهذا كله هو مجموع جسم المنفاخ الانسانى الذى هو ضيق من اعلاه متسع من اسفله ومثله بشئ شبيه بالحلقة يمر منها المرئ والاوعية والخلالات الواقعة بين الضلوع مسدودة بعضلات نهاياتها السفلى محددة بالحجاب الحاجز وهو اللوح الذى سبق انه شبيه بخرقة ممتدة فى وسط الجسم وقاسمت له الى طبقتين وهو عبارة عن عضلة رقيقة مستوية مشدودة بين الصدر والبطن ولاتصال نهاية جسم المنفاخ الانسانى بالياف كثيرة العدد يظن انه ثابت لايتزحزح عن موضعه مع انه متحرك كتحرك لوحى المنفاخ المعهود (ولنقرب ذلك لفهمك يا بنى بهذا المثال) وهو انه اذا قبضت بيدك من طرف على منديل وقبض آخر بيده على طرفه الآخر فان عرضتماه للهواء انتفخ من وسطه وهذه هى حركة الحجاب الحاجز بعينها ومن هنا يؤخذ انه يعلو من وسطه ويتكور كما يتكور اشراع اى قلع السفينة الذى يقع عليه تأثير الهواء وحينئذ يدفع معه الرئتين الى الاعلى ومتى رجع الى حالة استوائه احدث محلا للهواء فتنزل الرئتان الى محل التكوير لانهما مرنتان وعند ذلك يدخل الهواء من الفم والانف ويملأ الفراغ الناشئ من انبساط الرئتين وفى اثناء هذه المدة يحصل استرخاء فى الالياف فيرجع الحجاب الحاجز الى حالة تكويره الاولى ويدفع الرئتين فيخرج الهواء الزائد من حيث دخل ومما ينبغى التنبيه عليه هنا هو ان الهوأ الداخل مغاير للهوأ الخارج وهذه حكمة كوننا نتنفس وكون لحركة الترددية للحجاب الحاجز تبين كيف يكون التنفس فهاتان مسئلتان معرفتهما ضرورية (ولنوضح لك ذلك فنقول) انك فى مبدء نشأتك عند ابتداء الحجاب الحاجز فى حركته تدب فيك الحياة وتستمر قائمة بك سوأ اردت اولم ترد لان هذا الامر غير موكول لارادتك وترك الحركة هو الموت وانعدام الحياة وانت تعلم انه مر عليك كيفية كبس الهوأ على اسطحة جسمك من جميع الجهات

وحيث علمت ذلك ينبغي لك ان تحول فهمك الى الجنين حين نزوله من بطن امه يحيط به الهواء فبالضرورة ينكبس الهوأ على الرئة فيقع التنفس وهذا كما قال الله تعالى ونفخنا فيه من روحنا وعلى هذا فلا يخفى عليك ان الحجاب الحاجز لايفتر عن حركته الترددية في حالتي النوم واليقظة ويستمر عليها لانها سبب للحياة ومن المحقق ان هذا الحجاب لايزال عندما تكون غارقا في بحار النوم مستيقظا غير غافل وحيث انه بحركته يقوى نار الحياة فيجب الاعتناء بشأنه لانه محافظ عليك وقائم بخدمتك وسامع لقولك وممتثل لامرك وبناء على ذلك فلك ان تعطيه اى سرعة اردت بحيث يتأتى لك بواسطتها ان تسيره سيرا هينا او سريعا او تعطله عن الحركة ان بدا لك انه يترتب على ذلك فائدة او ينشأ عنه منفعة بحيث لاتتركه على هذه الحالة الاخيرة وهى حالة التعطيل غير هنيهة يسيرة من الزمن لانه جموح معاند ان اكثرت معه من المزاح عرضت نفسك لخطر جسيم وجعلتها هدفا لخطب عظيم وهذا فضلا عن كونه مع سيده على غاية من الارتباط والاتحاد حتى ان اى انفعال نفسانى يحصل له يؤثر فيه كما يؤثر في سيده وربما كان اعظم منه تأثيرا او يتفق في معظم الاحوال ان هذا الانفعال ينصرف عن السيد ويبقى ملازما له ويظهر لك انه ينشأ عن تأثيره في حالتي الحزن والفرح ازدياد اضطراب الصدر وحيث انه يأخذ درجته في الفرح والضحك والغم فعليك ان لاتخرج فيما يلائمه عن المعهود او تتعدى فيما يناسب الحدود لانه سريع الغضب حتى انه اذا وجد في المنزل مالا يوافق مزاجه لايتأخر عن التشنيع عليه بطريقة فظيعة فان امرته باى امر كان في هذه الحالة فانه لايمتثل ولا يسمع ولا يطيع ولما كان مع المعدة في غاية الائتلاف كان اذا صعد الى الصدر صعدت خلفه وتبعتها الامعاء وجميع اعوان الهضم واذا نزل نزلت معه بلا انقطاع واذا فرض انك وجدت شيأ مخالفا للعادة او انك كلفت المعدة او جماعتها بامر لايتأتى لها القيام به من حيث انها لاتطيقه او جبرتها على مباشرة

اعمال شاقة فان الحجاب الحاجز يغضب ويهيج ويهز جسم سيده ويرميه بسهام الفواق فيهتم السيد بازالته فلا يمتثل امره ولا يسمع قوله الا اذا صاح عليه على حين غفلة صيحة تورثه الخوف او قص عليه بغتة ما يملؤه رعبا وفزعا هنالك يزول الفواق المسمى بمصر الزغطة وبالشام الحزقة او يرسل له ما يروق اخلاقه من الادوية العطرية والمسكنة والمضادة للتشنج فيزول سريعا وحيث علمت ذلك فيجب عليك ان رايت الفواق قد سطا على انسان من احبابك ان لا تنسى ما قلت لك فى كيفية الحجاب الحاجز وراحته وحيث اننا الى هنا لم نتكلم على الرئتين ولا عرفناهما كما عرفنا غيرهما وكنا شرحناهما شرحا كافيا فى كتابنا كشف الاسرار النورانية كان من الواجب علينا ان نعرفهما هنا تعريفا مقتصرا فنقول

(البحث الثامن فى تشبيه الرئة بسوق تجار فى الاخذ والعطاء) ان الرئة مشابهة فى صنعها وتركيبها للاسفنجة وهى كثيرة المسام والاخلية التى يتأتى انضمامها الى بعضها او انفصالها عن بعضها بحسب الارادة وكل واحدة من هذه الاخلية تعتبر كانها قاعة يتقابل فيها الدم والهواء هنيهة من الزمن ثم يفترقان فى الحال ولكلتا الرئتين شكل مستطيل مفرطح وهما موضوعتان فى الصدر على وجه بحيث تشاهد احداهما على يمين القلب والاخرى على يساره ونهايتهما تزيدان بقليل عن نهاية القلب فى السقوط الى اسفل والحجاب الحاجز الذى ذكرناه عند الكلام على التنفس تجرى بينهما حركته الترددية ولما كانت معرفة الحنجرة عبارة عن خمسة غضاريف لا تزال على الدوام مفتوحة وذلك بحسب خاصية المادة التى تتركب منها وبعد هذه الغضاريف غضاريف اخر من جنسها يتكون عنها هيكل القصبة الرئوية وتنقسم هذه القصبة عند دخولها فى الصدر الى فرعين يطلق على كل واحد منهما اسم شعبة واحداهما تتصل بالرئة اليمنى والاخرى بالرئة اليسرى وعند وصول اى واحدة منهما الى رئتها تتفرع الى فروع غير متناهية كفروع الشجرة بحيث يكون الفرع الاخير منها غير محسوس

بحاسة البصر والهواء يصل الى كل من الاخلية التى سبق انها موجودة
فى الرئة بواسطة هذه الفروع التى هى عبارة عن مجارى صغيرة والدم
الخارج من القلب يصل من البطين الايمن الى الرئتين بواسطة مجريين
كبيرين يعرفان بالشريانين الرئويين وهذان الشريانان يتفرعان بالمثابة
التى تتفرع بها الشعبتان الى مجارى صغيرة كثيرة العدد توصل الدم الى
الاخلية الرئوية وهناك تحصل بين الدم والهواء التقابل السابق الذى
بواسطته يصير الدم الاسود احمر فبعد ان كان وريديا يصير شريانيا
صالحا لغذاء الجسم بكيفية كانت مجهولة لا نعلمها وهذه الحكمة هى من
اعجب الحكم الربانية والاسرار الالهية ويحصل فى التقابل المذكور آنفا
بين الدم والهواء مبادلة واخذ واعطأ كما هو الجارى فى امور التجارة بين
التجار (والرئة هى بالقياس على ذلك) عبارة عن سوق يذهبون اليه
للأخذ والاعطأ على الدوام الا ان البضاعة التى تباع فيه والمادة التى
يأخذها الدم من الهوأ والتى يأخذها الهوأ منه فى مقابلة ما اعطاه هى
من المسائل العديدة التى تخطر بالبال عند التلفظ سوق وبيع وشراء
واخذ واعطأ وفى السوق المذكور يباع الفحم الذى يجلب اليه من
جميع اجزأ الجسم وهذا هو سبب جعل الدم اسود ومتى اجتمع مع الهوأ
فى الرئة استبدل ببضاعة يأخذها من الهوأ وهى له انفع ثم يترك له الفحم
﴿ البحث التاسع فى بيان الفحم الداخل جثة الانسان ﴾ وهذه مسألة
تحتاج الى تمهيد وايضاح وتحمل الانسان على زيادة العجب على ان
الكثير من الناس لا يصدق بوجود الفحم فى داخل جثة الانسان لانهم
يقولون حيث اننا لا ناكل الفحم حتى تكون مادته موجودة فى داخل احشائنا
فمن اين لنا ذلك لكنهم لو تأملوا فيما يأكلون وتفقدوا فيما يتناولون من
المواد الغذائية لوجدوا اننا ندخل فى بطوننا صباحا ومساء اغذية
مشحونة بالفحم فلا تسخر من ذلك يابنى ولا تتخذه هزوا فانه صحيح وانى
ما اقول لك الا الصواب كما ستقف عليه بلا شك ولا ارتياب وكيف لا فانك

ان اردت فى فطورك ان تأكل خبزا مقمرا فانك تجد على سطح هذا الخبز
اثرا اسود فان لم يكن هذا الاثر ناشئا من فحم معتاد فمن اين يكون منشاؤه
وكذلك ترى الاثر المذكور على قطع اللحم التى تشوى على النار ولاجرم
انه هو العلامة الدالة على وجوده فيها وبالجملة فاى شئ تضعه على النار
بقصد تقميره او تقديده او تسخينه لا يخلو من وجود الاثر الاسود فى
سطحه بقلة او بكثرة وقد يقرب هذا الشئ فى بعض الاحيان من
الاحتراق حتى ان كثيرا من عوام الناس يطلقون عليه اسم الفحم
ويعرفونه بينهم بهذا الاسم ومع انهم يلهجون بذكره ولا يفترون عن التلفظ
به هكذا تراهم ان قلت لهم ان الفحم يوجد فى داخل احشائنا لا يصدقونك
وان سالك سائل عن الاثر الاسود الذى ذكرت لك انه يظهر على وجه
الخبز وقال لك انه ما خرج من الفرن ولا سكن على سطح الخبز اوعلى
سطح قطع اللحم فقل انه كان كامنا فى الخبز بحيث انه لاتتأتى مشاهدته
بحاسة البصر وان النار هى التى اظهرته للعيان وانه مختلف فى المادة بين
جواهرها كالكتابة المختفية فى عود من قش القرطم فانها لا تظهر الا اذا
احترق كذلك المادة الغذائية مهما كان جنسها فانها متى احترقت ظهر منها
مادة سوداء هى الفحم فان لم تحترق وتسخنت او تقددت ظهرت هذه
المادة منها على سطحها ومن هنا تعلم ان الفحم موجود فى جميع ما نأكله
وما نشربه وانه كثير الوجود فى الدنيا وفحم الحطب المستعمل فى الوقود
يتأتى الحصول عليه من الاشجار ووجوده فيها اكثر منه فى غيرها وبالجملة
فلا يخلو منه اى جزء كبير او صغير من نبات او حيوان وهو بناء على
ذلك موجود فى السكر وفى النبيذ وفى الماء وفى قلم الكتابة والورق الذى
بيدك يا بنى وفى ريش الدجاجة وفى العظام واللحم والجلد فان اردت
اظهاره من بين اخوته الساترة له فى المادة فقربه من شعلة شمعة فانه يظهر
لك حالا فى ملابسه السوداء وصورته الحالكة وليس الشمع والدهن
والزيت من المواد المجردة عن الفحم المذكور لانك ان وضعت فوق شعلة

زجاجة

زجاجة رأيت على سطحها فى صورته بهيئة كاملة وبالجملة فى الهواء والارض وكل شئ لا يخلو من الفحم وهو كامن فى الاحجار الداخلة فى المبانى وفى الرخام والرمر وغير ذلك وهو معدود من ولاة الامور المتصرفين فى هذه الدنيا وله مملكة واسعة وسلطنة شاسعة بعيدة الاطراف والحدود حتى ان من يطوف حول الارض بتمامها ويسيح فيها باسرها لم يخرج منها وحينئذ فالذى اعتقده انك الآن لا تتأخر عما قلت لك بوجود الفحم فى جميع ما يوضع من المآكل على المائدة ما خلا الملح وبناء على ذلك فالجسم الانسانى مملوء بالمادة الفحمية ومشحون بها لانه كامن فى جميع ما ناكله وما نشربه وموزع على جميع الاعضاء وهو المادة العظمى الداخلة فى تركيب هذا البناء البديع الشكل الذى تقدم ان الدم موكل بحفظه وقد ذكرت لك فى مبدأ الامر ان الهدم يستمر فيه مادام العمل مستمرا ولا يزال الهدم والبناء حاصلين على الدوام فى جميع اجزاء الجسم دقيقة كانت او غير دقيقة وفى حال ما يجلب الدم معه المواد الجديدة عند وروده من الرئة يأخذ المواد القديمة عند توجهه اليها والفحم هو من بين هذه المواد الاخيرة الاكثر وجودا وهو الذى يشغل فيها اكبر محل كما انه شاغل لاعظم محل فى المواد الجديدة ومنه تمتلئ مخازن الدم بسرعة فان لم يجد كيفية للتخلص منه بطل العمل ولذا صور الخالق سبحانه وتعالى الرئة وجعل فيها مخلص الدم من المخازن المذكورة بهذه المثابة وهى انه توصله الى الهواء بسبب احتياجه اليه وتأخذ منه عوضه المادة التى لزومها ضرورى اذ بدون ذلك لا يتأتى للاعضاء ادخاله تحت الطاعة والارادة اليها الا بما ينتهى مما يقدر على حمله منها وهذه المادة الضرورية للدم هى اعظم من الفحم اعتبارا وارفع منه مقاما فينقى الدم فى الرئة ويجدد فيه الحياة ❋ البحث العاشر فى انه هل دون الشارع لاهل الشرائع فى تلك الكلام علوما ام لا ❋ فان قلت ان الكاربون الذى هو عين الفحم والاوكسجين الذى هو اصل تركيب الهواء النقى

للدم المزيد في حياته على ما حققه العلماء في باطن الاعضاء وعملوا له تجربيات بامور واقعية فهل الشارع بين بعضا منها ام لا قلت قد بينها بتمامها فانك ان لاحظت ما اورده لك لوجدته كما حققه العلماء بتمامه وزيادة

﴿ بحث في تنقية الدم ﴾ قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العظيم (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) اعلم يا بني ان من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بعجائب احوال الحيوانات في كيفية غذائها وهضمها وكيفية سيره وسير ما ينتج عنه وسيره في اوعيته وانقلابه الى دم اسود وسيره وانقلابه الى دم احمر وسيره وانفرازه الى لبن خالص. وهنا مسائل (المسألة الاولى) في بيان القراآت بها قرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي نسقيكم بضم النون والباقون بالفتح اما من فتح النون فحجته ظاهرة تقول سقيته حتى روى اسقيه قال تعالى (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) وقال والذي هو يطعمني ويسقين وقال (وسقوا ماء حميما) ومن ضم النون فهو من قولك اسقاه اذا جعل له شرابا كقوله واسقيناكم ماء فراتا وقوله واسقيناكموه والمعنى هاهنا انا جعلناه في كثرته وادامته كالسقيا واختار ابو عبيدة الضم قال لانه شرب دائم يروي الظمآن ويغذي الاعضاء وما يستحيل منه اي اصله الدم وهو دائم الدوران (المسألة الثانية) في قوله مما في بطونه اعلم ان قوله تعالى (مما في بطونه) الضمير عائد الى الانعام وكان الواجب ان يقال مما في بطونها وذكر النحويون فيه وجوها الاول ان لفظ الانعام لفظ مفرد ومعناه جمع كالرهط والقوم والبقر والنعم فهو بحسب اللفظ لفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو التذكير وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو التأنيث فلهذا السبب قال هٰهنا في في بطونه وقال تعالى في سورة المؤمنين (في بطونها) الثاني قوله في بطونه اي في بطون ماذكرنا وهذا جواب الكسائي وقال المبرد هذا

شــائع فى القرآن قال تعالى (فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى)
يعنى هذا الشئ الطالع ربى وقال (ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره) اى
هذا الشئ واعلم ان هذا انما يجوز فيما يكون تأنيثه غير حقيقى اما الذى
يكون تأنيثه حقيقيا فلا يجوز فانه لا يجوز فى مستقيم الكلام ان يقال
جاريتك ولا غلامك ذهبت على تقدير ان تحمله على النسمة الثالث ان
فيه اضمار او التقدير نسقيكم مما فى بطونه اللبن اذ ليس كلها ذات لبن
(المسألة الثالثة فى بيان الفرث) الفرث هو الثفل روى الكلبى عن ابى
صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اذا استقر الغذاء فى البطن
وتعجن اى انهضم الهضم المعدى ثم انهضم الهضم الاثنى عشرى ونتج
عنه السائل المغذى استحال دما (وفيه امور) الاول ان النبات يمتص من
الارض الغذاء الصالح له ثم من الهواء ثم يطرح ما يضره كالفرث الثانى
الحيوانات البسيطة كمحار اللؤلؤ يتغذى من المياه والارض ما يصلح له ثم
يفرز اثقاله من مخرج له مخصوص ويفرز منه مادة اخرى صافية كزلال
البيض تعقد فى برنصه حبوبا وهو اللؤلؤ الثالث باقى الحيوانات التى
تتغذى بالحشائش او باللحوم حين تنهضم تلك الاغذية الهضم الاول
والثانى ويتبدل السائل المغذى الى دم اسود ثم ينصلح الى دم احمر ثم
يتوجه جزء منه الى الثدى ويستحيل لبنا خالصا سائغا (المسألة
الرابعة فى قوله تعالى لبنا خالصا سائغا للشاربين) اعلم يا بنى ان
المجلس الذى خصه الله تعالى لتوليد اللبن هو الثدى ولا يأتى اليه الا
دما احمر خالصا من الفلت واللبن سائل ابيض غير شفاف طعمه حلو
سكرى ورائحته مختصة به وشرحه مستوفى فى كتابنا شرح كشف
الاسرار النورانية فارجع اليه (المسألة الخامسة فى قوله تعالى من بين
فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) فانظر يا بنى الى اسرار كتاب
الله تعالى حيث انبأنا سبحانه وتعالى ان هذا اللبن سائغ اى الدم الوارد
الى الثدى خاص من الامور الفحمية الا ما قل واللبن المتولد منه سائغ

فسبحان المصور المكون الحكيم ﴿ البحث الحادى عشر فى بيان الاوكسجين وكيفية مقداره فى الكرة وبيان العناصر وعددها ﴾ اعلم يا بنى ان الفحم حيث كان اميرا فى هذا الكون فتلك المادة المجوهرة للدم المزيدة فيه للحيوة تكون فيه سلطانا وملكا كبيرا وهى المادة المعروفة بالاوكسجين الموجودة فى جميع ما تراه وهو الذى له التصرف فى امتلاك نصف كل شئ من اشياء هذا العالم ولو حصل الارتقاء فى الجو الى ارتفاع ثمانية واربعين الف ميتر او ستين الف ميتر لشوهد انه متسلطن هناك وانه متصرف فى اربعة اخماس العالم الهوائى المحيط بالكرة الارضية والاوكسجين المذكور يتسلطن فى البحر الى عمق فرسخ اعنى الى عمق اربعة آلاف ميتر كما انه يتسلطن ايضا على البرك والخلجان والانهر والجداول كبيرة كانت او صغيرة وعلى ماء القدر والقلة ونحو ذلك فبناء على هذا كان متصرفا فى ثمانية اتساع الجسم المائى يعنى انك لو اخذت تسع اقات من الماء لكان الاوكسجين فيها عبارة عن ثمان اقات وحينئذ تكون الاقة التاسعة وهى الباقية عبارة عن جسم آخر يطلق عليه اسم الايدروجين وهنا نعلمك بكيفية العناصر التى خلقها الله تعالى وكون منها الكون فنقول اوكسجين ايدروجين يود كاربون فوصفور كبريت سيلينوم يودبروم كلور فلور اوزوت سيلينو هذا الاجسام الثلاثة عشر تسمى اجساما غازية اى دخانية اذا دخل عليها الاوكسجين وهو الاول صورها الله تعالى حوامض فاذا دخلت تلك الحوامض على المعادن الآتية اسماؤها تكون منها مولدات وهى كالسيوم استرونسيوم باريوم ليتيوم صوديوم بوتاسيوم مانيزيوم الومنيوم ايتريوم زرنيخ منغنيز توتيا حديد قصدير كادميوم كوبلت نيكيل زيبق روديوم ايريديوم فضة ذهب بلاتين بلاديوم اجلوسنيوم مولبديوم فناديوم كروم تونجوستين كلونيو انتيمون تاللور اوران سيريوم تيتان بزموت اى مرقشيتا رصاص نحاس اوسميوم زيركونيوم توريتيوم فهذه

الاربعة

الاربعة وخمسون عنصرا منها الثلاثة عشر الغازية الاولى التي يتكون منها الخواص والباقى معادن وفيه ثلاثة اخرى وهى الحرارة والضوء والكهربائية فصارت سبعة وخمسين عنصرا منها الثلاثة الاخيرة كانها جسم واحد (وهنا نعرفك سبب تسميتها بهذه الاسماء وسبب اختراعها لها والاتفاق عليها اعلم ان الكيماويين فى الزمن السابق كانوا يسمون الاجسام المتولدة باسماء اتفاقية على حسب الاشتهاء او على حسب مقابلتها بجسم آخر او على حسب الوانها او خواصها او غير ذلك فكانوا يسمون الجسم الحاصل من اتحاد الزيبق بالكلور فى الدرجة الاولى بالنسر الابيض و بالكالو ميل اى الزيبق الحلو والجسم الحاصل من اتحاد الرصاص بقدر ما يمكن من الاوكسجين بالاوكسيد البرغوثى نظرا للونه والجسم الحاصل من اتحاد التوتيا بالاوكسجين لكونه ابيض لطيف الملمس بزهر التوتيا وسموا الجسم الحاصل من اتحاد الزرنيخ بمقدار من الاوكسجين بسم الفار ومعلوم ان كلا من هذه التسميات لا يدل على معنى فى المسمى لبميزه عن غيره من المولدات المتجددة فكان كلما زادت المولدات يعسر فهم المعنى الذى به تولد ذلك الجسم فاضطر العلماء المتأخرون الى اختراع اسماء للمولدات تدل على حقائقها بخلاف الاجسام البسيطة فانه لا ضرر فى ان تكون اسماؤها خالية عن هذا المعنى كما هو الموجود فى اكثرها كالزرنيخ والبور والفضة فانه ليس لها معنى تدل عليه غير الجسم المعروف الموضوعة له وفى بعضها معان تدل على صفات عجيبة بحسب اللغة اليونانية كاليود فان معناه الاصلى بنفسجى وضع للجسم المعروف لكونه اذا وضع على النار صعد منه دخان بنفسجى اللون جميل وكالبروم فان معناه النتانة وضع لهذا الجسم لكون رائحته منتنة وكالكلور فان معناه الخضرة المائلة للصفرة وضع لهذا العنصر الغازى لكون لونه كذلك والاوكسجين الذى معناه مولد للاكاسيد وللحوامض ومركب للهوا والايدروجين معناه باليونانى مولد للمياه والكاربون معناه باليونانى المولد

الجواهر الفحمية فاذا علمت هذا فاعلم ان جميع العناصر البسيطة الغازية والمعدنية مع مقابلاتها ببعضها واتحاداتها تكون منها الكتلة الارضية مثال ذلك الفوصفور هو اسم يونانى مركب من فوص اى الضوء وفوراى حامل فمعناه حامل الضوء لكونه يضئ بنفسه فى الظلام وهذا العنصر البسيط خلقه الله تعالى لايوجد منفردا بل يتكون منه املاح تسمى فوصفات وهو مكون لتركيب جميع عظام الحيوانات ويوجد فى بعض النباتات وفى جميع الابوال ويوجد فى اللبن لاجل تصلب عظام الاطفال وايضا الكتل الارضية مثل الرخام مركب من الكربون والكلسيوم اعنى الكلس وجميع العناصر يتركب منها كتل حجرية وترابية وطينية فاذا علمت هذا فاعلم ان الاوكسجين لايزال كامنا فى جميع الاشياء الارضية تحت صور متعددة مع اتحاده باجسام اولاه لاستحال وجودها وهو ممتزج معها بكيفيات متنوعة ومستور فيها فهو كمحبوس ان خرج من حبسه فر وامتزج مع جسم آخر فجميع سطح الارض والجبال والوديان وما فيها من المدن والمزارع والصحارى والارض الزراعية وغيرها وكافة ماتشاهده بنظرك فى حال مااذا فرض انك ارتفعت الى الجو فى يوم صحو وحصرت بحاسة بصرك الارض وما عليها فانك تراها شبيهة بمخزن كبير معد للاحتواء على الاوكسجين وانه يخرج منه ويفارقه ان امكن الحصول على كيماوى عارف بكليات علمه وجزئياته وتأتى له وضع الارض وما عليها فى بودقة كما يفعل الكيماويون فى معاملهم المعتادة وقد دلت عملية تحليل الدبش والحجارة على ان الاوكسجين الموجود فى كل منهما يساوى نحو نصف ثقله بمعنى انه يوجد فى كل مائة اقة من الحجر ثمان واربعون اقة من الاوكسجين الذى لايخلو منه جسم انسان ولا حيوان بحيث لو انفصل عن اى جسم من الاجسام لكان الباقى والصافى من هذا الجسم بعد انفصاله عنه واهيا جدا وكيف لا وانه لاينقص عن ثلاثة ارباع وزن الجثة ومن هنا يتضح ان قولى لك

انه

انه هو الملك المتصرف فى الكون ليس من قبيل المبالغة بل هو من قبيل الحقيقة الواجب علينا معرفتها لانها لنا من انفع الاشياء التى لاغنى لنا عنها بالكلية ﴿ البحث الثانى عشر فى تولد الحرارة وكيفيتها وتولد النار وفرحنا وابتهاجنا ﴾ فاذا عرفت ذلك ورسخ فى ذهنك سهل عليك معرفة تجارة الدم من الهواء لانه يأخذ منه الاوكسجين عند مايكون معه فى الرئة فينصلح به حاله بعد ان كان اسود ولا تقبله الاعضاء حتى يصير احمر ورديا فتحمله وترجع به لتوزعه عليها وتتغذى على مباشرة اعمالها وتتقوى به على تتميم وظائفها على الدوام وحينئذ لم يبق علينا الا سؤال واحد وهو هل يترك الدم فى الاعضاء فيكون بها فى ضمن المواد الموكول اليه توزيعها عليها لاجل استمرار عملية البناء ام لا وهذا السؤال يجر الى الكلام على عملية عجيبة توضحها لك فنقول اننا فيما سلف قد تكلمنا لك على الهواء والمنفاخ والفحم وعلى جميع مايلزم لايقاد النار وعهدى بك انك مانسيت شيأ مما ذكر ولا بد انه خطر ببالك هذا الخاطر وهو لاى شئ اودع المولى جل وعلى فينا مثل ذلك وهل النار مودوعة فينا ايضا واني سائلك قبل التوغل معك فى هذا الامر انه هل مر بفكرك وانت عاكف على التدفئة بالنار فى بعض ايام الشتاء عما دار فى خلدك بخصوص هذه النار التى عليها مدار حركة الخيرات الشتوية والتى يعدم وجودها تكون جهات كثيرة من الارض غير مسكونة مدة لاتنقص عن ثلث السنة اذ هى الآلة التى يتوصل باستعمالها الى تسوية الاطعمة والتنوير بالليل وهى المستعملة مع الفائدة فى المعادن ولولاها لما تيسر الانتفاع بالحديد والنحاس والفضة والذهب وسائر مايتأتى افراغه فى قالب الصناعة البشرية التى تكون بدونها عاطلة ونحن لاعتيادنا على رؤيتها واستعمالها لانحتفل بها ولا نلتفت اليها حتى اننا لانزال ناظرين الى الكبريت المعروف بين العامة بكبريت بلا نار بالعين التى ننظر بها جميع الاشياء القديمة ونعتبره كأنه شئ قديم قد وجد فى وقت وجودنا فلا نميزه

فى الاهمية على غيره مع ان اسلافنا الذين كانت مرتبتهم الوجودية قريبة من وقت هذا الاختراع العجيب الذى يعتبر كاصل لما تلاه فيما تلاه من الاختراعات كانوا يحترمون النار احتراما زائدا ويقدمونها على ماعداها حتى ان العجم قد زعموا ان زورا وشت جلبها من السماء ومر فى طريقه بجبال همالية التى هى اعلا جبال الدنيا بآسيا وكان السقل من الاروام يزعمون ان برموطه اختلست النار من المتقدين وسترتها من اعينهم ومنحت بها المخلوقات على سبيل الهدية منها اليهم وكان للرومانيين فى غابر الاحقاب نار مقدسة لاتزال على الدوام مضطرمة تحت ملاحظة سدنة وخدام يتناوبون خدمتها بحيث لوتهاون احد منهم لعوقب بالقتل لكنه قد انتهى بها الحال الآن الى كونها صارت كغيرها فى عدم الاعتبار عند جميع الناس حتى انهم كفوا عن الاحتفال بها واحترامها زيادة عما عداها من الاشياء النافعة وهذا مع استعمالها فى جميع الضروريات الدنيوية بدون تمييزها بادنى مزية وان كانت من اجل الخيرات التى منحت بها البرية من قبل الله عزوجل ولو فرض انها انعدمت من الدنيا لتعطلت احوال العالم ولمحى من الصنائع الاثر على حين غفلة ولكانت حالة الجمعية البشرية الحالية اشنع من حالتها فى مبدأ امرها ونحن الآن بمنه تعالى لانخشى زوالها ولا فقدها حيث تبين انها ليست كما زعم بعض الاقدمين من قبيل الهدايا التى منحت بها الارض حتى تتوقع استردادها منها وتجريدها عنها وانما هى من الهبات العامة الموجودة بها من قبل وجود الانسان فيها وهى منظومة فى سلك القوانين العامة المعروفة فى العالم الانسانى وانها لاتزول بزواله من الارض ووجودها مرتبط ارتباطا تاما بوجود المسلك المذكور آنفا الذى له تصرف فى معظم الموجودات وهو كالاوكسجين وليست النار الا بمنزلة فيم لولبية تأهله بجميع الاجسام التى تكون متحدة معه ويكون مؤتلفا معها ومن المعلوم ان احد الملوك متى شرع فى التأهل اهتموا غاية الاهتمام بما يلزم فى

فرحه من الزينة والمهرجان ولا شك انه لابد من باب اولى للملك الملوك فى عرسه من الاحتفال بالولائم والزينات على اسلوب غير معتاد فالفرح هو الحرارة التى نبتهج بها والزينة هى اللهب الذى نستضئ به والانسان بالنسبة الى الطبيعة هو فيها الملك والآمر والناهى ولذا متى احتاج الى الحرارة والنور حكم للملك الاكبر بالتأهل والزواج وانتهز فرصة وتحصل على مرغوبه بلا صعوبة فان كنت معترضا على ان النار لاتوجد فى الاحجار الا فى كثير من الاشياء مع ان الاوكسجين موجود فيها كما زعمت قلت لك ان الاحجار وما يماثلها ليست من المواد التى تصلح لخروج النار لان الاوكسجين متحد بجواهرها وساكن فيها ومن هنا نفهم حقيقة معنى التأهل الذى ذكرناه لك ومحقق الفرح لايتجدد ولو كنت موجودا فى الزمن الذى احتفلوا فيه باشهاره لنبأتنا عنه باخبار كثيرة ولقد توصل العلماء فى زماننا هذا الى كمال حل مسألة هذا التأهل الحاصل فى الاحقاب الخالية التى اتحد فيها الاوكسجين مع الاحجار او خلافها ثم فصلوه عنها ثم ضموه اليها وتمتعوا برهة من الزمن بالنزهة والفرجة لكنهم اقتصروا فى ذلك على جزء صغير لان قدرة الانسان تعد كلا شئ بالنسبة الى قدرة الله الذى قضى من الازل بهذا الاتحاد القديم لا اله الا هو الخالق البارئ المصور العظيم

﴿ البحث الثالث عشر فى السائلين الكهربائى والمغناطيسى وكيفية سريانهما ﴾ ونعلمك هنا على كيفية جميع الاجسام معدنية كانت او غير معدنية قد جعل الله تعالى فى نفس جزئياتها سائلين احدهما يظهر فى الحديد فى الغالب دون غيره ويسمونه مغنطيسيا والآخر سائلا مثل السائل المغنطيسى وهذا السائل وجد وظهر على يد العلم ارسطاطاليس وذلك انه كان بيده قطعة كهربا وكان يدلكها على قطعة من الجوخ فوضعها بعد ذلك على الارض فتعلق بها قصاصات من التبن فلما نظر الى ذلك قال الكهربائية ذات روح وبعده بحث فى الاجسام فوجد بها هذا السائل الكهربائى وهو يوجد فى الاجسام البسيطة العنصرية بحيث ان هذا

السائل جعله الله تعالى نوعين مثل المغناطيس جنوبي وشمالي ونوعا السائل الكهربائي موجب وسالب فعلى حسب هذين النوعين احدهما زجاجي وثانيهما راتينجي على حسب ما وجدوه في الاجسام فاذا وقفت عند الشريط الممتد من بلد الى بلد اخرى المسمى بالتلغراف اوجدت عند تشغيل هذا السائل شريطا نازلا الى الارض وشريطا ممتدا الى اى بلد كانت فالشريط النازل الى الارض هو الكهربائية السالبة والشريط الممتد الى اى بلد كان هو السائل الموجب وان عكست لكان ذلك وسبب التفرقة ان الله سبحانه وتعالى جعل ذلك السائل متحدا في هذين النوعين بحيث انهما جسم واحد فاذا تفرقا طلب كل منهما صاحبه وهذا السائل موجود في جميع الاجسام متسلطن احدهما على الآخر في كل جسم مثلا الكهربائية الراتينجية متسلطنة على اختها في الزنك المسمى بالتوتيا والزجاجية متسلطنة في النحاس على اختها فمن هذا علم ان الكون جميعه جعل الله تعالى فيه تلك الحيوة ﴿ البحث الرابع عشر هل الشارع دون علوما في هذين السائلين ام لا ﴾ فان قلت ان هذا السائل الكهربائي والمغناطيسي اى هذه القوى الموجودة في الاجسام لها ذكر وارد عن الشارع ام لا قلت لك ان الله تعالى ذكر في كتابه العزيز جملة آيات وهنا نورد لك آية منها وهي قوله تعالى (الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) اعلم ان الاستدلال بالخلق والهداية هي الطريقة المعتمدة عند اكابر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والدليل عليه ما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه قال الذى خلقني فهو يهدين وحكى عن فرعون انه لما قال لموسى وهارون عليهما السلام قال فمن ربكما ياموسى قال موسى عليه السلام (ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى) واما سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه تعالى اول ما انزل عليه قوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق) وهذا اشارة الى الخلق ثم قال (اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم) وهذا اشارة الى الهداية

ثم انه تعالى اعاد ذكر تلك الحجة فى هذه السورة فقال (الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) وانما وقع الاستدلال بهذه الطريقة كثيرا لما ذكرنا ان العجائب والغرائب لما خلق الله تعالى فى الاجسام من الاسرار اكثر ومشاهدة الانسان لها واطلاعه عليها اتم فلاجرم انها كانت اقوى فى الدلالة ثم ههنا مسائل (المسألة الاولى قوله خلق فسوى) يريد به كل شئ خلقه وفيها وجهان الاول (فى الانسان) انه تعالى جعل قامته مستوية معتدلة وخلقته حسنة كما قال عز وجل (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) واثنى على نفسه سبحانه بسبب خلقه اياه فقال تعالى (فتبارك الله احسن الخالقين) وان كل حيوان مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط وليس له استعداد لسائر الاعمال واما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه ان يأتى بجميع افعال الحيوانات من تعليم وغيره بقوة آلات فؤاده وان الله تعالى هيأه للتكليف والقيام باداء العبادات (الثانى) ان المراد من التسوية هو انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات خلق ما اراد على وفق ما اراد موصوفا بوصف الاحكام والاتقان مبرأ عن الفسخ والاضطراب (المسألة الثانية فى القراآت) قرأ الجمهور قدر مشددة وقرا الكسائى مخففا اما قرأة التشديد فالمعنى انه قدر كل شئ بمقدار معلوم واما التخفيف فقال القفال معناه ملك فهدى وتأويله انه خلق فسوى وملك ما خلق اى تصرف فيه كيف شاء واراد وهذا هو الملك فهداه لمنافعه ومصالحه اى كل واحد بمفرده هداه اى جعل به قوة يهتدى بها ومنهم من قال هما لغتان بمعنى واحد وعليه قوله تعالى (فقدرنا فنعم القادرون) بالتشديد والتخفيف (المسألة الثالثة فى قوله قدّر) ان قوله قدر يتناول المخلوقات فى ذواتها وصفاتها كل واحد على حسبه فقدر السموات ومر الكواكب والعناصر البسيطة والمركبة والنبات والحيوان والانسان بمقدار مخصوص من الجثة والعظم وقدر لكل واحد منها من البقاء مدة معلومة ومن الصفات والالوان

والطعوم والروائح والاوضاع والحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة مقدارا معلوما كما قال (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) (المسألة الرابعة فى قوله تعالى فهدى) فالمراد ان كل جزء من الجزئيات الجسمانية مستعد لقوة خاصة وكل قوة فانها لا تصلح الا لفعل معين فالتسوية والتقدير عبارة عن التصرف فى الجزئيات الجسمانية وتركيبها على وجه خاص لاجله تستعد لقبول تلك القوى وقوله تعالى فهدى عبارة عن خلق تلك القوى فى تلك الاجسام بحيث تكون كل قوة مصدرا لفعل معين ويحصل من مجموعها تمام المصلحة اى ان كل جسم لما ملك قوته الخاصة به فهدى لما خلق له مثال ذلك السائلان المغنطيسيان فن الواضح المشاهد ان الابرة المغنطسة الموضوعة على السهم او المعلقة بخيط من الحرير لا تقف على وضعها كغير المغنطسة بل تتحرك وتضطرب حتى تأخذ اتجاهها ناحية احد القطبين ولو حولت عنها العادت اليها وما ذاك الا من القوة المغناطيسية التى للارض التى شابهتها القوة المغناطيسية التى للابرة بدليل ان الابرة دائما تتجه لاحد قطبى الارض واتجاهها لذلك لا يختلف بكونها فى اعالى الجبال اوفى اسفل المغارات اوفى الشمال اوفى الجنوب اوفى خط الاستواء وتسمية احد القطبين للمغناطيس بالشمالى والآخر بالجنوبى انما هو تابع لقطبى الارض الشمالى والجنوبى فالسيال المستولى فى النصف الشمالى من الكرة يسمى بالسيال الشمالى والمستولى فى النصف الجنوبى يسمى بالجنوبى ومن حيث ان السيالين اذا اتحدا تنافرا واذا اختلفا تجاذبا واذا قطع الجسم المغناطيسى الى اجزاء متعددة كان كل جزء منه ولو دقيقا مغنطيسيا مستقلا له قطبان ووسط وهذا المغناطيس سيال لطيف لا يقبل الوزن وجوده فى الاجسام كوجود السيال الكهربائى ولكنه دائما على نسق واحد ووجوده فى بعض المعدنيات يفيدها خاصية جذب الحديد اليها وانجذابها اليه فيسمى ما وجدت فيه هذه الخاصية مغناطيسيا او

مغناطيسيا طبيعيا تمييزا عن المغناطيس الصناعى (ثم ان من الجواهر المغناطيسية ما تكون هذه الخاصية فيه ضعيفة حتى ان ذا الحجم الكبير منها لايجذب الحديد الاقليلا و بعضها تكون فيه قوية فيجذب ما يكون حجمه منها بعض قرار يط نحومائتى رطل ولاينفصل عنه الابقوة وعنف واكثر الخواص الموجودة فيه تقربه من السيال الكهربائى وانه لايوجد فى جميع الاجسام المعدنية بل انما يألف الحديد واكاسيده والفولاذ الذى هو ناشئ من اتحاد الكاربون بالحديد و كذا جميع ما تكون من الحديد ككبريتور الحديد اى كبريت وحديد وهنالك بعض اجسام غير الحديد وما تكون عنه توجد فيه الخواص المغناطيسية مثل النيكل و الكوبلت والكروم والمانقنيز واما الكهربائية فانها توجد فى جميع الاجسام فاذن قد تبين لك ماهى القوة التى خلقها الله تعالى فى الاجسام وتماسكها على وجه الاتحاد ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول ﴿ الفصل العاشر فى كيفية دخول الاوكسجين على الاجسام وكيفية التهاب النار وفيه ابحث ﴾ هذا وان كان للاوكسجين اتحاد مع جميع الاشياء الدنيوية الا ان درجات اتحاده معها تختلف باختلاف انواعها وتنتظم فى سلكها درجات البهجة والرونق التى تصدر منه فى ولائمه وافراحه (فان قلت معترضا على فى الاوكسجين من اين دخل على تلك الاجسام قلت لك مثلا لو تركت قطعة من الحديد معرضة مدة يومين او ثلاثة ايام لشاهدت الصداء قد علاها فى هذه المدة اليسيرة فهل ينشأ هذا الصداء الا من تأهل الاوكسجين بالحديد واتحاده معه فتصدأ لهذا التأهل فى الخفية فيباشر عمله بلا زينة ولا مهرجان وسبب مباشرته له فى الخفية ان اتحاد الاوكسجين مع الحديد قليل لانه ليس من المقربين لديه ولذا كان هذا الاتحاد القليل الواقع بينهما حاصلا بالتدريج مع التأنى واذا استعوض الحديد بسو لفاته ووضعه فى دورق من القزاز ووضعه فى تنور عاكس تكون ناره قوية لاتمام ثلاثة ايام حتى يتم فيه تأهل الاوكسجين ويخرج ذلك الملح احمر جميلا يسمى

باوكسيد الحديد فاذا استعوض ايضا سولفات الحديد اى الجاز بقطعة من الورق وعرضت للهب فانها تحترق فى الحال ولا تحتاج فى احتراقها الى استغراق بعض ايام كالحديد الذى ابتل وتعرض للهواء ووجد على سطحه طبقة خفيفة من الصداء ومن هنا تعلم انه كلما كان الزمن طويلا كان التأهل غير محسوس وبعكس ذلك كلما كان قصيرا كان محسوسا بمعنى ان مدته تكون مقدرة بالنسبة الى كية الاوكسجين المتأهل به وان هذه الكمية متى كانت صغيرة كانت مدة التأهل صغيرة ومتى كانت كبيرة كانت هذه كبيرة (فان قيل لما ذا نرى ان الورق سريع الالتهاب وما هو الشئ الموجود فيه الباعث للاوكسجين على حبه حتى ان كية كثيرة منه تتأهل به سريعا (قلت ان الباعث له على ذلك هو شيئان احدهما هو الفحم الذى عرفته فيما تقدم وثانيهما هو الايدروجين الذى سبق ذكره عند الكلام على المعادن ومن المعلوم انك لا تجهله بعد ما علمت انه هو الداخل فى تركيب غاز الايدروجين الثانى الكربن المسمى بغاز الاستصباح الخارج من الفحم الحجرى المستعمل فى تنوير المدن بواسطة احتراقه فى المصابيح الموقدة فى الشوارع وهو اخف من الهواء بمقدار اربع عشرة مرة ونصف وهو ساكن مع الاوكسجين فى الماء والنسبة الواقعة بينهما فى داخله هى نسبة واحد الى ثمانية بخلافه خارج الماء فانه متحد على الدوام مع الكربون وانهما مقيمان بجوار بعضهما بسبب الارتباط الزائد الحاصل بينهما فى جميع المواد النباتية والحوانية وكيف لا وانهما متحدان معا فى الحطب والخشب والفحم الحجرى والزيت والدهن وروح العرقى وباقى المواد المستعملة فى فى الحريق او القابلة للالتهاب كالورق وما ماثله فبناء على ذلك متى قربت النار من الورق وتولدت الحرارة فالايدروجين والكاربون الكامنان فيه يظهران ويشرعان فى التخلص والفرار فيقعان فى قبضة الاوكسجين ويتعذر عليهما الانفلات من يده فهنالك يتم التأهل ويظهر اللهب والضوء ويستمران على حالة ظهورهما حتى لا يبقى شئ منهما (ومن هنا

يتضح

يتضح لك يا بنى ان الايدروجين والكربون داخلان فى مواد الحريق وان المولى سبحانه وتعالى منحنا هباته الوافرة ونعمه المتكاثرة بما لا يقدر قدره الا هو جل شأنه وعز سلطانه ولا تخف غائلة فقد معدن الفحم بمجرد تشكى بانعيه من عدم وجوده وكن مطمئن الخاطر فانه يوجد منه ايضا فى الجبال اضعاف مافى محاجر الفحم وبهذه الوسيلة يجب عليك ان لا تشغل منك الفكر والبال بفقد الفحم او بوجوده لانه لو فرغت معادنه ومحى منه الاثر بالكلية وزال ماعلى وجه الارض من الآجام والغابات لكان مافى الجبال من مواد الاحتراق كافيا لاداء ماتحتاج اليه انما ينبغى لك ان تعرف طرق استخراج ما اشتملت عليه هذه الجبال من الفحم ليظهر لك من الاماكن التى يكون خافيا وان توقف الناس على هذا السر وتطلعهم على مخبآت هذا الكنز لان الفحم المستخرج من الجبال متى ظهر من حيز العدم الى الوجود اتحد به الاوكسجين بلا توان ولا تقصير وبالجملة فليس عليك سوى كونك تسأل عن نفس الفحم وان كان لك رغبة فى تحققه فعليك بكتابنا كشف الاسرار النورانية فى المقدمة بحيث انه هنالك يتبين لك يومه اى زمنه الذى تكون فيه ﴿ بحث الاول فى تنقية الدم ﴾ ولنرجع هنا لنكمل لك كيفية تنقية الدم فنقول ان الدم بعد تقابله مع الهواء فى الرئة يرجع ممتلئا بالاوكسجين وفى حال مروره بالاعضاء يجد عند كل منها فى انتظاره الايدروجين والكاربون فيتحد بهما وبهذه المثابة يتوصل الى الدخول فى الجثة فتتولد من ذلك النار كما سبق وليس الحامل لنا على شرح احوال النار سوى تفهيمك كونها ناشئة من تأهل الاوكسجين والايدروجين والكاربون وحيث ان هذا التأهل قد حصل بالفعل فلا تشك فى تولد النار منه داخل الجثة فاذا عرفت سبب وجودها فى داخل جسم الحيوان قلت لك انه لابد لتولد الحرارة فى الجسم كما فى الفرن المستوقد من وقوع الاتحاد بين اوكسجين الهواء والايدروجين والكاربون الداخلين فى تركيب مواد الوقود كفحم

الحطب وخلافه ومن هنا يتضح لك ان البارى سبحانه وتعالى قد اودع بقدرته العلية فى جوف الانسان اتولد الحرارة فى داخله نظير مايقع منه فى منزله للتدفئة فى فصل الشتاء وحينئذ اذا تأملت ماشرحت لك وامعنت فيه نظرك تبين لك ان الانســان شبيه بالتنور والفم فيه عبارة عن الباب الذى يدخـل منه فى جـوفه عوضـا عن الحطب وما يماثله من الايدروجين والكاربون المتوار بين فى مواد غذائية كالخبز واللحم والفطير والحلوى وغير ذلك من المواد الحادثة من امتزاج الماء بالسكر والدهن والسمن بالدقيق وبناء عـلى ذلك فالايدروجين والكاربون يدخـلان فيما ناكله وفيما نشربه كالنبيذ بحيث لايمنعه عن الالتهاب سوى كثرة مافيه من الماء الذى اذا كان فيه قليلا آل الى عرقى والتهب بمجرد تعرضه للنار فلذا تناقص مافى العرقى من الماء صار روحا عرقيا والناس يستعملون هذا الاخير كالوقود فى طبخ القهوة والادوية وبعض الاطعمة والشاى ونحو ذلك ومع ان التنانير المعتادة تسخن بالايقاد فيها فدرجـة سخونها تختلف باختلاف كثرة وقلة الحرارة المتولدة من استعمال كمية كبيرة او صغيرة من الوقود لكن جسم الانسان الذى هو شبيه بالتنور ليس من هذا القبيل لان حرارته لاتزال واحدة فى الصيف والشتاء بالاقطار الثلجية والاقطار ذوات المنطقة الحارة سواء اكل كثيرا او قليلا بل انه يحفظها على الدوام بدون تغير ولولم ياكل بالكلية مدة ايام وهذا وان كان يظهر لك يا بنى انه من المستغربات بل ربما توهمت انه من قبيل الاكاذيب لكنه صحيح لا شبهة فيه ولاريب وقبل ان نوضح لك ذلك فنقول ﴿ البحث الثانى ﴾ فى درجات الحراره والبروده ووزنها انه يجب علينا ان نبين لك كيفية مايوجد بين الدرجات المختلفة للحرارة والبرودة فالبرودة من الفروق التى لايتأتى بقاؤها على حالة واحدة بالنسبة لتعدد الاجسام المنتشرة على سطح الارض لان مايمكن العثور عليه بالنسبة لبعضها لايكون متمتعا بنفس هذه الدرجة بالنسـبة الى البعض الاخر ولاهمية هذه المسـألة توصـل

الانسـان بما عناه من المباحث الى الطريق التى يتيسر له باتباعها تمييز الفروق المذكورة عن بعضـها بكيفية واحدة مع الدقة ومزيد الضبط وظهر بالتأمل فى طبيعة الاشياء ان الجسـم الانسـانى ينكمش فى دقة البرد الذى ينشأ عن ازدياد قشعريرة بخلاف وقت الحر فانه يحصـل فيه تمدد ويتراآى له كان شـغل محلا اكبر من الذى كان يشـغله فى فصل الشتأ وليس هذا قاصرا على جسم الانسان وحده بل هو عام فى جميع الاجسـام حتى انها تمدد وتنقبض بوقوع تأثير كل من الحرارة والبرودة عليها ولما كان الزيبق من بين هذه الاجسام هو الذى يظهر فيه التأثير بكيفية منتظمة استعملوه فى بيان درجات الحرارة والبرودة واخـترعوا آلة صغيرة سموها اتارموميتر اى مقياس الحرارة وبمجرد اختراع هذه الآلة زالت الصعوبات فى كيفية التقدير ولم يتعسر على الانسان فى اى بقعة من بقاع الارض وفى اى وقت من اوقات النهـار ان يقدر الدرجـة ويقارن بين عدة من البقاع فى آن واحد ويبين درجات قوى الاشـياء المختلفة لها والآلة المذكورة هى عبارة عن كرة صغيرة مشتملة على زيبق وعليها انبوبة رفيعة من الزجاج فان عرض الزيبق للحرارة صعد فى الانبوبة وشغل محلا غير الذى كان شـاغلا له فى مبدء امره وان عرض للبرودة رجع على عقبه وشـغل محله الاول فاذا فرض انك فتت ثلجا ووضعته فى آنية حول الكرة وعلمت فى اثنأ الذوبان على الانبوبة بعلامة فى آخر نزول الزيبق ثم اخذت الآلة وغمست الآلة اى الكرة فى المأ عند غليانه فان الزيبق يرتفع فى الانبوبة الى حد معلوم فتعلم بعلامة اخرى فيكون عندك حينئذ علامتان احداهما فى النهاية السـفلى وهو الصفر والاخرى فى نهاية الغليان وعليها تضع رقم مائة مثلا فاذا قسمت مابين العلامتين الى مائة قسم دل كل قسـم من هذه الاقسـام على درجة واقعة بين ذوبان الثلج وغليـان الماء ومن هنـا تعلم يا بنى انه كلما ارتفع الزيبق فى الانبوبة دل على ازدياد الحرارة وكلما قرب من الصـفر دل على زيادة

البرودة واذا كانت البرودة اعظم من درجة ذوبان الثلج فلا يتأتى الاستدلال عليها بالآلة المذكورة الا اذا وضعت تحت الصفر درجات كالتى فوقه وكذا متى كانت الحرارة اعظم من درجة غليان الماء فالاستدلال عليها غير ممكن مالم توضع من ابتداء قسم المائة اقسام تكون دالة على ذلك وبهذه المثابة قسموا الانبوبة الى درجات تحت الصفر وفوق المائة بحيث لم يضعوا تحت الصفر زيادة عن اربعين درجة لان الزيبق يتجمد بمجرد وصوله الى الدرجة الاخيرة من هذه الدرجات الاربعين بخلاف الدرجات التى فوق المائة فانها تبلغ ثلاثمائة وخمسين ولا تزيد عن ذلك لان الزيبق بمجرد وصوله الى هذا الحد يتطاير وحينئذ لاصعوبة فى استعمال الثارمومتر ولا فى وضعه فى اى محل يراد معرفة درجة حرارته وبالصعود والنزول نعرف درجته فاذا وقف الزيبق على القسم المبين برقم ٢ تحت الصفر استدل بذلك على برودة شديدة وحصول ثلج وان وقف على المبين بعدد ١٥ او خلافه من الاقسام التى فوق الصفر دل ذلك على برد لطيف يتأتى تحمله وحرارة مناسبة فمتى زاد على ذلك دل على زيادة الحرارة وهلم جرا فاذا وضعت الكرة فى الفم مثلا شوهد ان الزيبق يصعد فى الانبوبة ويقف على القسم المبين برقم ٣٧ فوق الصفر ولا يتحول عنه فيكون فى هذا دلالة على درجة حرارة جسم الانسان التى ربمازادت فيك ايها الشاب على ذلك زيادة لا يتجاوز فوقها درجة واحدة ومن هنا يعلم ان حرارة الجسم الانسانى تتغير من ست وثلاثين الى ثمانية وثلاثين درجة فلو طفت فى جميع الارض وعرضت تلك الآلة لواحد بعد واحد من عدة من الناس لما وجدت خلاف ما ذكر ﴿ الفصل الحادى عشر فى مقياس الغذاء فى الحر والبرد ومقداره ﴾ ويؤخذ مما تقدم كيفية قياس الحرارة وحيث انه قد سبق القول على ان فى جسم الانسان نارا لا تخمد بشعلتها فيلزم بيان الكيفية ليحفظ بها الجسم حرارته

ولا شك انه ينبغي فى فصل الشتاء والبرد الشديد تقوية النار عما فى فصل الصيف وهذا مما يستوجب زيادة كمية الحريق كما ان شهية الانسان تنفتح فى اوقات البرد ويزداد اكله عما فى اوقات الحر وحيث انه يلاحظ بالنسبة الى الشخص الواحد والبقعة الواحدة ان الفرق فى فصل الشتاء والصيف يكون غير محسوس بسبب ان اعتياده قد يمنعه على الدوام من تناول ماهو معتاد على تناوله وانه لا يحصل فى غذائه من التغيرات سوى النزر اليسير فلا بد من المقارنة بين شخصين من قطرين متباينين حتى تتأتى مقارنة النسبة بين الحرارتين الباطنة والظاهرة فيقال مثلا ان الهندى يكتفى فى غذائه بقليل من الذرة فى اليوم الواحد مع انه يجب على احد سكان المنطقة الثلجية وهم سكان جزائر القطب الشمالى ان يتناول فى الدفعة الواحدة لاجل حفظ درجة حرارته البدنية وعدم تحولها عن سبع وثلاثين درجة مقدارا وافرا من زيت الحوت بخلاف احد سكان البورتغال فانه يتم غذاءه فى مسافة بعض دقائق من الزمن ويكتفى فيه بتناول الخبز بكل مايحصل له من الادم واما احد سكان بلاد الانكليز فانه يستغرق فى غذائه مسافة بعض ساعات من الزمن وياكل فى الدفعة كثيرا من اللحوم ويتعاطى كثيرا من الاشربة الروحية حتى انه يمزج العرقى بالنبيذ ليزيل بواسطته مافيه من البرودة كما يقال واما احد الاندلسيين فانه يكتفى بشرب الماء القراح مع ان مايتناوله احد السكوسيين من الاشربة يقتل كل من يتعاطاه من الفرنساوية ومن هذا يستنبط انه لا يستحب فى البلاد الباردة سوى الاغذية الدسمة والاشربة الروحية التى كلما كانت البرودة عظيمة كثر التعاطى منها وهذا بخلاف مافى البلاد الحارة ولذا نرى انه كلما اشتد البرد كثر الاقتراب من النار وتغذيتها بالحطب اكثر مما فى باقى الاوقات فلو فارق احد من اهالى الانكليز بلاده وانتقل منها الى بلاد الهند واستعمل فى غذائه عين الكمية والكيفية اللتين كان يستعملهما فى بلاده لما زادت درجة حرارته

البدنية عن اصلها مع شدة حرارة القطر الذى انتقل اليه لان مايستعمله البدن مما يتعاطاه هو المقدار اللازم لاعطائه القدر المطلوب من الايدروجين والكاربون بدون التفاته الى مايزيد عليه ثم يترك الزائد للكبد من الصفراء اكثر ومن هنا يظهر انه كلما وصل الى الجسم ماهو لازم له بلغت درجة حرارته حدها المعلوم وبالجملة فمهما وصل اليه مما يزيد على لزومه من كميات الغذاء لاينشأ عنه زيادة فى درجة حرارته وانما يترتب عليه كثرة عمل الكبد تبعا لكثرة الكمية لانه يستعملها الدم ولذا يشاهد ان الانكليزى الذى يتمادى على تناول مااعتاد عليه فى بلاده وهو فى غيرها من البلاد الحارة يحمل كبده مالا يطيق من التعب الشديد ويترتب على ذلك انه يرجع الى وطنه مصابا بالكباد وهو داء الكبد ﴿ الفصل الثانى عشر فى ادخار الدم وتشبيه الروح بالكمنج ﴾ واسمع يا بنى هناك حكمة اخرى غير هذه اعجب منها فى تخليص الدم من الكمية الزائدة التى لايستعملها وهى انه يحفظ بمخازنه مازاد عن لوازمه يستعمله عند الاحتياج اليه كما تفعل الذئاب فانها على مايقال متى ظفرت بشئ اكلت منه كفايتها واخفت مابقى منه فى مسكنه حتى اذا جاعت عادت اليه واكلته وهكذا الدم فانه يدخر بمخازنه مازاد عن لوازمه ليستعمله عند احتياجه فاذا اعرتنى سمعك يا بنى فهمت مااقول لك وهو انك اذا اوقدت شمعة تراءى لك ان نورها يستمر حتى لايبقى منها ادنى شئ حول فتيلتها وحينئذ يقال الى اى شئ تنسب اللهب اذا لم تنسبه الى الدهن لانه قد علم مما سبق ان الاجسام السريعة الالتهاب هى الاكثر احتواء على الايدروجين والكاربون وحيث ان الدهن معدود من هذه الاجسام فلا بد من تعريفه لاسيما وانه لايوجد فى ذلك ادنى صعوبة وكيف وان جميع الناس يعلمون انه متكون من شحم الغنم وغيره فان قيل من اين لشحم الغنم الذى يصنع منه الشمع مايوجد فيه من الايدروجين والكاربون قلت ان الدم هو الذى اوجدهما به لانه هو الوكيل المنوط بصرف مايلزم للاعضاء

ومن هنا يتضح انه هو الذى خزن فى الشحم الايدروجين والكاربون الزائدين عما هو لازم لعمل الصفرأ مع مايناسب كمية الاوكسجين بالنظر للتنفس ومراده بهذا التخزين انه متى كانت المراعى غير كافية اختلفت حرارة الجسم من ٣٩ الى ٤٥ درجة واخذ الدم من الشحم المخزون المقدار الذى يترتب عليه انتظام الحرارة وتعديلها وتوصيلها الى الحد المعين لها وهنا يفهم ان الشحم هو عبارة عن الوفر الجزئى الذى وفره الدم وخزنه بمخازنه بالتدريج ليستعمله عند احتياجه اليه وجميع ماذكر بخصوص الغنم يصدق فى اطلاقه على الانسان اذ يوجد فى كليهما طحال وكبد لعمل الصفرأ وعملية الاوكسجين فيهما واحدة كما ان التنفس وكيفية تكوين الشحم فيهما كذلك وحينئذ ينبغى لك ان تطبق ماتقرر فى شأن الغنم على الانسان سوأ بسوأ لتعلم حقيقة الحكمة الربانية التى تدبرت بها شروط الحياة والهمت القوانين القائمة بحفظها واودعت فى الدم من الخواص والاسرار مانظمت به نتائج الاغذية حتى لايختل نظام الجسم فى اى حالة حصل فيها انحراف الانسان عن طريق مايجب لبدنه اعنى فى حالة القلة والكثرة وقد جعلنا الدم من مبدء الامر وكيلا فى توزيع مايلزم للاعضاء فى داخل الجسم وهذا فضلا عن كونه يبلغ مايصل اليه من الاوامر الصادرة له من مولاه الى رجال المملكة اذ هو المتكفل بذلك وهو الذى يحمل كل عضو على استمرار حركته وهو بالنسبة اليها كالسواق بالنسبة للعملة لانه يجبر كل منها فى دورته على عمله حتى ان جميع الاعضاء تعتبر بالنسبة اليه كانها فى رق له وانه مقتفيها على الدوام بسوطه بحيث لو انقطع عنها او عن بعضها لتعطل عملها وجر ذلك الى مالا محيص عنه من الاخطار وحيث انه يمكن تشبيه جسم الانسان الكمنج والدم بالقوس فتى توالى مرور القوس على الاوتار سمعت انغام الكمنج وحصل الطرب الذى هو دليل على وجودها ومتى انفصل عنها انعدمت هذه الانغام وبذلك يستدل على انعدامها بعد الوجود ويتفق فى بعض الاحيان

عقب مرض او انفعال نفسانى كبيران الدم يتوجه الى القلب كما ان ماء
النهر فى اوقات الزلازل يرجع الى المنبع ويتعرى عنه ومثل ذلك يقع للدم
عقب هذه الاحوال فانه يزول بزواله توريد الخدود ويكون ذلك هو
العلامة لذهابه من تحت الجلد وتنقطع الاعضاء التى تركها عن العمل
ويحصل خدر فى المخ وترتخى الاعصاب ويحصل فتور عام وذهول وعما
قليل ينطرح الجسم على الارض ويمتد عليها ويكون كانه نسيج بلا روح
فان تمادى على ذلك ولم يحصل له اسعاف بترجيع الدم من الفؤاد الى
مجاريه مات الانسان بلا محال وان حصل له اسعاف وعاد الدم الى
مجاريه غلبت الطبيعة على المرض وقهرته ورجع كل شئ الى اصله
وشرعت قوى الجسم فى النمو وعادت اليه صحته بعد قليل من الزمن
وعلى هذا ذهب بعض الاقدميين الى ان الروح هى الدم وقال آخرون
ان روح الحيوان فى التنفس زاعمين ان الدم لايقوم بحياة الحيوان الا اذا
وصل اليه ماتستمد به النار التى تقدم ذكرها وحيث ان بقاء هذه النار
يستوجب وجود ماتحتاج اليه من المواد فلا بد ان الدم يجلب معه
الاوكسجين ليتحد مع الايدروجين والكاربون وينشأ عن هذا الاتحاد
ماعبرنا عنه فيما سلف بالتأهل الذى يترتب على حصول بقاء الحياة
ومن هنا نعلم ان الاوكسجين هو الحامل للاعضاء على طاعة الدم
فتى وصلها منه شئ اطاعته وبادرت الى تنفيذ مايامرها به
فان لم يصل اليها منه شئ فقد اعتباره وصارت لاتخافه وربما بعث
اليها من الدم الوريدى الاسود مالا تقبله ولا تلتفت اليه ولا
تستعمله لانه بالنسبة اليها لافرق بينه وبين الماء وانه لايلزم
لها سوى الدم الاحمر المملوء بالاوكسجين ﴿ الفصل الثالث عشر فى
التحليل والتركيب وتشبيه الدم بفعل العقلاء ﴾ ومن هنا يتضح انه لابد
للدم فى كل دفعة من جلب الكمية اللازمة منه لاجل توزيعها حتى
يكون مطاعا ولذا نرى ان الرئتين تخزنان منه ما يلزم لهما وانه يأخذ

الاوكسجين

الاوكسجين فى كل دورة ويدور به على الاعضاء ويوزع على كل واحد منها ما يحتاج اليه فتستمر الحيوة فينا ما دام هذا العمل مستمرا ومتى انتهى الاجل بطل عمل الحجاب الحاجز ووقفت حركته ويكون هو هذا آخر رمق للحيوة فى الحيوانات يا بنى اراك ترقب فى فكرك على قولى لك ان بعض الاقدمين قالوا ان الحيوة لا تقوم الا بالدم والدم لا يقوم الا بالتنفس قلت لك الحيوة هى مجموع ظواهر الاجسام الالية واستمرارها المدة المحدودة فى الجسم ناشئ عما يدخل فيه من الجواهر الغريبة التى تستحيل الى طبيعته كما قلنا ومما يلزم اخذه منها لقوته وخروج مالا نفع به وبهذه الاستحالة تتغير مادة الجسم على الدوام لانه لا يزال حافظا لشكله لان الجواهر المذكورة تستحيل الى سائل فتنتشر فى الجسم او تنفرز منه فينتج من ذلك ان كلا من السوائل والجوامد يكون دائم الحركة فى البنية وان السوائل تنفذ فى التجاويف الصلبة التى فى اجزاء البدن وبذلك تتمدد التجاويف المذكورة ثم تنقبض عليهما فيحدث من ذلك معظم حركات السوائل وكل منها يستحيل الى الآخر لان جزء السوائل المذكورة يستحيل الى مادة جامدة مدة من الزمن كما ان بعض الجوامد يستحيل الى سائل وهذا عبارة عن نوع تحليل وتركيب به يستمر تغير الجسم الآلى مدة حياته وتزداد اقطاره واندماجه من وقت نشأته الى ان تتغير البنية شيئا فشيئا تضعف قوة الحيوة وتقف وحينئذ يحصل الموت وبعد الموت تنفصل العناصر المركبة له عن بعضها وتتكون منها مركبات جديدة وكل جسم آلى له شكل ظاهر وبنية خاصان به بحيث ان كل جزء من اجزائه قائم بوظائفه الى انقضاء حياته واعلم يا بنى ان وظيفة العضو هو فعله الخاص به او الذى يشاركه فيه غيره من الاعضاء ففى الوظائف التغذى وهو وظيفة تشتمل على الامتصاص والافراز واستحالة الاغذية الى مادة آلية فى الجسم الآلى ومنها التناسل وهو وظيفة بها بقاء النوع واستمراره وبدونه ينقطع وجود الموجودات وينقطع تجددها لان الاجسام الآلية

الحية لاتنشأ الا من اجسام مماثلة لها بان ينفصل من الجسم الأصلى التام النمو شيء يتكون منه جسم آخر مماثل له وهذا الشيء قبل انفصاله عن اصله يسمى جرثومة وهذه الجرثومة تنمو وتكمل فى باطن الام ما دامت متعلقة لانها صارت جزأ منها ثم تنفصل عنها على هيئة افراز وما سلف يثبت ان فعل الدم داخل الجسم يكون شبيها بفعل العقلاء الذين لهم دراية بحسن التصرف فى الامور لانه يطرأ بالنظر لما عساه يطرأ عليه الى كونه يخزن ما يحتاج اليه من المواد ليستعمله عند الضرورة حتى لا تخمد النار وينقطع حبل الحيوة فان لم تجد فى مخازنه ما تستعين به وتبين لنا ان المعدة قد اشرفت على انقطاعها عن العمل فيأخذ ما يعثر عليه بدون ان يوفرادنى شى ثم يأخذ ايضا ما يلزم له من الشحم وبعد ذلك يجور على العضلات لانها وان كانت نافعة الا انها اقل اهمية من غيرها وبهذه المثابة يقوم بلوازم الحيوة وبقائها بعض ايام لكن العظم يتجرد من اللحم ويبقى مكسوا بالجلد فاذا لم يحصل له اسعاف فانه لا يتأخر ويهجم على الاعضاء المهمة ويساعد بها وان لم يحصل له اسعاف انفصلت الروح عن الجسم ومات الانسان بالجوع وقد رايت ما يماثل ذلك فى حكاية كنت قراتها فى بعض الكتب وهى ان رجلا فخاريا تعلقت آماله بتعلم صناعة الفرفورى المعروف بالصينى فترك صناعته الاصلية وهى عمل الفخار ولما عزم على تحصيل الصناعة الجديدة المذكورة التى رغب فيها دون غيرها عكف على مزاولتها وصرف امواله عليها وتمادى على ذلك عدة ايام وشهور حتى انه لم يبق فى يده درهم ولا دينار وافتقر بعد غناه واجاع عائلته بعد الشبع وخابت مساعيه ولم تنجح تجاريبه ولم يؤثر فيه لوم زوجته واقاربه ولا تقريع اهل بلده له ونظرهم اليه بعين الاحتقار ونظمه فى سلك المجانين حتى انهم كانوا يقولون له بلا توقير ايها المصاب بعقلك الغارق فى بحار جهلك لا تتعرض لهذه الصناعة وعد الى صناعتك التى هى لك اجل بضاعة فلم يسمع منهم

نصيحة ولم تعمل فيه الملامة الصريحة بل استمر على اصراره وانكب على عمله ولم يقلع عما عزم عليه حتى انه اتفق له ذات يوم من الايام انه اخذ كوشته واراد ان يحرقها ويفوز منها بالنجاح لكنه لم يكن عنده حطب فاخذ حظيرة بستانه وحرقها وفعل كذلك بحطب الدكة والتخت وحيث انها مع ذلك لم يتم حرقها بعد فراغ ما عنده من الحطب اضطر الى اخذ خشب ارضية داره ولولم يتم حريق الكوشة المذكورة لجبر على الحاق خشب السقف به ولأتلف داره بتمامها وهكذا الدم فانه مشابه لفعله بهذا الرجل الذى يهدم تكميل عمله ويبتدئ فيه بالاقل اهمية وعند الاضطرار لا يتوفر الاهم ولا المهم وفى هذه الحالة يستوى عنده كل شئ وليس مقصد الرجل المذكور من التشبث تعلم صناعة غير صناعته سوى نفع عائلته كما ان مراد الدم بهدم داره هو بقاء الحيوة فانه يبقيها بعض ايام بفعله الذى لولاه لانفصلت الروح عن الجسم من قبل بعدة ايام ويؤخذ مما تقدم ان الدم هو الفعال فى الجسم وانه لا يتأتى للاعضاء بدونه ان تفعل ادنى شئ وان جميع ما يحضره من الاوكسجين يكون هو السبب فى بقاء النار التى هى القوة الحيوية الحاملة للاعضاء على استمرار فعلها وهى عند سيرها فى طريق عملها محتاجة كالبهائم التى تساق بالمحجن الى سواق يحثها على الشئ ﴿ الفصل الرابع عشر فى الحيات فى الاعصاب وكيفية فعلها وفيه بحثان ﴾ وبعد الوقوف على حقيقة ذلك يمكن توضيح امور كثيرة كان يعسر فهمها قبل الوصول الى معرفة ما يتيسر الحصول عليه الآن ومن المشاهد بعد الركض الشديد والجرى العنيف ان حركة القلب تكون سريعة وان الحرارة تأخذ فى الازدياد حتى يسيل العرق ويعسر التنفس ويتغير لون الوجه ويتحول من البياض الى الاحمرار والباعث على ذلك هو ان جميع الاعصاب تشترك حينئذ فى العمل وبعضها يشتد وبعضها يرتخى على التعاقب بحيث تكون بمنزلة الآلات التى حركتها مرتبطة بحركة عدة

زنبلكات بعضها معد لدفعها الى جهة الامام وبعضها حاصر بجملة منها الى جهة الخلف ولو توصل احد الى مشاهدة مثل هذه العملة الحاصلة فى داخل الجسم لرآى انها عملته شاقة وان جميع الاعصاب مشتركة فيها وان كلا منها مضطر فى عملة الى بذل قوة زائدة على طاقته المعتادة

﴿ البحث الاول هل يوجد لكل جزء من الاعصاب وظيفة ام لا ﴾

فان قلت هل لكل جزء من اجزاء المجموع العصبى وظيفة خاصة به وان كانت له وظيفة فما هى قلت لك اما الاعصاب فوظيفتها انها توصل التأثير من الدائرة الى المركز ومنها تقبل اصل الحركة وتوصلها الى العضل والاوعية واما العقد فتنوع الفعل العصبى بحسب نسيجها الخاص ومقدار الدم المتوزع فيه واما الكتلة العصبية فبها يتم اهم الوظائف واعظمها فهى آلة التعقل وبها تتم الافعال العديدة المتوحدة القصد التى هى بين الاحساس والارادة وكذا قوة التمييز المتوسط بين هذين الامرين والذى يقرب للعقل انها ان كانت متعلقة بجزء عصبى نوعى يكون مجلسها فى الجزء العلوى من النخاع وكثير اما اجتهد بواسطة المشاهدات والتجارب فى تعيين المجلس العضوى للاحساس والارادة فقال بعضهم انه فى النصفين الكرويين للمخ وان المخيخ تحت استيلاء المخ ومنه اصل الحركة وقال بعضهم ان المجلس المشترك لورود الاحساسات وتوجه التأثير العصبى المسبب للحركة هو جزء النخاع الذى عليه الحدبات الاربع التوءمية وان المخيخ ينظم تلك الحركات ويعدلها والدليل على ذلك اذا استؤصل من حيوان لا يقدر بعد استئصاله على اتمام حركات منتظمة موافقة لا فى الوقوف ولا فى المشى ﴿ البحث الثانى فى بيان مواضع الافئدة والاعصاب ﴾ وهنا نعلمك يا بنى ان الاعصاب فى ابتداء نشأتها تنشأ فى جميع اجزاء العلقة وتتجه نحو القناة الفقارية فيكون منها النخاع الشوكى ويمتد النخاع الى الجمجمة فيكون منه المخيخ والحدبة المخية وحدباتها الاربعة ومنها يتكون المخ اما المخيخ فوضعه فى الحفرتين

السفليين من عظم المؤخر حجمه يقرب من ربع حجم المخ شكله محدب ويتصل من الامام بالمخ وبالنخاع المستطيل بواسطة الحدبة المخية وينقسم الى نصفين كرويين ويوجد فى وجهه العلوى مرتفع يسمى بالمرتفع الديدانى والوجه السفلى فيه من الوسط ايضا مرتفع ديدانى وتركيب المخيخ من صفائح متراكبة على بعضها تشبه عمود وولطه الكهرباتى واما الحدبة المخية فوضعها فى وسط قاعدة الجمجمة فيما بين المخ والمخيخ متصلة بهما بواسطة حدباتها الاربعة التوءمية واما المخ فوضعه فى اعظم جزء من تجويف الجمجمة وينقسم الى وجهين احدهما علوى يحاذى قبوة الجمجمة وثانيهما سفلى يحاذى قاعدتها وينقسم بواسطة غشاء الى قسمين متساويين يسمى كل منهما بالنصف الكروى ويتميزان الى ايمن وايسر يوجد فيما بينهما جملة اعضاء واسفلهما البطين المتوسط وفى سمك النصفين الكرويين البطينان فهما البطينان الجانبيان ويوجد فى كل منهما من الاعلى الجسمان المضلعات ثانيا السريران البصريان ثالثا الشريط الهلالى ويوجد فى كل من البطينين من الاسفل الجسمان المشرفان وثانيا قرنا امون وثالثا الجسم الضاف لقرن امون ﴿ البحث الثالث فى تأثير كل عصب على حدته ﴾ واعلم يا بنى انك الآن قد علمت مواضع الافئدة لكن لم تعلم كيفية كل عضو وتأثيره قال بعضهم ان القوة الحساسة آتية من النخاع الشوكى وان الارادة والقوة التى بينهما تكون الحركات العضلية كائنات فى الجزء العلوى من النخاع الجمجمى حتى تصل الى الاجسام البصرية وان الاجسام البصرية لازمة للحركات الجانبية وان النصفين الكرويين عضو للحركة الامامية وان المخيخ عضو الحركات المخالفة للسابقة والدليل على ذلك انه اذا استؤصل احد هذه الاعضاء بطل فعله ويبقى فعل الآخر مستوليا فان استؤصل احد الاجسام البصرية تحدث عنه حركة دورية واستدل بعضهم من التجارب فى الحيوانات على ان المخيخ هو عضو القوة الحساسة وان

الجوهر الابيض للنصفين الكرويين هو عضو الحركة الارادية والجزء المقدم من المخ والجسم المخطط عضو حركات الاطراف البطنية والجزء الخلفي والطبقة البصرية عضو حركات الاطراف العليا وقال بعضهم ان المخيخ مجلس الاحساس وان نصفي المخ مضطرب الحركات الارادية وان الاحساس يصل الى نصف المخيخ من جهة العضو الواقع عليه التأثير ولكن الذى علم قديما ان الارادة تسرى من المخ الى الجهة المخالفة له وهذه الاقوال كلها مؤسسة على تجارب متفاوتة فى الاتقان وان التأثير الواصل لكل عضو اذا جبره الدم على مباشرة هذا العمل وقهره قهرا عنيفا وحينئذ ينبغى للدم على خلاف عادته لاجل قيامه بهذا الامر ان يجدد اضرام النار على غير المعتاد كما يباشر سواق وابورات سكك الحديد متى اراد تيسيرها بسرعة زائدة وهذا هو سبب ازدياد الحرارة وتصبب العرق الذى يسيل من الجبين والوجه وباقى الجسد ﴿ البحث الرابع فى كيفية ورود التأثير العصبى وتعويض ما نقص منه ﴾ واعلم يا بنى انه لابد لاضرام النار بسرعة من ازدياد كمية الوقود الذى لما كان لايوجد منه فى كل قطرة من الدم سوى مقدار معين كان من الواجب لاجل الحصول على كمية زائدة عن المعتاد فى كل عصب ورود الدم اليه بكثرة فان حصل ذلك فى نقطة واحدة فقط كما هو الواقع بالنسبة الى المعدة فلا يكون هناك ادنى صعوبة لان الدم ينبعث اليها من جميع الجهات وحيث انه يلزم للدم زيادة فيه وانه لا بد من وروده على كل منها بكثرة فى الجهتين العليا والسفلى من الجثة فما يحصل وما الذى يفعله الدم لاجل التخلص من المشكل وهذا على غلبة الظن ظاهر لانه مع شدة التأثيرات العصبية وتنبهه للاعصاب وتنبه الاعصاب له فى حالة الهدؤ اوفى حالة السرعة على حد سواء فان قلت ما هو التأثير العصبى قلت لك هو سيال عصبى قد يكون مدركا وقد يكون غير مدرك ويسمى بالاثير وباللهب وبالمغناطيسى وبالضوئى وبالكهربائى وبالجلوانى وذلك بحسب

ما توجهت تأملات العلماء فى الاجزاء المختلفة وزعم بعضهم ان الفعل العصبى من فعل كيماوى وحيوى ونسبوا فعل الاجزاء العضوية الى شكلها وتركيبها لانهما متى تغير اتغير فعلها ومتى تغير فعلها لابد وان يشاهد فيها تغيرات وحينئذ تستنتج قاعدة وهى ان كل تغير فى الفعل يكون ناشئا عن تغير فى التركيب ومما يقوى ذلك كثرة الدم الشريانى المتوزع فى المجموع العصبى لا سيما فى جوهره السنجابى لان كثرته دائما تكون بحسب القوة العصبية ﴿ البحث الخامس هل يدرك الفعل العصبى ام لا ﴾ فان قلت هو الفعل العصبى يدرك ظواهره وزمنه ام لا قلت لك يعتبر الفعل العصبى فعلا عاما ظواهره وشروطه مدركة وان كانت الظواهر المذكورة لا تدرك فى الاعصاب كما يدرك الانقباض العضلى فى العضل والذى يظهر انه يوجد لحصول الاحساس حركة ما فى الجوهر العصبى وقت حصوله كما ان احساس العين بالضوء لا بد له من زمن وان كان كطرفة عين وكما ان تدغدغ العينين او ضربهما فى الظلمة لابد وان يحدث عنه احساس بضوء وهناك اقوال تدل على انه يوجد وقت الاحساس حركة جزئية فى الجوهر العصبى وان هذه الحركة لابد لها من زمن وان كان (كلمح البصر) لكن لما كان سيره سريعا جدا كان غير مدرك فان قلت ان اعضاء مأوى الحس هل تحركه وقت ارسال الخبر ام لا وان هذا السائل الموجود فى تلك الاعضاء اتيانه للاعضاء باى كيفية قلت لك انه هناك تجارب تدل على ان المجموع العصبى عضو يصدر منه شئ لا يوزن كالسائل الكهربائى او الجلوانى يسرى فيه وتسهل به معرفة كيفية حصول الفعل الجلوانى فى الاعصاب و العضل وكيفية حصول الانقباضات العضلية والفعل الهضمى الكيماوى للمعدة والفعل التنفسى للرئة وغير ذلك بابدال الفعل العصبى بالفعل الجلوانى ويسهل به ايضا معرفة وجود القوة العصبية التى يمتد تأثيرها ويكون بجو حول العضل والاعصاب ثم يمر بين طرفى العصب المقطوع

ويسهل به ايضا معرفة حصول الثنيات التى تحصل فى الالياف العضلية المنضبطة وسبب اتيان اواخر الالياف العصبية انيابا مستعرضا لاتجاه الثنيات المذكورة وهذا الانثناء مماثل لما يحصل من الفعل الكهربائى على العضل ولما استحسن بعضهم هذه الاراء جزموا ان اصل الفعل العصبى هو سبب انقباض المخيخ لكون صفائحه موضوعة على هيئة العمود الكهربائى المنسوب للماهر وولطه وزعموا ان الاحساس لا يصدر الا عن حركة جزئية فى المخيخ وعلى كل فالقوة العصبية تضعف وتضمحل بسبب الاشتغالات العقلية واشتغال الحواس والعضل واكثر ما يكون ذلك من الالام ثم تعود بالراحة والاغذية والنوم وبالجملة فشدتها تكون بالنسبة لكتلة المجموع العصبى كله او لجزء من اجزائه لا سيما كتلة الجوهر السنجابى لكثرة اوعيته وبالنسبة لسعة الاسطحة ايضا والقوة المذكورة تستمر فى الاعصاب والعضل بعد الموت مدة والظاهر انها نتيجة فعل سائل خفيف جدا لايوزن كما ذكرنا متكون بفعل الجوهر العصبى المندى بالدم الشريانى والذى يظهر ان هذا السائل يتكون فى جميع الجهات لا سيما الجهة التى يكون فيها الجوهر السنجابى الوعائى العصبى مجتمعا وان السائل العصبى يمر فى باطن الاعصاب وعلى سطحها ليحيط بها كجو وبعد نفوذه من الانتهاآت العصبية ينتشر فى جميع الاعضاء والاخلاط لا سيما الدم فانه به تكون خواصه الذاتية المميزة له مدة الحيوة ﴿ البحث السادس هل المجموع العصبى له دخلا فى الامراض ام لا ﴾ فان قلت هل لهذا المجموع العصبى دخل فى الامراض ام لا قلت لك كما ان لهذا المجموع العصبى دخلا فى تتميم الوظائف وانتظامها كذلك له دخل عظيم فى تولد الامراض لانه هو الذى يتأثر بالاسباب الممرضة ويوصل تأثيرها الى جهات الجسم وبه ايضا تكون الحركات الغير المنتظمة فى العضل والقلب والشرايين وكذا الاشتراك المرضى الكائن بين الاعضاء ومن حيث ان فعله قد يمتد الى المنسوج الخلوى

الذى

الذى هو اساس الاعضاء والى الدم الداخل فيها المندى لها يعلم ان له دخلا عظيما فى حدوث الامراض فكأنه هو السبب الاعظم فى حصولها والذى يقرب من العقل ان الامراض المسماة بالعامة والذاتية يكون مجلسها فى المجموعين اعنى العصبى والوعائى لان احدهما مركز للوظائف الحيوانية والثانى مركز للوظائف الغذائية اعنى ان سببها فى الدم وفى التأثير العصبى المؤثرين فى جميع الاجزاء لما بينهما من الارتباط التام وبالجملة فالحياة والصحة متعلقتان بانتظام هذين المجموعين ووظائفهما ومن اختلاف الانتظام المذكور او تعطيله يكون المرض او الموت ﴿ الفصل الخامس عشر هل دونوا اهل الشرائع فى المجموع العصبى فيه علوما ام لا فيا بنى مالى اراك متنكرا لعلك تقول لى انك اكثرت الكلام فى هذه المادة فاجيبك بان الحامل لى على بسط الكلام فى هذه المادة هو ضرورة الاحتياج اليه وحيث ان رغبتى فى افادتك فهى التى دعتنى الى هذا الاسهاب فقل لى لاتثريب عليك ولا ملام فانك اتيت بما يبرد الغليل ويشفى العليل * ويبرئ السقام * ويجلى الظلام فان قلت هل دون الشارع المسائل العصبى الى اهل الشرائع فيه علوما ام لا قلت لك ان الله سبحانه وتعالى ذكره فى قوله (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا (تنبيه كيفية الحياة فى جمع الاجسام) اعلم ان جميع الاجسام الغير العضوية مختصة بقوى الجذب والنسبة وهما كافيتان لها فى وجودها واستقلالها واما الاجسام العضوية فهى مختصة بالحيواة وتنقسم الى نباتات وحيوانات فالنباتات مع كونها مختصة بالبنية العضوية يوجد فيها اصل الحيواة المشترك بينها و بين الحيوانات فتجذب من الارض ومن الهوا الاصول المغذية لها وتنضجها حتى تصير مماثلة ثم تنمو وتتوالد وينتهى امرها بالموت غير انها لا تحس بوجودها ولا تلتذ ولا تتألم ولا تحصل منها حركات انتقالية واما الحيوانات فلها سوى البنية العضوية والقوة المشتركة بينها وبين النباتات اعضاء مخصوصة قائمة بتتميم وظائف وافعال

اخر بها تتمكن من تجهيز الاشياء المحتاجة هي اليها فان لها اعضاء نافعة في قبول التأثرات الاجنبية وتوجيهها الى مركز عمومي ولها اعضاء اخر بدخولها تحت سلطنة الارادة يتمكن الجسم من الانتقال من مكان الى آخر والجسم البشري منها يختص بجهاز حسى عظيم جدا ويفعل حركات كثيرة مختلفة لان النسر وان كان ذا نظر حاد اكثر من نظر البشر والكلب وان كان ذا شم قوي اكثر من شمه فليس مجموع حواسهما مثل حواسه في الاتقان فانا لو اعتبرنا اعضاء الحواس بالنظر الى مجموعها لوجدنا الجسم البشري في الحقيقة اعدل الحيوانات كلها احساسا ولان اغلب الحيوانات اعظم قوة منه ومع هذا فلا يتأتى لفرد منها ولو كان مهما كان ان يفعل حركات عديدة مثل حركاته وايضا ليس لفرد منها حنجرة كثيرة التحرك يقتدر بها على احداث اصوات مختلفة في الغناء والكلام كحنجرته وما ذكرناه في الجسم البشري وان كان كافيا في تمييزه عن غيره الا اننا لو نظرنا لخاصته الفاضلة العظمى اعني القوة العقلية التي بها صار واسطة بين الخالق تبارك وتعالى وباقي المخلوقات لكثرة مباينته له فلهذا خص الله تعالى مجموع حاسته المجموع العصبي بالسؤال في قوله سبحانه (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) وفي الآية مسائل (المسألة الاولى) في قوله تعالى (ان السمع والبصر والفؤاد) اعلم يا بني ان اعضاء الحواس موضوعة في السطح الظاهر للجسم وفي دائرته التأثر بدون واسطة من المؤثرات البادية فتكون حريصة على حفظ الجسم ووقايته للاعضاء المهمة المنحصرة في تجاويفه والحواس الظاهرة خمس البصر والسمع والشم والذوق واللمس والفؤاد جهاز الحس الباطن المخ والمخيخ والحدبة المخية (المسألة الثانية في القراآت وما يتعلق بالسؤال) ان السمع والبصر والفؤاد قرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة عن الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على

اصحابها

اصحابها هذا وان اولاً وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع
لذا والذى يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا   قال الشاعر   ذم المنازل
بعد منزلة اللوا * والعيش بعد اولئك الايام   وقوله تعالى (كان عنه
مسؤلا) اى كان كل من تلك الاعضاء مسؤلا عن نفسه على انه اسم
كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم
ضميراى فى قوله تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم) القافى بطريق
الالتفات اذ الظاهر ان يقول كنت عنه مسؤلا وقيل الجار والمجرور فى محل
الرفع قد اسند اليه مسؤلا معللا بان الجار والمجرور لايلتبس بالمبتدء وهو
السبب فى منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع
على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا او مجرورا ويجوز
ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر
ويعود الضمير مستكنا كما فى قوله تعالى (ويوم مشهود) وجوز ان
يكون مسؤلا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله
المصدر وهو السؤال وعنه فى محل النصب وسائل ابن جنى ابا علىّ عن
قولهم فيك يرغب فقال لايرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اى
فيك يرغب الرغبة بمعنى تفعل الرغبة كما فى قولهم يعطى ويمنع اى يفعل
الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان او فاعلة ضمير كل بحذف
المضاف اى كان صاحبه عنه مسؤلا او مسؤل صاحبه (المسألة الرابعة
فى قوله تعالى والفؤاد) اعلم يا بنى ان الافئدة جمع فؤاد وهى التى
جعلها الله تعالى مراكز للحياة وقوله تعالى (ان السمع والبصر والفؤاد)
قدم تعالى السمع والبصر على الفؤاد اخبر تعالى انه بعد ان ركبه واعطاه
الحواس الخمس الظاهرة والباطنة بين له سبيل الهدى والضلال لان
الآية الشريفة دالة على ان اعطاء الحواس كالمقدم على اعطاء العقل
والامر كذلك لان الانسان خلق فى مبدء الفطرة خاليا عن معرفة الاشياء
الا انه اعطاه آلات تعينه على تحصيل تلك المعارف وهى الحس الظاهر

وهنا بحثان ﴿ البحث الاول ﴾ ان العلوم اما مستفادة من الحواس او من العقول اما القسم الاول فاليه الاشارة بذكر السمع والبصر فان الانسان اذا سمع شيأ او رآه فانه يرويه ويخبر عنه واما القسم الثانى فهو العلوم المستفادة من العقل وهى قسمان البديهية والكسبية والى العلوم العقلية الاشارة بذكر الفؤاد ﴿ البحث الثانى ﴾ ظاهر الآية يدل على ان هذه الجوارح مسؤلة وفيه وجوه الوجه الاول ان المراد ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسؤل لان السؤال لايصح الا ممن كان عاقلا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان فهو كقوله تعالى (واسأل القرية) والمراد اهلها يقال له لم سمعت مالا يحل لك سماعه ولم نظرت الى مالا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالا يحل لك العزم عليه والوجه الثانى ان تقرير الآية ان اولئك الاقوام كلهم مسؤلون عن السمع والبصر والفؤاد فيقال لهم استعملتم السمع فيما ذا افى الطاعة اوفى المعصية وكذلك القول فى بقية الاعضاء وذلك لان هذه الحواس آلات النفس وهى السمع والبصر والذوق واللمس والشم والنفس كالامير عليها والمستعمل لها فى مصالحها فان استعملتها النفس وهى الافئدة فى الخيرات استوجب الثواب وان استعملتها فى المعاصى استحقت العقاب والوجه الثالث انه ثبت بالقرآن العظيم انه تعالى يخلق الحيات فى الاعضاء ثم انها تشهد على الانسان والدليل عليه قوله تعالى (يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) وكذلك لايبعد ان يخلق الله تعالى الحياة والعقل والنطق فى هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال عليها (المسألة الخامسة) فى قوله سبحانه وتعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا اعلم يا بنى انه تعالى ايأنا انى قد خلقت لكم هذه الحواس واتممتها فى الانسان لتنبهه عن ماينبغى ان يتباعد عنه وعن مايقصده من الخيرات ووظيفتها المشتركة بينها توصيل التأثيرات للمخ ليحكم بها صفات الاشياء فما كان نافعا يوجهه

الى

الى مايليق به وان كان عكس ذلك يحجزه ولا يحكم به وهاهنا مباحث

﴿ المبحث الاول ﴾ فى السمع عضو السمع هو الاذن والمنبه الوظيفى لها هو الحركات الاهتزازية الصوتية المتموجة فى الهواء الآتية من جسم رنان متحرك بحركة كلية او جزئية والحس بالرنين يحصل من التأثير الذى يحدث على العصب السمعى من طبقات اهتزاز الهواء وتكرار ترويض السمع يصيره مكتسبا لنمو غزير ولطافة باهرة وتأثر السمع اما من اصوات شاذة عن الكمال او اصوات غير شاذة واما من اصوات قوية او اصوات ضعيفة ولنتكلم على نتائج كل منها فنقول اما نتائج الاصوات الشاذة عن الخيرات والتقدم الى الاعمال القبيحة فهى المعاصى ولنذكر الاسباب التى تؤثر على الدماغ الذى هو مركز الاحساس السمعى وهذه تحتوى على مايحدث زيادة تنبه وتكون هى الرتبة الاولى من اسباب الاعتياد على تألم السمع وانطباعه فى الدماغ من الاصوات المحشوة من الاوهام القوية المتكررة والافراط من الاصوات الآتية من اشخاص ليس فيهم حب الاديان والمخاطبات الخرافية وملازمة الدراسة فى العلوم الحسابية و الفلكية والفلسفية وكثرة حضور المجامع والائتناس وسماع آلات الضرب واللهو واعلم يا بنى ان المعاصى من خواصها ان الانسان كلما كان اشتغاله اكثر ومواظبته عليها اتم كان الميل اليها اكثر وقوة النفس عليها اقوى بخلاف من كان مربى فى الكمال فان فعل مرة من الاسماع المتقدم ذكرها فترت رغبته فى ذلك العمل وكلما كان سماعه لذلك العمل اكثر كان فتوره اكثر ونفرته اتم بخلاف المعتاد فى تربيته فانه كلما كان اقدامه عليه اكثر كان نشاطه اكثر ورغبته فيه اتم فاذا واظب الانسان على تلك الاحوال صار غريقا فى المعاصى وصارت عنده لذات بدنية معرضا عن تذكر الآخرة والمعاد حتى يصير من الذين نسوا الله فانساهم انفسهم اما نتائج الاصوات القوية ومثلها الاصوات التى تكون فى حال كون درجة الجو باردة يابسة فانها تضعف حس

السمع وتسبب الطرش فاذا اصيب الجهاز السمعي دفعة واحدة بصوت قوى جدا ولم يكن متعودا عليه تدريجا حصل له التهاب او نزيف ثم الطرش بعد زمن قصير او طويل وكثيرا ماينهتك بهذا السبب الغشاء الطبلى واكثر الاسباب لهذا الحادث وقوعا صاعقة او صوت مدفع عظيم او احتراق مخزن بارود والصوت الزائد فى الشدة من ذلك يمكن اذ ينشأ عنه تشوش العصب السمعى والطرش الناشئ عنه لاعلاج له واما نتائج الاصوات الضعيفة ومثلها حالة الصمت ونحو ذلك فهى ان ترويض السمع على الاصوات الضعيفه يصيره قابلا لان يتأثر من اقل شئ ويعطيه زيادة لطف وحالة الصمت التى هى ليست الا عدم المنبه الوظيفى للسمع تكسبه الراحة التى هى ضرورية لتعويضه سهولة قبول التنبيه واذا طالت مدتها صار السمع غير قابل لان يتحمل قرع صوت قليل الشدة وحالة الصمت معينة على النوم وعلى التأمل بالفكر والترويض الطبيعى للسمع عدم تعريضه لاصوات شديدة جدا او لاصوات ضعيفة جدا بل ان يتعود سماع اصوات متوسطة واما حدة السمع واختلاله والوسائط الصحية لذلك فالاول الذى هو حدة السمع المعروفة بافراط السمع تكون حاصلة غالبا من آفات مخية فاذن هو موضعى والوسائط الصحية التى يستدعيها هى راحة السمع اولا بسد الاذن ثم ترويضه على سماع اصوات ضعيفة فيشتد تدريجا والثانى الذى هو اختلاله يكون اما بحس طنين فى الاذن او دوى او لغط اصوات فيها وهذا لايعرفه الا الشخص القائم به ذلك واما بسماع الاصوات التى من قوة واحدة مختلفة والاول يكون عروضه من احتقان دموى موضعى او من امتلاء عمومى او من انيورزما شريانى او غير ذلك وهذه تجب معالجتها والثانى يكون حاصلا من كون احدى الاذنين متغيرة والثانية باقية على صحتها ويكفى لهذا سد الاذن المريضة ليعتدل السماع وكل من هذين الحالين يخص علم الامراض واما ضعف السمع المعروف بثقل السمع او بالطرش الغير الكامل فله فى

الكهول

الكهول والشيوخ عوارض معروفة ولا يمكن ازالتها ﴿ البحث الثانى ﴾ فى بيان عضو البصر عضو البصر هو العين فالقادر الحكيم سبحانه قد نبه جملة مرات بالدلائل الدالة على الابصار فى خلق السموات والارض والتفكر فى خلق الانسان بحيث ان آلة الابصار هى الناقلة صور المرئيات كما قال تعالى (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) وفيه مسائل (المسألة الاولى) قرأ حمزة والكسائى من تفوت والباقون من تفاوت قال الفرأ وهما بمنزلة واحدة مثل تظهر وتظاهر وتعهد وتعاهد وقال الاخفش تفاوت اجود لانهم يقولون تفاوت الامر ولايكادون يقولون تفوت واختار ابو عبيده تفوت وقال يقال تفوت الشيء اذا فات واحتج بماروى فى الحديث الشريف ان رجلا تفوت على ابيه فى ماله (المسألة الثانية) حقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولايلايمه ومنه قولهم خلق متفاوت ونقض متناسب واما الفاظ المفسرين فقال السدى من تفاوت اى من اختلاف وعيب يقول الناظر لوكان كذا كان احسن وقال آخرون التفاوت الفطور يدل قوله بعد ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى (مالها من فروج) قال القفال ويحتمل ان يكون المعنى ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فى الدلالة على حكمة صانعها وانه لم يخلقها عبثا (المسألة الثالثة) ان الخطاب فى قوله ماترى اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وكذا القول فى قوله فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير (المسألة الرابعة) احتج الكعبى بهذه الآية على ان المعاصى ليست من خلق الله تعالى قال لانه تعالى نفى التفاوت عن خلقه وليس المراد نفى التفاوت فى الصغر والكبر والنقص والعيب فوجب حمله على نفى التفاوت فى خلقه من حيث الحكمة فيدل من هذا الوجه على ان افعال العباد ليست من خلقه على مافيها من

التفاوت الذي بعضه جهل و بعضه كذب وبعضه سفه والجواب انا نحن نحمله على انه لا تفاوت فيها بالنسبة اليه من حيث ان الكل يصح منه بحسب القدرة والارادة والداعية وانه لايقبح منه شئ اصلا فلم يكن حمل الآية على التفاوت من الوجه الذي ذكرتم اولى من حملها على نفي التفاوت من الوجه الذي ذكرناه ثم انه تعالى اكد بيان كونها محكمة متقنة فقال فارجع البصر هل ترى من فطور والمعنى انه لما قال ماترى في خلق الرحمن من تفاوت كانه قال بعده واملك لاتحكم بمقتضى ذلك بالبصر الواحد ولا تعتمد عليه بسبب انه قد يقع الغلط في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر وردده النظرة مرة اخرى حتى تتيقن انه ليس في خلق الرحمن من تفاوت البتة والفطور جمع فطار وهو الشق يقال فطرته فانفطر ومنه فطرناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم فطلع قال المفسرون هل ترى من فطور اى من فروج وصدوع وشقوق وفتوق وخروق وكل هذا من الفاظهم ثم قال تعالى (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) امره بتكرير البصر في خلق الرحمن على سبيل التصفح والتتبع هل يجد فيه عيبا وخللا يعني انك اذا كررت نظرك لم يرجع اليك بصرك بما طلبته من وجود ان الخلل والعيب بل يرجع اليك خاسئا اى مبعدا من قولك خسأت الكلب اذا باعدته قال المبرد الخاسئ المبعد المصغر وقال ابن عباس الخاسئ الذي لم يرما يهوى واما الحسير فقال ابن عباس هو الكليل قال الليث الحسر والحسور الاعياء وذكر الواحدي ههنا احتمالين احدهما ان يكون الحسير مفعولا من حسر العين بعد المرئى قال رؤبة يحسر طرف عينه فضاه الثاني قول الفراء ان يكون فاعلا من الحسور الذي هو الاعياء والمعنى انه وان كرر النظر واعاده فانه لا يجد عيبا ولا فطورا بل البصر يرجع خاسئا مع الكلال والاعياء وههنا سؤالات (السؤال الاول) كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين

التثنية الجواب الثانية للتكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك يريد اجابات كثيرة متوالية (السؤال الثاني) فما معنى ثم ارجع الجواب امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى بل ان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاوده ويعاوده الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور ومن الآيات المتعلقة بالبصر قوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر) وفيه مسائل (المسألة الاولى) ان مخففة من الثقيلة واللام علمها (المسألة الثانية) قرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زاق الرأس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها (ثم فيه وجوه) احدها انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى ويكاد يأكلنى اى لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله فبين الله تعالى ان هذا النظر كان يشتد منهم فى حال قراءة النبى صلى الله عليه وسلم للقرآن وهو قوله تعالى (واذا سمعوا الذكر) الى آخرها الثانى منهم من حمله على الاصابة بالعين هل انها فى الجملة حقيقة ام لا والثانى ان بتقدير كونها صحيحة فهل الآية ههنا مفسرة بها ام لا المقام الاول من الناس من انكر ذلك وقال تأثير الجسم فى الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة كما يحصل فى بعض الامراض وههنا لا مماسة فامتنع حصول التأثير واعلم ان المقدمة الاولى ضعيفة وذلك لان الانسان اما ان يكون عبارة عن النفس او عن البدن فان كان الاول لم يمتنع اختلاف النفوس فى جواهرها وماهياتها واذا كان كذلك لم يمتنع ايضا اختلافها فى لوازمها وآثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية فى التأثير فانه قد وجد فى بعض الاشخاص تأثير خاص به فعند القاء نظره على شخص لصرعه صرعه وان كان الثانى لم يمتنع ايضا ان يكون مزاج الانسان واقعا على وجه مخصوص يكون

له أثر خاص وبالجملة فالاحتمال العقلي قائم وليس في بطلانه شبهة فضلا عن حجته والدلائل السمعية ناطقة بذلك كما روى انه عليه الصلوة والسلام قال العين حق وقال انسين تدخل الرجل القبر والجمل القدر والمقام الثاني من الناس من فسر الآية بهذا المعنى قالوا كانت العين في بني اسد وكان الرجل منهم يجوع ثلاثة ايام وازيد ولا يمر به شيء فتقوى به تلك الحاسة فيقول فيه لم اركاليوم مثله الاعانة فالتمس الكفار من بعض من كانت له هذه الصفة ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ان يصره فعصمه الله تعالى وطعن الجائي في هذا التأويل وقال الاصابة بالعين اى التاثير الخاص تنشأ عن استحسان الشيء والقوم ما كانوا ينظرون الى الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا الوجه بل كانوا يمقتونه ويبغضونه والنظر على هذا الوجه لا يقتضي الاصابة بالعين واعلم ان هذا السؤل ضعف لانهم وان كانوا يبغضونه من حيث الدين لعلهم كانوا يستحسنون فصاحته وايراده للدلائل ومما يثبت هذه التاثيرات كانت كهنة الجاهلية يستعدون لعمل تأثيرات خصوصية يعدونها استعدادا وهذه التأثيرات كانوا يوجهون تاملاتهم لبعض امور منها النوم فاذا كان شخص مصاب بالارق فيأتي الكاهن الى عنده ويخبره انه ينيمه الساعة الفلانية ففي تلك الساعة ينام المصاب وذلك ان الكاهن قد استعدله محلا خاليا من الناس ودخل اليه ووجه تاملاته وتشخيصاته لهيئة ذلك المصاب واوما الى تلك الهيئة المصورة في تاملاته بالنوم فينام ومنها رؤية العين وهي ان الكاهن يستحضر شخصا ويجلسه على دكة او تخت او شيء آخر وبعد ذلك يتامله تأمل المغضب ويجحظ عينيه فيه وينصبهما نصب المغضب بدون ان يحركهما وهو زاخم كانه يخرج منه زفرات تلقى على الجالس فيصرعه وبعده ينبه فكرة المصروع ليحاكيه وهو غير مدرك فيحكي ومنها تصوراتهم الى الهواء بامور عندهم انها مثل مايريدون من الايذاء وغيره مثل عمل العين والله

تعالى

تعالى اعلم (في بيان حقيقة البصر) عضو البصر هو العين ومنبهه الوظيفي الضوء الذي هو سيال رقيق ينبعث من الاجسام النيرة كالشمس والنجوم الثوابت والاجسام الوالعة ونحو ذلك واجزاؤه اللطيفة تتحرك بسرعة شديدة جدا وترويض العين على الابصار يصير فيها لطفا شديدا في ادراك المبصرات وينبغي لرياضة العينين على الابصار حتى لا تكون مضرة لهما بل حافظة لهما على حالة الصحة لا مضرة ان لا يكونا معرضتين الى ضوء ضعيف جدا ولا الى ضوء شديد جدا وان لا يكونا مشتغلتين على الدوام وان لا يرتاضا على ابصار الاشياء الدقيقة جدا والبعيدة جدا وان لا يرتاضا مدة طويلة اى ان لا يتباعدا عن الضوء مدة ثم ان هذا المنبه يحتاج في كونه مصحا للبصر الى بعض شروط فان الضوء متى كان شديدا سواء كان مستقيما او منعكسا اضعف البصر وانتهى بحدوث العمى والجدران الشديدة البياض والبقاع المغطاة بالثلج او بغبار ابيض او برمل رفيع تعكس الاشعة بمقدار عظيم جدا وتحدث في العين النتائج التي يحدثها الضوء المستقيم كضوء الشمس او شعاع تنور ملتهب فاذن لا شيء اضر على البصر من اتمام عمل في ضوء شديد او قبالة نار زائدة اللهب فان الرمد ينسب في الغالب لجميع هذه الاسباب والرياضة الطويلة واذا تروض على نور ضعيف زيادة فانهما يضر ان البصر والظلمة من حيث ان عدم المنبه الطبيعي للعين تكون نتيجتها اراحة البصر فان استقامت مدة طويلة زادت في تهيئة العين لقبولها واستعدادها لان تتأثر بمجرد تعريضها للضوء واذا ارتاضت العين على ابصار الاجسام الصغيرة جدا المتقاربة لبعضها وتكررت الرياضة عليها كثيرا اكتسبت قدرة على تمييز الاجزاء الدقيقة من الاجسام لكنها تضعف عن ادراك الاجسام البعيدة ادراكا جيدا وارتياضها على عكس ذلك يحصل منه ضد هذه النتائج ففي جميع ما ذكرناه يمكن ان ينتج ما سنذكره وهو ان الرياضة الطبيعية للبصر هي ان لا يتعرض هذا الحس لضوء شديد بزيادة ولا الى نور

سديد بزيادة وان يحرص دائما على ان يكون الانتقال من الظلمة الى النور تدريجيا
وان يستر فعل الضوء القوى بستائر او عيون من زجاج وان يتخير من
الوان الامتعة واثاث البيت الاصفر او الاخضر والازرق وان يفضل
الاخضر لانه الالون الالطف فان خالق الطبيعة سبحانه وتعالى قد تكرم
به على النباتات بمعنى ان الله تعالى جعل لاغلب اوراق الاشجار والزروع
اللون الاخضر فبسبب ذلك فضل على غيره ولا تستعمل الستائر
الحائلة لا العيون والا متى اضطر اليها اضطرارا شديدا لان الاعتياد دائما
يصير سببا لعدم تحمل النور الاعتيادى وينبغى لارباب صنائع الالات
الذين توجبهم صنائعهم لان يروضوا ابصارهم على الاشياء الدقيقة جدا
ان يسكنوا فى اماكن عالية ليتأتى لهم ان يسرحوا ابصارهم فى منظر
متسع وان يتروحوا بقطع الشغل ازمانا يسيرة فان ذلك خير من ادامته
زمنا طويلا متواليا ولتحصل لهم استراحة زائدة وهذه الوصية ينبغى
ان يحافظ عليها خصوصا اذا كان الشغل على ضوء مصنوع فكونه
يشتغل ساعتين فى الليل وساعتين فى النهار خير من ان يشتغل اربع
ساعات بالليل على الضوء والجواهر المختلفة المستعملة فى النور بدل الضوء
الطبيعى تؤثر فى العين كما يؤثر الضوء الطبيعى فيها ولها عوارض اخر
ليست للنور الطبيعى هى الاهتزاز الدائم الذى يكون فى الجسم الوالع
والرائحة الكريهة والدخنة التى تصعد منه وغير ذلك واحسن النور
المصنوع استعمالا من مصابيح وغيرها ما كان نوره متساويا غير متحرك
قليل الدخان ما امكن فزيت الزيتون النقى وبعد التنوير بالزيت التنوير
بالشمع ونوره لطيف جدا متناسق كثيرا سيما للرجل الذى لا يشاهد
الاشياء الا من قرب والذى لا يميز الاشياء الا من بعد وتدارك هذه
الحالة يكون بتدريب البصر رؤية الاشياء البعيدة ويستعان مع ذلك
بمساعدة العيون فالعيون المقعرة التى من زجاج تناسب قصر النظر
والعيون المحدبة تناسب طول النظر واما العيون الخضر والزرق فلا

تناسب

تناسب الا الذين تكون الحساسية فى اعينهم زائدة وعلى اى حال فلا ينبغى استعمالها الا اذا احوجت لذلك الضرورة واذا كانت العينان غير متساويتين فى الابصار ينبغى ان يستعمل لكل عين زجاجة من نمرة مناسبة لها ومتى شوهد ان الطفل يميل الى تقريب الاشياء لعينيه منع من تقريبها لهما بزيادة ومن ان يمعن نظره فى الاشياء الدقيقة فاذا ابتدأ فى تعلم القراءة روض على ان يجعل رأسه غير متحرك ويجعل امامه الكتاب بعيدا عنه بعدا ما ثم يبعد تدريجا حتى يستقر على الحالة الاعتيادية واذا حصل طول النظر فى الكهول امكن رد البصر الى حالته الاعتيادية بتدريب العين على ممارسة المبصرات بلطف فان حصل مع التقدم فى السن وجب استعمال العيون جزما * واعلم يا بنى ان استعمال النظارة التى ينظر فيها بعين واحدة مضر لان العين الجيدة هى التى يكون فيها استعمال النظارة دائما والاحسن فى استعمال العيون ان يبتدئ من نمرة واطية ولا تأخذ نمرة اعلى منها الا اذا تعب البصر من الاولى والبصر المعتاد على الحول يستدعى احتراسات خصوصية فان كان الحول ناشئا عن آفة فى المقلة او عن فقد تمام حركة من حركات العضلات المستقيمة للعين كان الداء لاعلاج له وان كان حدوثه ناشئا من تعريض عضلة من العضلات المستقيمة للعين الى جعلها على حالة واحدة كما يقع لبعض الاطفال من انهم يضعونهم فى المهد على هيئة لا يصل الضوء لهم فيها الا من جانب واحد كان الشفاء من هذا ان يجلب الضوء الى الجهة الاخرى واذا كان الحول فى العينين معا منضما او منفرجا اضطر لاستعمال الآلة المانعة للحول وهى صدفتان مثقوبتان من الوسط يوضعان على العينين والله تعالى الشافى فى بيان قوله تعالى (قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) اعلم يا بنى ان ههنا دقيقة لطيفة كانه تعالى قال اعطيتكم هذه العطايا الثلاث وتبعها الذوق والشم واللمس مع ما فيها من القوى الشريفة

لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تاملتم في عاقبة ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم وافسدتم هذه المواهب فلهذا قال قليلا ما تشكرون وذلك لان شكر نعمة الله تعالى هو ان يصرف تلك النعمة الى وجه رضاه وانتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل لا الى طلب مرضاته فانتم ما شكرتم نعمته البتة * في بيان الافئدة الافئدة هي مراكز قوى الحيواة وهي المخ والمخيخ والحدبة المخية والقلب الذي هو آلة الدم يمدها بالحيواة وهن يمددنه بالحركة والحيواة فهذه المراكز هي الافئدة فان قلت ماهية التصديقات والتصورات قلت هي اما ان تكون كسبية واما ان تكون بديهية والكسبيات انما يمكن تحصيلها بواسطة تركيبات البديهيات فلا بد من سبق هذه العلوم البديهية وحينئذ لسائل ان يسأل فيقول هذه العلوم البديهية اما ان يقال انها كانت حاصلة منذ خلقنا او ما كانت حاصلة فالاول باطل لانا بالضرورة نعلم انا حين كنا اجنة في رحم الام ما كنا نعرف ان النفي و الاثبات لا يجتمعان وما كنا نعرف ان الكل اعظم من الجزء واما القسم الثاني فانه يقتضي ان هذه العلوم البديهية حصلت في نفوسنا بعد ما كانت حاصلة فحينئذ لا يمكن حصولها الا بكسب وطلب وكل ما كان كسبيا فهو مسبوق بعلوم اخرى فهذه العلوم البديهية تصير كسبية و يجب ان تكون مسبوقة بعلوم اخرى الى غير نهاية وكل ذلك محال وجوابه ان نقول الحق ان هذه العلوم البديهية ما كانت حاصلة في نفوسنا اولا ثم انها حدثت وحصلت اما قوله فيلزم ان تكون كسبية قلنا هذه المقدمة ممنوعة بل نقول انها انما حدثت في نفوسنا بعد عدمها بواسطة اعانة الحواس التي هي السمع والبصر وتقريره ان النفس كانت في مبدء الفطرة خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر فاذا ابصر الطفل شيئا مرة بعد اخرى ارتسم في خياله ماهية ذلك المبصر وكذلك اذا سمع شيئا مرة بعد اخرى ارتسم في سمعه وخياله ماهية ذلك المسموع

وكذا القول فى سائر الحواس فيصير حصول الحواس سببا لحضور ماهيات المحسوسات فى النفس والعقل ثم ان تلك الماهيات على قسمين احدهما ما نفس حضوره موجبا تاما فى جزم الذهن باسناد بعضها الى بعض بالنفى او الاثبات مثل انه اذا حضر فى الذهن ان الواحد ما هو وان نصف الاثنين ما هو كان حضور هذين التصورين فى الذهن علة تامة فى جزم الذهن بان الواحد محكوم عليه بانه نصف الاثنين وهذا القسم هو عين العلوم البديهية ثانيهما ما لا يكون كذلك وهو العلوم النظرية مثل ما اذا حضر فى الذهن ان الجسم ماهو وان المحدث ماهو فان مجرد هذين التصورين فى الذهن لا يكفى فى كشف الذهن بان الجسم محدث بل لا بد فيه من دليل منفصل وعلوم سابقة والحاصل ان العلوم الكسبية انما يمكن اكتسابها بواسطة العلوم البديهية وحدوث هذه العلوم البديهية انما كان عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور محمولاتها وحدوث هذه التصورات انما كان بسبب اعانة هذه الحواس على جزئياتها فظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف فى النفوس والعقول هو انه تعالى اعطى هذه الحواس هذه القوى فلهذا السبب قال تعالى (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ليصير حصول هذه الحواس سببا لانتقال نفوسكم من الجهل الى العلم بالطريق الذى ذكرناه وقال المفسرون وجعل لكم السمع لتسمعوا مواعظ الله والابصار لتبصروا دلائل الله والافئدة اى القلوب لتعقلوا عظمة الله (فى بيان الحواس الباطنة وتسمى الاعضاء المخية) الاشياء التى تنسب للنفس او للقوى العقلية هى التصور والتامل والحس والانتباه والحفظ والحكم والفطنة والارادة والشوق والتولع والميل والعشق وغير ذلك وجميع الافعال المخية تنقسم الى رتبتين فالرتبة الاولى هى التى تؤسس عليها معارفنا وينشأ منها الاستعدادات الطبيعية والملكات

المختلفة وتسمى بالقوى العقلية والرتبة الثانية تشتمل على الاستشعارات النفسية التي توقفنا على حالة احتياج الاحشاء وضروريانها ومنها ما يتألف ما يقال له الطبع الانساني الاستشعارات النفسية او الصفات الادبية او صفات القلب او ميل النفس وبالجملة فتسمى تولعات كما قال تعالى (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم) اعلم يا بنى ان الشعور علم الشئ اذا حصل بالحس ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكنهم لتماديهم فى الغفلة كالذى لا يحس اما قوله تعالى (فى قلوبهم مرض) فاعلم ان المرض صفة توجب وقوع الضرر فى الافعال الصادرة عن موضع تلك الصفة ولما كان الاثر الخاص بالقلب انما هو معرفة الله تعالى وطاعته وعبوديته فاذا وقع فى القلب من الصفات ما صار مانعا من هذه الآثار كانت تلك الصفات امراضا للقلب فان قيل الزيادة من جنس المزيد عليه فلو كان المراد من المرض ههنا الكفر والجهل لكان قوله فزادهم الله مرضا محمولا على الكفر والجهل فيلزم ان يكون الله تعالى فاعلا للكفر والجهل فقالت المعتزلة لا يجوز ان يكون مراد الله تعالى منه فعل الكفر والجهل لوجوه احدها ان الكفار كانوا فى غاية الحرص على الطعن فى القرآن العظيم فلو كان المعنى ذلك لقالو لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذا فعل الله الكفر فينا فكيف تأمرنا بالايمان وثانيها انه تعالى لو كان فاعلا للكفر لجاز منه اظهار المعجزة على يد الكذاب فكان لا يبقى كون القرآن حجة فكيف نتشاغل بمعانيه وتفاسيره وثالثها انه تعالى ذكر هذه الآيات فى معرض الذم لهم على كفرهم وكيف يذمهم على شئ خلقه فيهم ورابعها قوله (ولهم عذاب اليم) فان كان الله تعالى خلق ذلك فيهم كما خلق لونهم وطولهم فاى ذنب لهم حتى يعذبهم وخامسها انه تعالى اضافه اليهم بقوله (بما كانوا يكذبون) وعلى هذا وصفهم تعالى بانهم مفسدون

فى الارض وانهم السفهاء وانهم اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم (اذا ثبت هذا فنقول لابد من التأويل وهو من وجوه) الاول يحمل المرض على الغم لانه يقال مرض قلبي او مرض فؤادى او مرضت افئدتى والمعنى ان المنافقين مرضت قلوبهم لما رأوا اثبات امر النبي صلى الله عليه وسلم واستعلاء شأنه يوما فيوما وذلك كان يؤثر فى زوال رياستهم كما روى انه عليه الصلاة والسلام مر بعبد الله بن ابى بن سلول على حمار فقال له نح حمارك يا محمد فقد آذتنى ريحه فقال له بعض الانصار اعذره يارسول الله فقد كنا عزمنا على ان نتوجه الرياسة قبل ان تقدم علينا فهؤلاء لما اشتد عليهم الغم وصف الله تعالى ذلك فقال (فزادهم الله مرضا) اى زادهم غما على غمهم بما يزيد فى اعلاء النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم شأنه فمخالفة الطريق الحقانى فى العقول مرض وايضا العقل الجبلى المشتمل على الميل الى اغراض ذاتيه او غير ذاتية والتولعات العشقية جميعها مرض الثانى ان مرضهم وكفرهم كان يزداد بسبب ازدياد التكاليف فهو كقوله تعالى فى سورة التوبة (فزادتهم رجسا الى رجسهم) والسورة لم تفعل ذلك ولكنهم لما ازدادوا رجسا عند نزولها لما كفروا بها قبل ذلك وكقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام (انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا) والدعاء لم يفعل شيأ من هذا ولكنهم ازدادوا فرارا عنده وقال تعالى ومنهم من يقول (ائذن لى ولا تفتنى) والنبي صلى الله عليه وسلم ان لم يأذن له لم يفتنه ولكنه كان يفتتن عند خروجه فنسبت الفتنة اليه وقال تعالى وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وقال تعالى (فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا) وقولك لمن وعظته فلم يتعظ وتمادى فى فساده مازادتك موعظتى الا شرا وما زادتك الا فسادا فكذا هؤلاء المنافقون لما كانوا كافرين ثم دعاهم الله تعالى الى شرائع دينه فكفروا بتلك الشرائع وازدادوا بسبب ذلك كفرا لاجرم اضيفت زيادة كفرهم الى الله تعالى

الثالث المراد من قوله فزادهم الله مرضا المنع من زيادة الالطاف فيكون بسبب ذلك المنع خاذلا لهم وهو كقوله تعالى (قاتلهم الله انى يؤفكون)
الرابع ان العرب تصف فتور الطرف بالمرض فيقولون عن جارية مريضة الطرف بالمرض فيقال جارية مريضة الطرف قال جرير ان العيون التى فى طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا فكذا المرض ههنا انما هو الفتور فى النية وذلك لانهم فى اول الامر كانت قلوبهم قوية على المحاربة والمنازعة واظهار الخصومة ثم انكسرت شوكتهم فاخذوا فى النفاق بسبب ذلك الخوف والانكسار فقال الله تعالى فزادهم اى زادهم ذلك الانكسار والجبن والضعف ولقد حقق الله تعالى ذلك بقوله (وقذف فى قلوبهم الرعب) اى افئدتهم يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين
الخامس ان يحمل المرض على الم الفؤاد اى الم القلب وذلك لان الانسان اذا صار مبتلى بمصادر حسدية فى افئدته ونفاقية ومشاهدة المكروه اى صدما فى مفكرته فاذا دام به ذلك فربما صار ذلك سببا لتغير مزاج الفؤاد وتألمه وحمل اللفظ على هذا الوجه حمل له على حقيقته فكان اولى من سائر الوجوه وهاتان الرتبتان السابقتان آنفا من الظواهر ليستا معلومتين لنا الا بحسب ماتظهر فى الخارج وظاهر ان الجهاز المخى هو عضو هذه الظواهر والواسطة فى التعلق الواقع بين الاشياء الخارجة والمعرفة البشرية قد اثبت ان الفؤاد وحده هو عضو القوى العقلية والصفات النفسانية والفؤاد مثل بقية اعضاء الجسم قابل للتربية والاتقان والرياضة اى تدريبه على الاشياء بلطف ضرورة ويعطيه قوة عظيمة ويسهل افعاله التى تصدر عنه ونتائجه يحس بها اقل من الاحساس بنتائج بقية الاعضاء لان التغير فى المؤلف العصبى بعيد عن ان يظهر فيه مثل مايظهر فى المؤلف الخلوى العضلى ورياضة الفؤاد تكون ضرورية لتأليف الشخص وتأليف النوع * فى بيان الظواهر الفؤادية كون الاشتغال العقلى متعلقا بالفؤاد اوجب ان تكون نتائجه حاصلة اما

من

من عدم شغل الفؤاد وما من اشتغاله وتأثيره اولا على نفسه ثم على بقية الجسم فاما نتائج الشغل العقلى الشديد على الفؤاد فهى ان الحركة الشديدة للمخ التى تبلغ حد الافراط يحدث عنها الاحتقان او التهيج فيه من ابتداء درجتيها الذى هو احمرار الوجه فى الاول ومجرد الاحساس ببعض انزعاج فى داخل الجمجمة فى الثانى الى نهايتيها التى هى السكتة فى الاول والالتهاب المخى الحاد جدا فى الثانى ومتى اخذ المخ فى التعب استحس بثقل الرأس وبعض تشوش لو استطال الشغل لسبب وجع رأس حقيقى فيحمر الوجه والعينان وبعض الناس يوجد فيه حينئذ ميل للنوم وبعضهم لا وفى الجميع يكون ضعف فى الفكر ويحصل للاشخاص القابلين للتهيج كثيرا والذين بنيتهم ناشفة والضعفاء نتائج التهيج المخى فقط من غير ان يحصل لهم نزلات ولا يحسون الا بانزعاج وبعض وجع بخلاف الذين فى بنيتهم امتلاء والذين يشتغلون فى درجة حارة او عقب اكلة زائدة فان رؤسهم تكون ثقيلة اكثر من ان يكون فيها الم ويوجد فيهم ميل للنوم وخدر ويحصل فى الوجه والعينين احمرار وانتفاخ وتغلظ اوردة الراس والعنق ويعسر عليهم النطق وتحصل لهم السكتة وربما الموت وكثيرا مايحصل الجنون والصرع وذهاب القوة العقلية شيأ فشيأ من اشتغال العقل الشديد ايضا ونتائج شدة اشتغال العقل عموم الجسم هى ان الحركة المخية الواصلة الى حد الافراط تفعل فى اعضاء مختلفة من الجسم فالاحشاء والحواس الظاهرة اعظمها استعدادا لقبول هذه النتائج ويضاف على ذلك ضعف العضلات وضعف اللسان وتشوش وظائف الاحشاء وصيرورة الاعضاء الصدرية والبطنية مركز افات يعسر شفاؤها كلما كان تكوينها بطيأ وقل الانتباه اليها والمخ يرد الفعل على الاحشاء مقدما لها على غيرها لزيادة قوة المشاركة بينهما خصوصا احشاء القابلين للتهيج بزيادة فالذين مزاجهم دموى يكون القلب والرئة فيهم مريضين والصفراويون تكون المعدة والاثنا عشرى والكبد فيهم

اشد قبولا للاعياء واللينفاويون تكون فيهم الغدد المساريقية وفى بعض
الاحيان الغدد اللينفاوية تحت الجلد كل تشاويش عظيمة والاشخاص
الذين يشتغلون بافراط فى العلوم العقلية مستعدون بجملة امراض كثيرة
ينشأ فيهم غالبا من عدم الرياضة مطلقا واشتغال العقل اللطيف ليس
له على الفؤاد نتائج يحس بها لكنه مع الطول يحصل عدم اتقان فى
فاعلية هذا العضو وعدم استعداد طبيعى لتولد الفكر وعدم تميم لبعض
اعمال عقلية فالفؤاد اذن يقبل الاتقان كالعضل وهذا يكون طريقة
لتربية العقل واشتغال العقل لايعطى للرجل قوة فى عقله لم تكن موجودة
فيه او كانت فيه لكن باضعف درجة بل ينعش الموجودة والتى تكون
اكثر ضعفا تصير اكثر صحة ونتائج اشتغال العقل المتوسط على الجسم
هى انه وان لم يكن زائدا يحصل منه تأثير عظيم على الهضم فالانسان
اذا طالع او حسب او صنف وهو فى حالة الاكل كان الهضم فيه غير
جيد وان لم يصل الاشتغال لحالة التعب واما نتائج عدم الاشتغال العقلى
ومنه الاشتغال الواهى فهى ضعف الفهم وقوة العضلات فى زمن
معلوم ان عدم فعل الاعضاء يصير افعالها عسرة فيكل الفهم هنا
فى كل يوم عما قبله عوض ان يمتد وتكتسب العضلات شدة اعظم
واكثر فقد شوهد فى جميع الازمان ان العلماء والعقلاء هم ضعفاء الاجسام
اقوياء العقول ولذلك يصورون الامور قبل وقوعها وعدم فعل المخ
لايوجد بتمامه الا فى شخص ابله بالكلية ويحصل فيه عوضه كون
الوظائف الحيوية فى حالة الكمال وهذا هو المشاهد ايضا فى الاطفال
لان غاية مجهودهم الاكل والشرب والنوم وقطع الاشتغال العقلى بمدة
طويلة جدا وتكرار هذا القطع يمنعان تقدمه فلذلك لايوجد شىء آخر
على القوى العقلية من ابطال التدريب على العلوم مدة طويلة * فى بيان
قوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن
القلوب) اعلم يا بنى ان الله تعالى قال فى سورة الانفال (انما المؤمنون

الذين

الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) والوجل ضد الاطمئنان فكيف وصفهم ههنا بالاطمئنان والجواب من وجوه الاول انهم ذكروا العقوبات ولم يأمنوا من ان يقدموا على المعاصى فهناك وصفهم بالوجل واذا ذكروا وعده بالثواب والرحمة سكنت قلوبهم الى ذلك واحد الامرين لاينافى الآخر لان الوجل هو بذكر العقاب والطمئنينة بذكر الثواب ويوجد الوجل فى حال فكرهم فى المعاصى وتوجد الطمأنينة عند اشتغالهم بالطاعات * الثانى ان المراد ان علمهم بالقرآن بكونه معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم فى كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا من عند الله اما شكهم فى انهم اتوا بالطاعات على سبيل التمام والكمال فيوجب حصول الوجل فى قلوبهم الثالث انه حصل فى قلوبهم ان الله تعالى صادق فى وعده ووعيده وان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق فى كل ما اخبر عنه الا انه حصل الوجل والخوف فى قلوبهم انهم هل اتوا بالطاعة الموجبة للثواب ام لا وهل احترزوا عن المعصية الموجبة للعقاب ام لا * واعلم يا بنى ان لنا * فى قوله جل شأنه (الا بذكر الله تطمئن القلوب) ابحاثا دقيقة غامضة وهى من وجوه الاول ان الموجودات على ثلاثة اقسام مؤثر لايتأثر ومتأثر لايؤثر وموجود يؤثر فى شئ ويتأثر عن شئ فالمؤثر الذى لايتأثر هو الله سبحانه وتعالى والمتأثر الذى لايؤثر هو الجسم فانه ذات قابلة للصفات المختلفة والآثار المتنافية وليس له خاصية الا القبول فقط واما الموجود الذى يؤثر تارة ويتأثر اخرى فهو الموجودات الروحانية وذلك لانها اذا توجهت الى الحضرة الالهية صارت قابلة الى الآثار الفائضة عن مشيئة الله تعالى وقدرته وتكوينه وايجاده واذا توجهت الى عالم الاجسام اشتاقت الى التصرف فيها لان عالم الارواح مدبر لعالم الاجسام واذا عرفت هذا فالقلب كلما توجه الى مطالعة عالم الاجسام حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد الى الاستيلاء عليها والتصرف فيها اما اذا توجه الى مطالعة الحضرة الالهية حصلت فيه الانوار الصمدانية

والاضواء الالهية فهناك يكون ساكنا فلهذا السبب * قال تعالى (الا بذكر الله تطمئن القلوب) الثانى ان الفؤاد كلما وصل الى شئ فانه يطلب الانتقال منه الى حالة اخرى اشرف منها لانه لاسعادة فى عالم الاجسام الا وفوقها مرتبة اخرى فى اللذة والغبطة اما اذا انتهى الفؤاد والعقل الى الاستفادة بالمعارف الالهية والاضواء الصمدية بقى واستقر فلم يقدر على الانتقال منه البتة لانه ليس هناك درجة اخرى فى السعادة اعلا منها واكمل فلهذا المعنى * قال تعالى (الا بذكر الله تطمئن القلوب) والوجه الثالث فى تفسير هذه الكلمة ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على بحرة من الماء لونته فاكسير جلال الله تبارك وتعالى اذا وقع فى القلب اولى لان ينوره نورا باقيا متلألأ نورانيا لايقبل التغير والتبدل فلهذا * قال (الا بذكر الله تطمئن القلوب) فى بيان اشتغال العقل اكثر الاوقات افادة فى توليد الفكر وقت الصبح لان الجسم والذهن يكونان فيه مرتاحين والمخ مكتسبا بالنوم قوة جيدة والمعدة ليس بها شئ يحتاج للهضم فحينئذ يوجب تدريب العقل والفؤاد على النظر فى خلق السموات والارض وفى نفسه ويدربه ايضا على تهذيب اخلاقه وشفقته على جميع المخلوقات فبهذه المثابة يخلص من مرض القلب واشتغال العقل يلزم له الهدوء فكل مايلهى مضاد له فالافكار التى تتم مع وجود اللغط تكون متعبة وقليلة الجودة وشغل العقل لاينبغى ان يصل ابدا الى حالة التعب فان كان هذا التعب قليلا ولم يتكرر كثيرا ولم يكن الشخص المستعمل له مستعدا للاحتقانات المخية كانت عوارضه ضعيفة ومارة غير مستمرة فتكون بعض انزعاجات فقط وان الشخص اذا امتلأ وظن من تركب بنيته ان به اسبابا سابقة تهيئه لافات حادة فى المخ او التهابات او نزيف فينبغى نصحه بان لايستمر على الشغل الى وقت يتعب فيه المخ وان لايداوم عليه مع وجود هذا التعب وينبغى ان يتحقق ان الشخص كلما تمادى فى الاشتغال بطلب العلم ازداد فيه الاستعداد الطبيعى له فلذا يوجب تعلم

الافئدة

الافئدة على مرض التعصب ومخ الشخص الذى ليس معتادا على مثل
هذا الشغل وان كان يتعب بسرعة لكنه تزداد قوته فى هذا الشغل
شيأ فشيأ حتى انه يمكنه بسهولة ان يشتغل فى النهار قدر ماكان يعجز عنه
سريعا فى الابتداء مرتين او ثلاثا وينبغى له دائما ان يمتنع عن الشغل
العقلى فى زمن الهضم ولا اقل من ان يمتنع عنه فى وقت الهضم المعدى
وهذه الوصية ينبغى ان يعمل بها جميع الناس خصوصا الذين معداتهم
ضعيفة والذين فيهم استعداد للآفات المخية * وينبغى لارباب الاقلام تدارك
هذه الاحتقانات قبل حصولها فينبغى ان يوصوا على ان لايشتغلوا حتى
يصلوا الحد التعب لان من المعروف البين انه متى استشعر الانسان بتعب ما
كان شغله العقلى قليل النفع وينصحون ايضا على ان لايشتغلوا فى محل
زائد الحرارة اوالبرودة او معرضا لحرارة الشمس وان يلطفوا الشغل زمن
حرارة الصيف وان يختيروا له من النهار الوقت الاقل حرارة وان يرخرخوا
اربطة اعناقهم ويتباعدوا عن الملابس الضيقة والاستحمام الحار لايناسب
اهل العلم وارباب الاقلام ويمكن ان يستعملوا الاستحمام البارد او المعتدل
من غير عارض بل بفائدة عظيمة ولا ينبغى لهم استعمال الروائح الشديدة
خصوصا الفحمية فى المحل الذى يشتغلون فيه ولا يوجد شئ مضر لصحة
القوى العقلية مثل الافراط من المشروبات المخمرة لانها هى التى تنقصها
وظهور القوى العقلية فى الانسان صريحة * فى قوله تعالى (ولما
بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) وفى الآية مسائل
(المسألة الاولى) فى وجه النظم وجه النظم ان يقال بين تعالى ان
اخوة يوسف عليهم السلام لما اساؤا اليه ثم انه صبر على تلك الشدائد
والمحن مكنه الله تعالى فى الارض ثم لما بلغ اشده آتاه الله الحكم والعلم
والمقصود بيان ان جميع مافاز به من النعم كان الجزاء على صبره على تلك
المحن ومن الناس من قال ان النبوة جزاء على الاعمال الحسنة ومنهم من
قال ان من اجتهد وصبر على بلاء الله تعالى وشكر نعماء الله تعالى وجد

منصب الرسالة واحتجوا على صحة قولهم بانه تعالى لما ذكر صبر يوسف على تلك المحن ذكر انه اعطاه النبوة والرسالة ثم * قال (وكذلك نجزى المحسنين) وهذا يدل على ان كل من اتى بالطاعات الحسنة التى اتى بها يوسف فان الله يعطيه تلك المناصب وهذا بعيد لاتفاق العلماء على ان النبوة غير مكتسبة * واعلم ان من الناس من قال ان يوسف ما كان رسولا ولا نبيا البتة وانما كان عبدا اطاع الله تعالى فاحسن اليه وهذا القول باطل بالاجماع وقال الحسن انه كان نبيا من الوقت الذى قال الله تعالى فى حقه (واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا) وما كان رسولا ثم انه صار رسولا من هذا الوقت اعنى * قوله تعالى (ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما) ومنهم من قال انه كان رسولا من الوقت الذى القى فيه فى غيابة الجب (المسألة الثانية) فى بيان الاشد قال ابو عبيدة تقول العرب بلغ فلان اشده اذا انتهى منتهاه فى شبابه وقوته قبل ان يأخذ فى النقصان وهذا اللفظ يستعمل فى الواحد والجمع يقال بلغ اشده وبلغوا اشدهم وقد ذكرنا تفسير الاشد فى كتابنا كشف الاسرار النورانية فارجع اليه واما التفسير فروى ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ولما بلغ اشده قال ثلاثة وثلاثين سنة واقول هذه الرواية شديدة الانطباق على القوانين الفيسولوجية وذلك لان الاطباء قالوا ان الانسان يحدث فى اول الامر ويتزايد كل يوم شيأ فشيأ الى ان ينتهى الى غاية الكمال ثم يأخذ فى التراجع والانتقاص الى ان لا يبقى منه شئ فكانت حالته شبيهة بحالة القمر فانه يظهر هلالا ضعيفا ثم لا يزال يزداد الى ان يصير بدرا تاما ثم يتراجع الى ان ينتهى الى العدم والمحاق * اذا عرفت هذا يا بنى فنقول * مدة دور القمر ثمانية وعشرون يوما وكسرا فاذا جعلت هذه الدورة اربعة اقسام كان كل قسم منها سبعة ايام فلا جرم انهم رتبوا احوال الابدان على الاسابيع فالانسان اذا ولد كان ضعيف الخلقة نحيف التركيب الى ان يتم له سبعة سنين ثم اذا دخل فى السبعة

الثانية

الثانية حصل فيه آثار الفهم والذكاء والقوة ثم لايزال فى الترقى الى ان يتم لهاربع عشرة سنة فاذا دخل فى السنة الخامسة عشرة دخل فى الاسبوع الثالث وهناك يكمل العقل و يبلغ الى حد التكليف وتتحرك فيه الشهوة ثم لا يزال يرتقى على هذه الحالة الى ان يتم السنة الحادية والعشرين وهذا الاسبوع آخر اسابيع النشور والنماء فاذا تمت السنة الثامنة والعشرون فقد تمت مدة النشور والنماء و ينتقل الانسان منه الى زمان الوقوف وهو الزمان الذى يبلغ الانسان فيه اشده وبتمام هذا الاسبوع الخامس يحصل للانسان خمسة وثلاثون سنة ثم ان هذه المراتب مختلفة فى الزيادة والنقصان فهذا الاسبوع الخامس الذى هو اسبوع الشدة والكمال يبتدئ من السنة التاسعة والعشرين الى الثلاثة والثلاثين وقد يمتد الى الخامسة والثلاثين فهذا هو الطريق المعقول (المسألة الثالثة فى تفسير الحكم والعلم وفيه اقوال) الاول ان الحكم والحكمة اصلهما حبس النفس عن هواها اى خوفا عليهما من المرض ومنعها مما يشينها فالمراد من الحكم الحكمة العملية والمراد من العلم الحكمة النظرية وانما قدم الحكمة العملية هنا العلمية لان اصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية واما اصحاب الافكار العقلية والانظار الروحانية فانهم يصلون الى الحكمة النظرية اولا ثم ينزلون منها الى الحكمة العملية القول الثانى الحكم هو النبوة لان النبي يكون حاكما على الخلق والعلم علم الدين والقول الثالث يحتمل ان يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوانية والغضبية مقهورة ضعيفة فاضت الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس وتحقيق القول فى هذا الباب ان جوهر النفس الناطقة خلقت قابلة للمعارف الكلية والانوار العقلية الا انه قد ثبت عندنا بحسب البراهين العقلية و بحسب التصورات

العلوية ان جواهر الارواح البشرية مختلفة بالماهيات فنها ذكية وبليدة ومنها حرة وذليلة ومنها شريفة وخسيسة ومنها عظيمة الميل الى عالم الروحانيات وعظيمة الرغبة فى الجسمانيات فهذه الاقسام كثيرة وكل واحد من هذه المقامات قابل للاشد والاضعف والاكمل والانقص فاذا اتفق ان كان جوهر النفس الناطقة جوهرا مشرقا شرقا نورانيا شديد الاستعداد لقبول الاضواء العقلية واللوائح الالهية فهذه النفس فى حال الصغر لا يظهر منها هذه الاحوال لان النفس الناطقة انما تقوى على افعالها بواسطة استعمال الآلات الجسدية وهذه الآلات فى حالة الصغر قليلة الاحساس فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن بالتكامل زادت الاحساسات واعتدلت فصارت تلك الالات البدنية صالحة لان تستعملها النفس الانسانية واذا كانت النفس فى اصل جوهرها شريفة فعند كمال الالات البدنية تكمل معارفها وتقوى انوارها ويعظم لمعان الاضواء فيها (فى بيان التولعات) يشاهد فى الانسان سوى الظواهر العقلية رتبة اخرى من الظواهر النفسانية كما قلنا آنفا تسمى استشعارا او ميلا او انفعالا نفسانية وهى مثل الظواهر العقلية فى انها لا تظهر فيه الا اذا كان الجهاز الالى مصابا بها والمخ هو العضو لهذه الظواهر ايضا ولكون الاستشعارات النفسية كالقوى العقلية قابلة للنمو والتسلطن على بقية القوى لا يكون اتقانها وتنميتها الا بالتربية والتدريب كما قلنا آنفا فينبغى ان يعرف مقدار ميل الاطفال الاشياء قبل ان تمكن ذلك الميل فيهم فيحصل لهم منه مضار ولو كان الميل جيدا كانهما كهم على بعض امور خارجة عن التربية الصالحة ويؤمروا بما فيه صلاح لهم والتولعات تضمن استشعارات باطنة كثيرة الشدة والطول او قليلتهما تؤثر تأثيرا عظيما فى صحة الانسان والاستشعارات التى يتكون منها التولع لها درجات عديدة فتبتدئ من ادنى اضطراب الى اشد مايكون من التولع وميل النفس والتولع كلمتان

وضعتا

وضعنا ليوضحا قوّة هذه الاستشعارات فتى حصل اضطراب او ادنى احساس بشيء ولو كان ضعيفا وجد ميل النفس اليه فان اشتد الاضطراب او الاحساس بحيث يبلغ حالة يتشوش فيها ترتيب الجسم ويكون منه الم وجد التولع فعلى هذا يكون التعلق والمحبة والاشتياق استشعارات نفسية والعشق والطمع تولعات وحينئذ فنبحث عن تأثير الاستشعارات النفسية وعن تأثير التولع معتبرين * اولا نوع الاضطراب من كونه سرورا او اغماء * ثانيا قوّة هذا الاضطراب * ثالثا مدة اقامته رابعاً حصول بعض هذه التولعات عقب بعض (الاول تأثير التولعات وما يتألف منه) فعلوم ان ميل النفس والتولعات تنقسم الى مفرحة محضة والى محزنة متعبة والتولعات المفرحة لا تكون مضرة ابدا الا اذا اشتد افراطها بل تصير الحيواة محظوظة وتقوى الصحة وتعين على شفاء الامراض ويوجد فى الشخص فى هذه الحالة الفرح والانبساط والمسرة والمودة و العشق والمحبة والجود والامن وغير ذلك والتولعات المحزنة كالغضب والرعب والخجل والزعل والغيظ والغم والحزن والسآمة والجبن والم البعد عن الوطن وغير ذلك والحسد والاكراه والطمع ايضا ليست نافعة بل مضرة وتكون ينبوعا لكثير من الاعراض واذا حصلت فى زمن الامراض زادت فى ثقلها وساقتها سريعا الى عاقبة رديئة وقلة الراحة التى تصحب الحركات النفسية علامة على حالة تألمه لا يمكن ان تحملها اعضاؤنا بدون ان تصاب وظائفها وذلك مضاد كثيرا للحيواة فان الغم الثابت لا تتولد عنه الامراض العصبية فقط كالصرع و السودا او المالنخوليا واختناق الرحم والتشنج وغيره بل يتسبب عنه ايضا كثير من الامراض الحادة والمزمنة (الثانى تأثير التولعات بنسبة قوتها) لا شك ان تأثير التولعات اعظم من الاستشعارات البسيطة للنفس ونتائجهما ليست متساوية سواء كانت ضعيفة او شديدة فالتولع الشديد من اى نوع كان دائما ردىء ويعقبه غالبا المرض او الموت والعشق

كلما كان لطيفا حصل منه استشعارات لذيذة فى النفس وسرعة فى وظائف الجسم وكلما كان شديدا كان صعبا خطرا (الثالث تأثير التولعات بالنظر) تأثير التولعات بالنظر الى اقامتها تميز الى حادة ومزمنة فالتولعات المفرحة متى كانت حادة شديدة جدا كانت اقامتها قليلة وان وصلت لحالة الافراط امكن ان تكون مضرة كما قيل ومتى كانت قليلة الشدة كانت اقامتها ازيد ولا ينشأ عنها الا نتائج مفيدة والتولعات المحزنة سواء كانت حادة او مزمنة يحصل منها فى الجسم تشوشات لا تحصى فتى كانت حادة شديدة نشأ عنها امراض حادة وربما تسبب اليها موت الفجأة ومتى كانت مزمنة نشأ عنها امراض مهلكة وآفات مزمنة فالغضب الشديد مثلا ينشأ عنه السكتة بغتة والحزن الطويل ينشأ عنه انيوريزما فى القلب اى اتساع فى بطينات القلب اى تجاويفه او فى الابهر اى الاورطى او التهاب معدى مزمن او آفات سرطانية فى الكبد او غير ذلك (الرابع تأثير التولعات بحصول بعضها عقب بعض) تأثير التولعات باعتبار حصول بعضها عقب بعض فاشد ما يكون تأثير التولعات اذا وقعت اثر ما يضادها كالفرح اذا وقع عقب الحزن والغم اذا وقع عقب الامل او عكس ذلك فان التأثير يكون اشد عن ما اذا وقع ذلك خلو النفس (الخامس فى الوسائط المنجحة) الوسائط المنجحة اللازمة لتدارك نتائج التولعات هى الاجتهاد فى ان لا يستشعر الشخص الا بتولعات مفيدة وان لا تكون قوية ولا طويلة بزيادة وان تلطف طريقة الاستشعارات بها ان لم يمكن منعها وان يتباعد عن الدخول دفعة واحدة فى تولع بعد تولع مضاده وان يجتهد فى تبعيد جميع الاشياء التى تنبه على تلك التولعات فى الاوقات التى يمكن ان تحصل منها نتائج مهلكة او تقوى هذه النتائج اذا كانت موجودة (السادس فى تصيير النفس غير مستشعرة بها) متى كانت التولعات فى شخص وامكنه ان يصير نفسه غير مستشعرة بها فلا يفعل

لان التولعات كما لها مضار لها ايضا منافع وحظوظ والمجاهدات التى تفعل لزوالها او منعها تكون حينئذ مذمومة مستهزأ بها لكن التحيل فى تبعيد التولعات والاستشعارات النفسية التى من طبعها ان تضر بالصحة من اعظم المهمات وهذا التحيل يتضمن تبعيد الاشياء والاسباب التى يمكن ان تنشأ عنها او تصير الذهن مؤتلفا معها وبالجملة فيلاطف على قدر الامكان طريقة الاحساس بها وبالاولى طريقة الجزم بها * السابع فى نتائج قوة التولعات * قوة التولعات تنتج من عظم اسبابها واما من طبع السبب الذى نشأت منه والوسائط المنجحة حينئذ التباعد عن تلك الاسباب او التعود عليها وهو اكثر نفعا وذلك بتلطيف الحكم بها فى الذهن اذا امكن او بتلطيف غيره لها بالعبارة * والناس يا بنى ليسوا فى قوة الحس على حد سواء * ولذلك لايتشابهون فى التولعات النفسانية فالرجل القليل الحس لايستشعر باحساسات صعبة وليس فيه قابلية لان يشعر بتولعات نفسية محضة ولا يجد حظا الا فى غيبوبة الاحساس عنه والكثير الحس يكون معرضا الى اضطرابات شديدة جدا والى مايحدث عنها والوسائط المنجحة لذلك تقليل الحساسية فيه وجعلها فى حالة معتدلة وتبعيد المؤثرات التى فيها قوة على ان تهيجها فيه كالارواح والاغذية الآفاوية التى تكون من اعلى درجة والقهوة والرقص ومجالس الملاهى والاشغال الكثيرة الدعة والسكوت وغير ذلك واذا طالعت التولعات كانت الاشياء المنجحة تكون بتبعيد اسبابها وتلطيف نوع الاحساس بها اذا امكن وتميل الفكر والنظر الى خلافها وان يتسبب له فى اشياء تشغله عن التولع اما باستشعار او معاشرات او اشغال جديدة او بتبديله بنوع آخر * فان قلت * قد اكثرت من التنوعات الادراكية والامور البديهية والاستشعارات والتولعات فهل مراكزها مختلفة كما قلت آنفا فى احساس الحركة الامامية والخلفية او مراكزها واحد وهو الفؤاد * قلت لك النفس واحدة ولنا ههنا قولان تارة ندعى العلم البديهى فيه واخرى نقيم

البرهان على صحته * اما القول الاول * وهو ادعاء البديهية فنقـول المراد من النفس هو الشئ الذى يشير كل احد بقوله انا وكل احد يعلم بالضرورة انه اذا اشار الى ذاته المخصوصة بقوله انا كان ذلك المشار اليه واحدا غير متعدد * فان قيل * لم لايجوز ان يكون المشار اليه لكل احد بقوله انا وان كان واحـدا الا ان ذلك الواحد يكون مركبا من اشياء كثيرة * قلنا * انه لاحاجة لنا فى هـذا المقام الى دفع هـذا السؤال بل نقول المشـار اليه بقول انا معلوم بالضرورة انه شئ واحد فاما ان ذلك الواحد هل هو واحد مركب من اشياء كثيرة او هو واحد فى نفسه وواحد فى حقيقته فهذا لاحاجة لنا اليه فى هذا المقال الا انفؤاد المركب من ثلاث افئدة المخ والمخيخ والنخاع * واما القول الثانى وهـو مقال الاستدلال على صحته فالذى يدل على وحدة النفس وجوه * الوجه الاول ان الغضب حالة نفسانية تحدث عند ارادة دفع المنافر والشـهوة حالة نفسـانية تحدث عند طلب التقارب مشروطا بالشعور بكون الشئ متقاربا ومضادا فالقوة الغضبيـة التى هى قوة دافعة للمضادد ان لم يكن لها شعور بكونه مضادا امتنع انبعاثها لدفع ذلك المضادد على سبيل القصد والاختيار لان القصد الى الجلب تارة والى الدفع اخرى مشروط بالشعور بالشئ فالشئ المحكوم عليه بكونه دافعا للمضادد على سـبيل الاختيار لابد وان يكون له شعور بكونه مضادا فالذى يغضب لابد وان يكون هو بعينه مدركا فثبت بهذا البرهان مباينة حاصلة فى ذوات متباينة * الثانى انا اذا فرضنا جوهرين مستقلين يكون كل واحد منهما مستقلا بفعله الخاص امتنع ان يصير اشتغال احدهما بفعله الخاص مانعا للآخر باشتغاله بفعله الخاص به * اذا ثبت هـذا فنقول لو كان محل الادراك والفكر جوهرا و محل الغضب جوهرا و محل الشـهوة جوهرا ثالثا وجب ان لايكون اشتغال القوة الغضبية بفعلها مانعا للقوة الشهوانية من الاشـتغال بفعلها ولا بالعكس لكن الثانى باطل فان اشتغال الانسان بالشهوة وانصبابه اليها

يمنعه من الاشتغال بالغضب وانصبابه اليه و بالعكس فعلمنا ان هذه الامور الثلاثة ليست مبادى مستقلة بل هى صفات مختلفة بجوهر واحد فلا جرم كان اشتغال ذلك الجوهر باحد هذه الافعال عائقا له عن الاشتغال بالفعل الآخر * الثالث انا اذا ادركنا اشياء فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يصير سببا لحصول الغضب فلو كان الجوهر المدرك مغايرا للذى يغضب والذى يشتهى فحين ادرك الجوهر المدرك لم يحصل عند الجوهر المشتهى من ذلك الادراك اثر ولا خبر فوجب ان لايترتب على ذلك الادراك لاحصول الشهوة ولا حصول الغضب وحيث حصل هذا الترتيب والاستلزام علمنا ان صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة بعينها وصاحب الغضب بعينه * الرابع ان حقيقة الحيوان انه جسم ذو نفس حساسة متحركة بالارادة فالنفس لايمكنها ان تتحرك بالارادة الا عند حصول الداعى ولا معنى للداعى الا الشعور بخير يرغب فى جذبه او بشر يرغب فى دفعه وهذا يقتضى ان يكون المتحرك بالارادة هو بعينه مدركا للخير والشر والملذ والمؤذى والنافع والضار * فثبت بما ذكرنا ان النفس الانسانية شئ واحد وثبت ان ذلك الشئ هو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس والمتخيل والمتفكر والمتذكر والمشتهى والغاضب وهو الموصوف بجميع الادراكات بكل المدركات وهو الموصوف بجميع الافعال الاختيارية والحركات الادراكية * تنبيه فى بيان انه لما كانت النفس شيأ واحدا وجب ان لاتكون النفس فى هذا البدن ولا شيأ من اجزائه فنقول * اما بيان انه متى كان الامر كذلك امتنع كون النفس عبارة عن جملة هذا البدن وكذا القوة السامعة وكذا سائر القوى كالتخيل والتذكر والتفكر والعلم بان هذه القوى غير سارية فى جملة اجزاء البدن علم بديهى بل هو من اقوى العلوم البديهية واما بيان انه يمتنع ان تكون النفس جزأ من اجزاء هذا البدن فانا نعلم بالضرورة انه ليس فى البدن جزء واحد هو بعينه موصوف بالابصار والسماع والفكر والذكر بل الذى

يتبادر الى الخاطر ان الابصار مخصوص بالعين لابسائر الاعضاء والسماع مخصوص بالاذن لابسائر الاعضاء والصوت مخصوص بالبلعوم والحنجرة والحفر الانفيه لابسائر الاعضاء وكذلك القول فى سائر الادراكات وسائر الافعال فاما ان يقال انه حصل فى البدن جزء واحد موصوف بكل هذه الادراكات وبكل هذه الافعال فالعلم الضرورى حاصل بانه ليس الامر كذلك فثبت بما ذكرنا ان النفس الانسانية شئ واحد موصوف بكل هذه الادراكات وبجملة هذه الافعال وثبت بالبديهة ان جملة البدن ليست كذلك وثبت ايضا ان شيأ من اجزاء البدلا ليس كذلك فحينئذ يحصل اليقين بان النفس شئ مغاير لهذا البدن ولكل واحد من اجزائه وهو المطلوب * ولنقرر هذا البرهان بعبارة اخرى وهى انا نعلم بالضرورة انا اذا ابصرنا شيأ عرفناه واذا عرفناه اشتهيناه واذا اشتهيناه حركنا ابداننا الى القرب منه فوجب القطع بان الذى ابصر هو الذى عرف وان الذى عرف هو الذى اشتهى وان الذى اشتهى هو الذى حرك الى القرب منه فيلزم القطع بان المبصر لذلك الشئ والعارف به والمشتهى والمحرك الى القرب منه شئ واحد اذ لو كان المبصر شيأ والعارف شيأ ثانيا والمشتهى شيأ ثالثا والمحرك شيأ رابعا لكان الذى ابصر لم يعرف والذى عرف لم يشته والذى اشتهى لم يتحرك ومن المعلوم ان كون الشئ مبصر الشئ لا يقتضى صيرورة شئ آخر عالما بذلك الشئ وكذلك القول فى سائر المراتب وايضا فانا نعلم بالضرورة ان الرائى للمرئيات لما رآها فقد عرفها ولما عرفها فقد اشتهاها ولما اشتهاها طلبها وحرك الآلات الى القرب منها ونعلم ايضا بالضرورة ان الموصوف بهذه الرؤية وبهذا العلم وبهذه الشهوة وبهذا التحرك هو لاغيره وايضا العلماء قالوا الحيوان لابد ان يكون حساسا متحركا بالارادة فانه ان لم يشعر بشئ يكونه مؤتلفا او متنافرا واذا لم يشعر بذلك امتنع كونه مريدا للجذب او الدفع فثبت ان الشئ الذى يكون متحركا بالارادة

فانه يجب ان يكون حساسا فثبت ان المدرك لجميع المدركات يدرك بجميع
اصناف الادراكات وان المباشر لجميع التحريكات الاختيارية شيء واحد
ومحله الافئدة وهي مأوى له وهو سائل نوراني لا يمسك ولا يوزن
وايضا فلانا اذا تكلمنا بكلام نقصد تفهيم الغير معاني تلك الكلمات ثم
لما عقلناها اوردنا تعريف غيرنا تلك المعاني ولما حصلت هذه الارادة
في قلوبنا حاولنا ادخال تلك الحروف و الاصوات في الوجود لنتوصل بها
الى تعريف غيرنا تلك المعاني * اذا ثبت هذا فنقول ان كان محل العلم
والارادة ومحل تلك الحروف والاصوات جسما واحدا لزم ان يقال ان
محل العلوم والارادات هو الحنجرة ومعلوم انه ليس كذلك وان قلنا
محل العلوم والارادات هو الفؤاد لزم ايضا ان يكون محل الصوت هو
الفؤاد وذلك ايضا باطل بالضرورة وقلنا محل الكلام هو الحنجرة ومحل
العلوم والارادات هو الفؤاد ومحل القدرة هو تنبيه الاعصاب من
الارادة للاوتار والعضلات فاذن ان جملة هذه الاعضاء جارية مجرى
الآلات والادوات * فان قلت قد تأملت في احوال النفس وايت
احوالها بالضد من احوال الجسم وذلك يدل على ان النفس ليست جسما
قلت لك اولا ان كل جسم حصلت فيه صورة فانه لا يقبل صورة
اخرى من جنس الصورة الاولى الا بعد زوال الصورة الاولى زوالا
تاما * مثاله ان الشمع اذا حصل فيه شكل التثليث امتنع ان يحصل
فيه شكل التربيع والتدوير الا بعد زوال الشكل الاول عنه نعم انا وجدنا
الحال في تصور النفس بصور المعقولات بالضد من ذلك فان النفس
التي لم تقبل صورة عقلية البتة يبعد قبولها لشيء من الصور العقلية
فاذا قبلت صورة واحدة صار قبولها للصورة الثانية اسهل ثم ان النفس
لا تزال تقبل صورة بعد صورة من غير ان تضعف البتة بل كلما كان
قبولها للصور اكثر صار قبولها للصور الآتية بعد ذلك اسهل واسرع
ولهذا السبب يزداد الانسان فهما وادراكا كلما ازداد تخرجا وارتباطا

فى العلوم فثبت ان قبول النفس للصور العقلية على خلاف قبول الجسم للصور وذلك يوهم ان النفس ليست بجسم * الثانى ان المواظبة على الافكار الدقيقة لها اثر فى النفس واثر فى البدن اما اثرها فى النفس فهو تأثيرها فى اخراج النفس من القوة الى الفعل فى التعقلات والادراكات وكلما كانت الافكار اكثر كان حصول هذه الاحوال اكمل وذلك غاية كمالها ونهاية شرفها وجلالتها واما اثرها فى البدن فهو انها توجب استيلا اليبس على البدن واستيلاء الذبول عليه وهذه الحالة لو استمرت لا نتقلت الى المالنخوليا وسوق الموت فثبت بما ذكرنا ان هذه الافكار توجب حياة النفس وشرفها وتوجب نقصان البدن وموته فلو كانت النفس هى البدن لصار الشئ الواحد سببا لكماله و نقصانه معا ولحياته و موته معا ذلك محال * الثالث انا اذا شاهدنا انه ربما كان بدن الانسان ضعيفا نحيفا فاذا لاح له نور من الانوار القدسية وتجلى له سر من اسرار عالم الغيب حصل لذلك الانسان جراءة عظيمة وسلطنة قوية ولم يعبأ بحضور اكابر السلاطين ولم يقم لهم وزنا ولولا ان النفس شئ سوى البدن لما كان الامر كذلك * الرابع ان اصحاب الرياضات والمجاهدات كلما امعنوا فى قهر القوى البدنيه وتجويع الجسد قويت قواهم الروحانية واشرقت اسرارهم بالمعارف الالهية وكلما امعن الانسان فى الاكل والشرب وقضاء الشهوة الجسمانية صار كالبهيمة وبقى محروما من آثار النطق والعقل والفهم والمعرفة ولولا ان النفس غير البدن لما كان الامر كذلك * الخامس انا نرى ان النفس تفعل افاعيلها بآلات بدنيـة فانها تبصر بالعين وتسمع بالاذن وتأخذ باليد وتمشى بالرجل اما اذا آل الامر الى العقل والادراك فانها تكون مستقلة بذاتها فى هذا الفعل من غير اعانة شئ من الآلات ولذلك فان الانسان لا يمكنه ان يبصر شيأ اذا غمض عينيه وان لا يسمع صوتا اذا سد اذنيه اما لا يمكنه البتة ان يزيل عن فؤاده العلم بما كان عالما به فعلمنا ان النفس غنية بذاتها فى العلوم

والمعارف

والمعارف عن شيء من الآلات البدنية فهذه الوجوه امارات قوية في ان النفس ليست بجسم (في بيان اعضاء الحركة) اعضاء الحركة هي الاعضاء المخية والنخاع الشوكي والاعصاب والعضلات والعظام والاوتار والحركات تنقسم الى فاعلية وانفعالية (في بيان الحركات الفاعلية) الحركات الفاعلية هي التي تحرك الجسم كله او بعضا منه والفاعل لتلك الحركة هو الجسم وحده بدون واسطة ونتائجها كنتائج غيرها من افعال الوظائف الالية تكون موضعية اى محدودة في العضو لا تتعداه وعمومية اى يمتد تأثيرها الى بقية اجزاء الجسم فالنتيجة الموضعية لكثرة الحركة العضلية انتفاخ العضو بسبب كثرة انصباب الدم اليه المرة بعد المرة وظهور الحرارة فيه فان طالت مدة الحركة حصل في العضو خدر واعقب ذلك تعب وعسر في تقلص العضوفان اشتدت الحركة ووصلت الى درجة الافراط امكن ان يكون الجهاز الحركي مركزا لالتهاب حقيقي بخلاف ما اذا كان بين الحركات اوقات استراحة وكانت الحركات مثل بعضها فان العضلات تستفيد اتقانا في فعلها ويظهر فيها زيادة الغذاء والقوة والنتيجة العمومية للحركات الفاعلية تكون اظهر كلما كثر دخول الاجزاء في الحركة وتشتد قوة فاعليتها ليحس بها في باقي اجزاء الجسم وتؤثر في كل الوظائف فعلى هذا لو حصلت رياضة في غير وقت الهضم تنبهت الشهية بخلاف مالو حصلت وقت الهضم فانها تشوش هذه الوظيفة وتسرع في فاعلية الدورة الشريانية والوريدية والتنفس وتظهر الحرارة وتزيد في الافرازات والارتشاحات الجلدية واما تنبه الاعضاء المخية فيقل في وقت الرياضة وهذا اعني استراحة المخ احد النتائج المفيدة من نتائج الرياضة * وهاهنا جملة امور الاول نتائج الرياضة الفاعلية اذا استمرت زمنا طويلا مع الشدة وهذه النتائج اما موضعية او عمومية فالنتائج الموضعية وهي التي تسري في الاعضاء في وقت الفعل هي ما ذكرناه آنفا اعني الالتهاب

العضلى الحقيق والنتائج العمومية ضعف الجهاز العصبى المخى والعصبى
الشوكى واعضاء المخالطة والاحشاء فيحصل منه التهاب معدى معوى
ينشأ من تأثير الغذاء المنبه المتناول بعد تعب عظيم وقد يحصل من
التعب وحده اى بدون تأثير الغذاء وقد يكون الحاصل ضعف المعدة
فقط فاستمرت الرياضة زمنا طويلا وكانت اوقات الراحة قليلة تعجلت
الشيخوخة قبل وقتها ويبست العضلات وصارت الاعضاء دوالية وتسبب
عنها التهابات عضلية مزمنة وتدارك هذه النتائج بالراحة والنوم فان
التعب يدلنا على حاجتنا اليهما فيجب ان نتبع دلالته فيهما كبقية الاحساسات
الباطنة لاننا لولم نتبعه فى هذا الاحساس المتعب لنتج منه الضرر * الثانى
نتائج الراحة العضلية فالراحة الدائمة للعضلات ينتج منها النتيجة التى
تحصل من الراحة الدائمة لاى عضو كان كراحة اعضاء الحس وراحة
الاعضاء المخية والراحة الدائمة للعضو تقلل فيه الغذاء فتضعف وظيفته
وتعسر حركاته ولا تكون له القوة التى كانت فيه سابقا فهذا ما يخص
النتائج الموضعية * وكما ان الرياضة الفاعلية يصل تأثيرها الى الاحشاء
فكذلك دوام راحة عضلات الجسم يؤثر فى جميع الاعضاء الحيوانية
الشبيهة تأثيرا مضادا للرياضات الفاعلية فتقلل قوة وظائفها الافراز
التهضمى فى بعض الاشخاص وتقوى الوظائف المخية لكونها دائما
تتعب من الرياضة العضلية الزائدة فى الشدة او المتكررة كثيرا بخلاف
ما اذا كانت الراحة منقطعة فانها تقوى تغذية الجسم ونمو القوة فى
العضلات وتقوى ايضا التشبيه فى كثير من الانساجات المختلفة وراحة
العضل تكون مقوية ومضعفة على حسب الطريقة التى بها تستعمل
وينبغى ان تكون متوازنة مع شدة الرياضة وقوة الاشخاص وامزجتهم
فهى مضادة كثيرا للمزاج اللينفاوى لانها تقوى فى اصحابه التهيجات
والاحتقانات فى الغدد المساريقية والتى تحت الجلد وكذا المزاج الدموى
لان طول الراحة يهيئ اصحاب هذا المزاج لاحتقانات التهابية ولا توافق

اصحاب

اصحاب المزاج العصبي ابدا لانها تزيد في شدة الحس المزعج لهذا المزاج والرياضة ثقالها واما الصفراويون ففي الراحة قليل فائدة لهم * فان قلت يا بني انك قد اكثرت في وظائف الافئدة من المصادر الواردة عليها بالتأثيرات الخارجة منها وفي النفس انها مغايرة للجسم وفي الرياضات وما ينتج منها وما ذكرت كيفية الحركة والمشي والوثب وما ينتج منها في كيفية الانتقال والاهتزازات ومرجحة الاطراف وحقيقة النوم * قلت لك اولا فالرياضة بالمشي تصير العضلات القابضة والباسطة التي للفخذ والساق وكثير من عضلات الجذع وعدة من عضلات الكتف والعضد والساعد متحركة بحركة سريعة على حسب سرعة المشي وتصير في الذراع اهتزازات كثيرة او قليلة على حسب حالة المشي ايضا ثم ان المشي ان كان في محل غير مستوى كان تأثيره في الجسم اكثر مما اذا كان في محل مستوى لان حالة الصعود من حيث انها تحتاج الى مقاعلة شديدة بها يقاوم الجسم المكان المرتفع تضطر العضلات فيها الى قوة زائدة فتكون الدورة سريعة والتنفس متواترا من شدة مفاعلة العضلات وحالة النزول تكون بخلاف هذه الحالة فتحتاج الى تثبيت الجسم بكون الجذع مائلا الى جهة الخلف والركبتين منثنيتين قليلا والخطوة قصيرة والمشي ان كان على المهل كان فعله الصحي على جميع الوظائف احسن مايكون فيجذب السائلات الى ناحية الاطراف السفلى والمشي لايناسب الاشخاص السوداويين لانه قليل الموافقة لهم من حيث انه يؤثر تأثيرا لايناسب افكارهم المحزنة لهم دائما فهو يزيد في امراضهم ومتى كان في ارض مستوية وعلى مهل كان مفيدا عقب الاكل ومناسبا للناقهين * ثانيا العدو وهو مخالف للمشي فان كل الجسم يكون متحركا بحركات اهتزازية قوية تزيد في السرعة كلما كان العدو اسرع وكل من عضلات البطن وعضلات المنكب والعضد والساعد يحصل فيها تقلص قوى ثابت فالرياضة بالعدو تكون مرتبطة بالتنفس بالاكثر وهي تناسب الاولاد والشبان الذكور والاناث لكونها تسهل

نمو الصدر والاعضاء المنحصرة فيه وتناسب الاشخاص الذين مزاجهم اللينفاوى لكن لاينبغى استعمالها عقب الاكل واما الاشخاص المستعدون لنفث الدم ويخشون من ظهور ألم فى القلب كالانيورزمات اى اتساع بعض تجاويف القلب فينبغى لهم التباعد عن العدو بالكلية * الثالث الوثب والوثب له خواص المشى القوى الذى يكون فى اعلى درجة ويزيد عليه بانفراش المفاصل فيه دفعة واحدة من تقلص العضلات الباسطة معا والرياضة بالوثب كالرياضتين السابقتين تزيد الجسم خفة عظيمة وسهولة فى الحركة فتناسب الامزجة اللينفاوية والشبان ولا ينبغى ان تفعل بعد الاكل حالا واذا فعل الوثب ولم يحترس من انفراش المفاصل حال الوقوع على الارض امكن ان يحصل من الاضطراب الذى يحس به اخطار خطرة فى المخ والنخاع الشوكى * الرابع الرقص وحركات الرقص مفيدة ولكنها ولو كانت جيدة فى حد ذاتها لاتخلو عن الخطر لانها تسرع فى دورة الدم وتعرض الشخص الى جميع الاعراض التى تأتى من الدخول فى الحر بعد البرد فجأة ولا ينبغى ان يستعمل الرقص عقب الاكل حالا ولا يستمر طول الليل ولا فى محلات قليلة الاتساع بالنسبة الى عدد الاشخاص لان الهواء الكروى حينئذ يكون فاسدا ومن نتائج الرقص التشبق اى الغلمة لاسيما فى النساء فيجب التحرز من ذلك وذلك بسبب التخيلات والتصورات * الخامس الاصطياد والاصطياد يروض الاجزاء التى يروضها المشى والعدو والوثب فيعود الاعضاء على تحمل التغيرات الكروية وعلى تحمل المتاعب ويروض البصر بل والسمع ايضا وهو مفسد للنهاية اذا لم يصل الى حد الافراط والرياضة بالاصطياد تناسب الامزجة الدموية اكثر من الصفراوية والصيد بالليل غير جيد لان الجسم فيه يبقى من غير فاعلية ويعرضه الى البرد الرطب ولان هذا زمن مخصوص بالنوم * السباحة لما كان الثقل الذاتى للجسم قريبا من قوة ثقل الماء سهل العوم عليه بواسطة حركات خفيفة والسباحة التقلب

والتحرك فى الماء فتكون عضلات الجسم كلها فاعلة * وانواع السباحة كثيرة وتأثيرها الذى يحصل فى الجهاز العضلى يختلف بحسب النوع المستعمل منها وكلها نافعة فى انها تفيد العضل قوة عظيمة وفيها نتائج جيدة تحصل للاعضاء من الماء الذى تتحرك فيه فهى فى الصيف من الرياضات الكثيرة الفائدة وينبغى ان تكون فى المياه الجارية وفى البحر ان امكن وتناسب خصوصا الشبان الذين اشتد بهم العشق والذين يتعاطون الاستمناء اذ فائدتها انها تقوى من غير ان يحصل منها حرارة وهناك بعض احتراسات ينبغى العمل بها فى السباحة اولها ان لاينزل فى الماء الا بعد تمام الهضم بالكلية ثانيها ان لايكون النزول فيه زمن وجود العرق كثيرا كان العرق او قليلا ثالثها ان لايستعملها الاشخاص الذين فيهم امتلاء ومستعدون الاستفراغات دورية كالبواسير او فيهم بثرات جلدية فينبغى ان يمتنعوا عن السباحة زمن ظهور هذه الآفات فيهم واما المستعدون لتشنج الرجلين اذا نزلوا الماء فينبغى ان يختاروا لسباحتهم اماكن لم تكن غريقة لئلا يحصل لهم التشنج فى اثنائها فيغرقوا رابعها ان يضع فى اذنيه من تهيأ للغطس قبل نزوله فى الماء قطنة مغموسة فى الزيت ونحوه وهذا ضرورى ويمكن ان يمنع تهيج عضو السمع خامسها يلف من اراد السباحة فى وقت اشتداد الحر من النهار رأسه بمنديل ويبله فى اكثر الاوقات بالماء واحسن اوقات السباحة البكرة قبل الاكلة الاولى وهو احسن من المساء لان السباحة فى المساء لاينشف فيها الشعر جيدا فيكون فاعلها متعرضا للزكام (فى رياضة الصوت) رياضة اعضاء الصوت تكون بالمكالمة وبالقراءة بصوت عال وبالغناء والانشاد ونحو ذلك والنتائج الاولية لرياضة الصوت تتجه مستقيمة الى الجهاز الصوتى اعنى الحنجرة وما يتعلق بها واعضاء التنفس والنتائج تتجه الى اعضاء الهضم فاذا اشتدت رياضات الصوت الى اعلى درجة امتدت الى جميع الوظائف والمكالمة هى الطف الرياضة للاعضاء الصوتية خصوصا اذا ضم اليها الفرح

فتكون اقوى صحة يمكن استعمالها عقب الاكل وزمن من مكث الاطعمة في المعدة واما القراءة بصوت عال فتفارق التكلم بقليل من حيث انه ليس فيها اوقات استراحة مثل الكلام فنتائجها اشد من نتائج الكلام واما الغناء فيستدعي قوة وحركة اكثر من السابقتين ولا يمكن ان يستعمل باتقان عظيم متى كانت المعدة ممتلئة ومع ذلك فاذا استعمل بلطف بعد الاكل كان معينا على تتميم الهضم والانشاد تروض به اعضاء الصوت واعضاء التنفس بدرجة عالية اشد من درجة الغناء ويستدعي قوة شديدة يمكن ان تصير مضرة والرياضات الخاصة باعضاء الصوت يحصل من جميعها نتائج جيدة اذا كانت لطيفة مثل بقية الرياضات اللطيفة فان استدامت مدة طويلة مع بعض قوة حصل منها في بعض الاشخاص المستعدين لتهييج الجهاز الدوري الشعري التهاب الحنجرة والتهاب الرئة ونفث الدم والفالج وغيره ولذلك يجب التحفظ عنها متى كان هناك استعداد لبعض هذه الآفات (الرياضة في العربات) الرياضة في العربات نتائجه مختلفة على حسب العربات فمنها ما يحصل منه اهتزازات وحركات شديدة في الجسم ومنها مالا يحصل منه ذلك والثانية لا توافق الذين يكون الجهاز العصبي في بدنهم ضعيفا مسترخيا من افراط الجماع او من الاشتغال بالكتابة والمطالعة والرياضة بها لا تفيد الا ضعف الجهاز العصبي واستعداده للامراض والطبيب الذي يأمر باستعمال العربانة ينبغي ان يلاحظ اولا هيئة تركيبها وصفة الارض التي تجري عليها ودرجة السرعة في سيرها والرياضة في العربات تفيد الاعضاء قوة شديدة من غير ان تزيد في فاعلية وظائفها ولا يتسبب عنها انحلال شيء من الجسم مع ان فيها الفوائد التي في الرياضة الفاعلية وتناسب جميع الاسنان خصوصا طر في عمر الشبوبية والشيخوخة وهي مفيدة في شفاء الناقهين والمصابين بتهيج مزمن خصوصا بنسيج المعدة والذين بنيتهم جافة وقابلة للتهيج ومن نتائجها الجيدة التي ينبغي ان تعد

في

فى فوائدها دوام تجدد الهواء والتنزه الذى يحصل من ركوب العربانة
(فى بيان النوم) النوم سكون جميع وظائف المخالطة كما ان السهر تحركها والسبب تعب الجهاز العصبى وسببه الحقيقى نقصان وفور الدم نحو المخ فكل ما يحول الدم عن هذا العضو يسعف النوم * والوسائط المسعفة فى تولد النوم هى عدم المنبهات البدنية و الخارجية للجهاز العصبى فالخارجية كالضوء والبدنية كالحركات العضلية والنفسانية والنوم اذا حصل وقت الليل فانما هو من حيث ان الاعضاء كانت من تعب النهار ولم يبق فيها منبه * والوسائط التى تبعد النوم هى وجود المنبهات الخارجية والبدنية للجهاز العصبى وصعوبة فعل كعسر الهضم وضرورة عضو باطنى لم يستوفها كالجوع وغير ذلك فينتج من جميع ما ذكر انه حيث كانت رياضة الاعضاء نافعة فى اجتلاب النوم كانت الاعضاء اى لم تتعب غير مضطرة للاستراحة والرياضة القوية التى يتولد عنها تعب عظيم وحس مؤلم من المنبهات التى تمنع النوم سواء كانت هذه الرياضة فى العضلات كالمشى السريع المفرط اوفى المخ كشغل عقلى شديد وتولع نفسانى شديد وغير ذلك * فان قلت يا بنى ماهى النتائج الجيدة التى ترد ما افناه السهر وغيره من الاشدة فى النوم والوقت الضرورى له وزمن النوم المختلف فى الاشخاص وهيئة محل النوم وبنية الفراش والوضع المناسب للنوم والاحلام * قلت لك النوم يجدد فى كل من اعضاء الحس والفكر والحركة الحس الذى افناه منها السهر ويزيل تعبها ويسعف صحتها ويرد لها جميع قوتها ونتائجه على وظائف الحياة الغذائية انه يرخيها فيكون فيه الهضم والدورة والتنفس ابطاء منها زمن اليقظة وتقل الحرارة والافرازات الباطنة وفعل القوة المشبهة ايضا * وبالجملة فالنوم يحصل منه نوع استراحة فى جميع الجسم فاذا منع الشخص النوم المحتاج اليه احس بتعب وعدم استراحة وبالم وغير ذلك واذا حصل منبهات مضادة للنوم خارجية او بدنية اكتسبت اعضاء

المخالطة تنبها يصل الى الاعضاء الباطنة ويوضح سبب عدم الحاجة للنوم حيث مضى وقته ولم ينم فيه فان لم يسكن هذا التنبه بالنوم ارتقى الى درجة المرض والتهبت الاعضاء واذا لم يطل زمن النوم بقدر الكفاية لم يحصل منه الاصلاح الكامل للبدن بل يبقى فى الاعضاء حالة قابلية التهيج وينسبب عن ذلك ضعف الاعضاء قبل وقته ولا شئ يعجل الشيخوخة قبل وقتها مثل عدم النوم بالكفاية فان طال زمنه زيادة عن قدره حصل من ذلك نتيجة مثل نتيجة عدم الرياضة فيكون الفكر بطيئا والمخ قليل الحس والعضلات اقل استعدادا للحركة ووظائف المخالطة كانى فيها خدر والنوم ضرورى بعد الحركات المخية اكثر منه بعد الحركات العضلية فان الجسم بعد شغل عقلى او بعد افراط فى حظوظ عشقية يحتاج للنوم اكثر من ان يحتاج له عقب شغل عضلى * واما الوقت الضرورى للنوم فالليل هو الوقت الضرورى له لان المنبهات التى كانت موجبة لشغل الحواس بالنهار ذهبت بنفسها فى الليل ولذا كان النوم بالنهار لا يحصل منه راحة كاملة للجسم فلو سهر الانسان ليلة ونام نهارها لا يحصل له تعويض كلى للاستراحة التى كان يكتسبها بنوم الليل والاشخاص الذين يجعلون ليلهم نهارا يكون لونهم اصفر وفيهم انحطاط قوة ويكونون قابلين للتهيج واليبوسة لانهم لم يتعرضوا الى ماهو منافى للصحة فقط بل فقدوا ايضا التأثير الصحى الذى يكون من الحرارة والضوء والشمس والهواء الذى يكون فيه الاوكسجين بالنهار اشد وغير ذلك فالذى يغار على صحته يجب عليه ان ينام فى اول وقت النوم ويتيقظ فى اول وقت اليقظة اعنى ان يكون كل من نومه وتيقظه فى ساعات متساوية فى البعد من نصف الليل وهذه العادة زمن الشتاء ضرورية اكثر منها فى زمن الصيف ليتباعد الاشخاص عن ان يشتغلوا على الضوء المصنوع فيحفظ صحة ابصارهم والحاجة للنوم فى النهار توجد فى البلاد الحارة

لكون درجة الحرارة فيها تزيل من الجسم القوة والاستعداد التيقظي بسرعة وقد توجد عقب غم شديد حصل من خبر ردى او عقب رياضة خارجة عن العادة والنوم فى النهار فى هذه الاحوال مناسب ويكون قبل الزوال بساعة * واما زمن النوم المختلف فى الاشخاص فالنوم لايمكن ان يعين له حد معين لانه يكون على حسب ماذهب من قوى الجسم واكثر الناس حاجة لطول النوم الذين يكونون قابلين للتهيج وحركات حواسهم متزايدة فى التعب وهؤلاء كلما طال زمن نومهم حسنت صحتهم ولا ينبغى ان ينامواا اقل من ثمان ساعات بخلاف الذين ابدانهم رخوة وبنيتهم لينفاوية والمخ فيهم قليل الأثر ولا يحصل منه الا انفعال قليل فانه يمكنهم بدون عارض ان يسهروا كثيرا ويكفيهم فى النوم ست ساعات او سبعة وسرعة ذهاب التنبه فى الاطفال هو الذى يصيرهم محتاجين للنوم غالبا فينبغى ان يترك الطفل لينام متى ظهرت حاجته للنوم من ليل او نهار وهذه هى الواسطة الاكيدة فى اسعاف نموه والحقيقية لتبعيد الاستعداد للتهيج الذى يهيئ للافات المخية ولا ينبغى ان تهز الاطفال ليهيئهم الهز للنوم كما يظن فان الهز يعرض منه طيش الطفل ويهيئ الاحتقانات نحو المخ وقد تصدر منه بالفعل والشيخ يلزمه ان ينام اقل من الطفل ومن الكهل ولا ينبغى له ان ينام فى النهار والواسطة فى قطع عادة النوم بعد الاكل تقليل كمية الغذا والمرأة ليست محتاجة للنوم اكثر من الرجل ولو انها اضعف منه فتكون مثل الرجل فى انه يجب ان ترتب ساعات النوم لها بالنسبة للبنية ونوع الشغل والسن * واما محال النوم فجميع انواع المحلات مناسبة للنوم بشرط ان تكون صحية لامضرة وينبغى ان يجعل المكان الذى ينام فيه مفتوحا فى النهار وان لايوجد فيه بالليل شئ يزيل الهواء التنفسى منه او يحبس الهوا الخارج بالتنفس حول الفراش من قناديل او نار او حيوانات او ازهار وان ترفع ستائر السرير ويضر بالصحة سوا فى الخلاء او فى البلدان ان تبقى الشبابيك مفتوحة بعد غروب الشمس لان

الهواء البارد الرطب قد يكون فى بعض الاحيان حاملا للعامض المحمى فيؤثر فى الجسم زمن النوم ضررا اشد من تأثيره فيه زمن غيره من الاوقات لان وظيفة الامتصاص تقوى فى النوم فيكثر ولكون زمن النوم تكتسب فيه الالتهابات العضلية وغيرها من الامراض الناشئة من الهواء البارد الرطب بسهولة ينبغى ان يكون محل النوم مرتفعا عن الارض وخاليا عن الرطوبة اكثر من غيره من باقى المحال * واما بنية الفراش فالاعتياد على النوم فى الفراش اللين غير جيد لاسباب كثيرة منها عدم وجود مثله فى حالة السفر والفقر فيشوش النوم والاحسن الاعتياد على الفراش الغير اللين لئلا يحصل فى النوم عدم استراحة اذا عرض للشخص مثل هذه الاحوال او اضطر الى النوم على فراش من خشب لكنه لا ينبغى ان يعتاد على المعيشة الشاقة بالكلية حتى يصل لان ينام على الارض لان ذلك افراط بالكلية وهو مضر واوفق هيئات الفراش الاعتيادية ان يتخذ اولا سريرا من حديد او خشب مدهون ثانيا فراشا محشوا من قطن او صوف او ريش او غلاف الذرة او شعر * واما الوضع المناسب للنوم فاحسن الاوضاع التى يكون عليها الشخص فى حالة النوم ما كان اكثر استراحة وابس فيه تعب للقوى العضلية وينبغى للمستعدين للاحتقانات المخية ان تكون رؤسهم عالية عن الفراش بقدر الكفاية * واما الاحلام ففى العادة تدور على الاشياء الشاغلة للفكر بالاكثر الملايمة للبنية فاذا تعب جزء من المخ اكثر من بقية اجزائه وارتاح بالنوم كان فيه ميل للعقل فتقع الاحلام واكثر اجزاء المخ تنبيها هو الذى ينشأ منه الاحلام وهذا التنبه حاصل اما من بعض اشياء تشغل الفكر فى اليقظة ويبقى اثرها فى المخ او من تنبه عضو كالمعدة الممتلئة امتلاء زائدا من الاغذية وغيرها فان المخ فى مثل هذه الاحوال لا يرتاح بالنوم الكامل فتحصل الاحلام واذا وجد المخ فى حالة النوم افعالا لبعض الاعضاء وجد من ذلك ما يسمى

فعل النائمين وهو ان يفعل النائم ما يفعله اليقظان من المشي والتكلم والاخذ والاعطاء وغير ذلك * وكل من الاحلام وافعال النائمين مشوش للنوم فهو قليل الاصلاح للصحة والنوم كلما كان اكل كان اكثر اصلاحا للصحة فان اعضاء المخالطة اى اعضاء الحواس يصدر عنها تأثير متعب لبقية الوظائف الباطنة فيشوشها فينبغي ان يلاحظ السبب الذى تتولد عنه هذه الاحوال ليتباعد عنه ويتمسك بالوصايا وهي ان يترك الشخص بعض الاشغال العقلية التى تعلق بها وتسبب عنها الاحلام ويترك الميل لبعض ملكات حاصلة فيه كالطمع وحب المال والعشق والميل الى الجماع وغير ذلك اذا كانت هذه سببا للاحلام ويتمم بعض ضروريات للاحشاء كالجوع والعطش والاستفراغ من البول وغير ذلك او يقلل ما يسببها كالاكل والشرب فى وقت المساء فهذه هى الوسائط الموافقة للتدارك * والنوم هو سبات كما قال تعالى (وجعلنا نومكم سباتا) اعلم يا بنى ان السبت فى اصل اللغة هو القطع يقال سبت الرجل رأسه يسبته سبتا اذا حلق شعره وقال ابن الاعرابى فى قوله سباتا اى قطعا ثم عند هذا يحتمل وجوها * الاول ان يكون المعنى وجعلنا نومكم نوما متقطعا لا دائما فان النوم بمقدار الحاجة من انفع الاشياء اما دوامه فمن اضر الاشياء فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لاجرم ذكره الله تعالى فى معرض الانعام * الثانى الانسان اذا تعب ثم نام فذلك النوم يزيل عنه التعب كما ذكرنا آنفا فسميت تلك الازالة سبتا وقطعا وهذا هو المراد من قول ابن قتيبة وجعلنا نومكم سباتا اى راحة وليس غرضه منه ان السبات اسم للراحة بل المقصود ان النوم يقطع التعب ويزيله فحينئذ تحصل الراحة * الثالث قال المبرد وجعلنا نومكم سباتا اى جعلناه نوما خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه تقول العرب رجل مسبوت اذا كان النوم يغالبه وهو يدافعه كأنه قيل وجعلنا نومكم نوما لطيفا يمكنكم دفعه وما جعلناه غشيا مستوليا عليكم فان ذلك من

الامراض الشـديدة بل جعـله تعالى نعمة ومعوضا لما نقص من البدن ونوم اعضـاء الحواس يكون على التوالى فاول ما تكمن وظيفته البصر ثم الذوق ثم الشم ويبقى كل من السمع واللمس متيقظا بعض تيقظ ليوصل بعض احساسات ثم تتناقص الادراكات الغير المنتظمة شيأً فشيأً حتى تزول بالكلية ثم يبطل فعل الاحسـاسات الباطنة وكذلك العضـلات المنوطة بالحركات الارادية فهذه حقيقة النعم بل المراد انقطاع اثر الحواس وهذا هو النوم * فمن النادر ان يتمتع الشخص بكمال هـذه الراحة لانه يندر ان يسـتيقظ وهو على الوضع الذى نام عليه وهذا يقال فيه انه لما تنبه من احسـاسات خفية حصلت له حركات مختلفة مماثلة لحركات الجنين فى رحم امه وكثيرا ما تتم فى حال الحلم افعال جيـلة من الوظائف الذهنية ويتم معها حركات ارادية فاذا فرضنا ان القوة المخيلة مثلا من قبل ان ترد الى المخ الاحسـاسات التى ادركها اشـتغل الذهن وتشـرك بجميع تصورات كثيرا ما تكون متضـادة واحيانا تكون طبيعية واحدث ايضـا اختـلاطات غريبة سـارة او قابضة وجميع هذه التأثرات يبقى منها بقية تتذكرها بعد اليقظة وقـد يتكلم النائم فى حال الحـلم * وبالجملة فجميع وظائف المخالطة يمكن حصولها فى النوم الا وظائف الحواس الظـاهرة والمخ لا يحدث هذه الافعال الا على طبق التأثرات السـابقة وهذه الحالة التى لا تختلف عن اليقظة الا بعـدم حصـول وظائف الحواس وتسمى بالانتقال النومى فقد شوهد اشخاص فى هذه الحالة يقومون ويخرجون من بيوتهم ويغلقون ابوابها ويفرقون اراضى بسـاتينهم ويخرجون المياه من ابارهم ويتكلمون كلاما منتظما وهذه الحالة خطرة جدا لان هذا لا يحصل الا حسـب التأثرات الحاصلة قبل النوم والاشخاص المصابون بذلك لايدركون بحواسهم الاشياء التى بها تصير حياتهم معرضة للاخطار فمن الخطر ايقاظ من كان مصـابا بذلك اذا كان فى موضع وايضا فقد يبقى فى بعض الاحيان عضو من اعضاء الحواس متيقظا لقبول ما يحصل

من التأثرات فيمكن ان يرشد الاعمال الذهنية الى ما يتوهم انه بحسب الارادة فلو سئل الشخص المتكلم فى حلمه عن امر كذا وكذا لباح باعظم سر من اسراره ثم ان حالة الاعضاء لها دخل فى طبيعة الاحلام فزيادة احتباس السيال المنوى يحدث عنها المنامات العشقية واذا كان الشخص مصابا بالاستسقاء لا يحلم الا بالمياه والفساقى والمصابون بالامتلاء الدموى يظهر لهم فى الحلم كأن جميع الاجسام محمرة ومن عندهم امتلاء معدى يرون فى احلامهم ما يسمى بالكابوس * فان قلت انه ذكر آنفا قوتان الاولى * الخاصة الحيوية التى تظهر فى الانسجة الحية وهى ما تنكمش منها الانسجة وتنقبض عند مماسة جسم غريب لها والثانية * لما كان الانسان وما يشبهه من الكائنات مضطرا الى مخالطة جميع ما حوله من الاجسام جعل تعالى له قوة حساسة حيوية ارقى من الاولى بها يدرك التأثير وهذه الاخيرة جعل لها تعالى آلات كما قلت سابقا يأوى فيها سيال شعاعى نورانى علوى قدسى فان قلت هل الروح مجموع هاتين القوتين او الروح شىء آخر * قلت لك يا بنى اذا تأملنا فى الحياة الموجودة فى جملة الكائنات شاهدنا ان الذى تكون فيه الحياة حاصلة من عدد قليل من الوظائف الحيوية كالنبات والحيوان الذى من رتبة الحيوانات الدنية العديمة الشكل التى ليس لها مخ ولا نخاع ولا مجموع عصبى توجد فيها هاتان القوتان ويتشرب الهواء من اسطحة اجسامهم فهذه جملة حياتهم وكما فى الحيوانات ذات التركيب ففيهم الخاصيتان الحيوانيتان منتشرتان فى جميع اجزاء الجسم بدون ان يختصا باعضاء او آلات عامتان لكل ما فيه حياة ولما كان كل من الخاصيتين المذكورتين لا تكفى فى حياتهما من اتساع اسطحة اجسامهم جعل تعالى لهما قوة حساسة حيوية ارقى وتجعل بين اجزاء الجسم الحى ارتباطا خاصا به تكون الاجزاء حافظة للاشتراك التفاعلى فى الاحساس وهذه منبثة فى جميع الاوعية ومركزه من قاعدة الجمجمة الى العجز ومتشبك ومتضفر به عقدة الى اخرى كالقلائد

وبين هذه الضفائر عقدة صغيرة كأنها انخاخ تفرز ارواحا حيوية بمنزلة مراكز حركات لاسراع دورة الارواح فى الدم وتسمى بالترائب وبالضفائر وبالقلائد وهما الرئيستان على دورة الدم وعلى جميع الحركات الجزئية وعلى الاتحادات الحيوية التى تحصل فى وظائف الهضم والتنفس والافراز وجعل تعالى القوة الحساسة الحيوية التى هى الافئدة وكل من الخاصيتين الاوليين ومجموع الافئدة لا تقوم الحياة بهما الا بفعل التنفس اى الرئتين بل هما المؤثرتان فى الهواء فخلطه بالدم وهضمه انما يحصلان بقوة مختصة بهما كما قال الاقدمون عنصره الحياة لان نوع هذا الهضم اهم جدا من هضم الاطعمة اذ لا يمكن ان ينقطع بعض لحظات الا ويحصل من انقطاعه خطر بالحياة ولذلك كانت الحياة والتنفس فى لغة العرب من المشترك المعنوى * فقد تبين من هذا ان الدم يكتسب من الهواء الحياة والترائب اى العظيم الاشتراكى بنوعها وبدخوله الى مجموع الحياة الحيوانية يعوض ما نقص منها * واعلم يا بنى ان الدم الشريانى هو الذى تتكون منه مادة المجموع العصبى التى بها يكون فعله فان وروده شرط لهذا الفعل والاسفكسيا اى الاختناق والاغماء ينشآن عن انقطاع تأثير المجموع العصبى عن القلب وذلك انقطاع التنفس * كما قال تعالى (ونفخنا فيه من روحنا) وتمام شرحها مذكور فى كتابنا كشف الاسرار النورانية فارجع اليه ان شئت ﴿ الباب الثانى وفيه فصول الفصل الاول فى اعضاء التناسل ﴾ هذا وان كنت لم اتكلم الى هنا على اعضاء التناسل التى وعدتك بايرادها ووصفها فربما نسبتنى الى التقصير وقلت انى ما اتيت بالمقصود ولا وفيت لك بوعدى وهو خلاف المعهود الا انى اقول لك كن يا بنى مستريحا منشرح الصدر غير مشغول البال فانى ما اهملت ذكر هذه الرتبة الا حتى اوردت لك اولا كيفية الحياة وهنا اقول لك ان هذا المجموع ينقسم الى الوظائف التى تقتضى اجتماع النوعين مع بعضهما والى الوظائف المختصة بالام (فى بيان الوظائف التى

تقتضى اجتماع النوعين الاول وظيفة التناسل) التناسل هو الوظيفة التى بها تجدد الافراد ويدوم حفظ النوع وهى تتوقف على عمل يقع بين الذكر والانثى اللذين لايستعدان له الا بعد بلوغهما و يوجد بين الذكور والاناث زيادة على ماهو موجود بهما من الاختلافات فى اعضاء التناسل صفات طبيعية وآدابية تميزهما عن بعضهما ففى الحقيقة تختلف النساء عن الرجال بقصر قاماتهن فى الغالب ولطافة بنيتهن واستيلاء المجموعين الليمفاوى والخلوى فيهن المزيلين للارتفاعات العضلية ومنهم تكتسب جميع الاطراف استدارة لطيفة بهية وتختلف ايضا عن الرجال بزيادة الحساسية المصحوبة فيهن بقلة القوة وعظم الحركات و يظهر فى هيكلهن فرق عظيم جدا به يمكن ان يميز بسهولة عن هيكل الرجال وتكون الترقوة فيهن ايضا اقل تقوسا والصدر اقل طولا لكن اكثر اتساعا والقص اقل طولا لكن اكثر عرضا والحوض متسعا جدا وعظما الفخذين منحرفين وغير ذلك وتولد النوع بالنسبة للمرأة هو الغاية العظمى لوجود حياتها والغرض اللازم الاعظم الذى يجب عليها القيام به ولهذا كانت جميع الاشياء المانعة لها عنه مضرة لها وكانت جميع افعالها وعوائدها نهاية هذا المرام اذ العشق فى النساء اقوى الشهوات حتى يكاد ان لايوجد فيهن الا هو بل يمكن ان نقول ان هذه الشهوة هى الاصل الفعال فى جميع الشهوات فهى المنوعة لها بل المميزة لها عن شهوات الرجال * ثم ان جميع الاقاليم ذات الاراضى الخصبة يستخرج منها الرجل جميع مايحتاج اليه من القوت ولا يحتاج لمساعدة المرأة فى استخراج ذلك ولا يكلفها بعمل شاق من تكاليف المعاشرات ويظهر ان للانسان صفات خاصة به وهو انه ليس كمعظم الحيوانات مطيعا لغلبة تأثير الفصول فى استعمال ونتائجه التناسلية اذا الذئب والثعالب ينزو ذكرها على اناثها فى وسط الشتاء والابل ينزو ذكرها فى فصل الخريف ومعظم الطيور فى الربيع وغير ذلك ثم بعد ذلك يظهر ان هذه الحيوانات تنسى لذة العشق واما الجسم البشرى فيجامع الرجل منه الانثى فى جميع الازمنة وهذه

المزية يمكن ان تكون ناشئة من عظم معارفه التى بها يحفظ نفسه من حدة الازمنة واما الحيوانات الاهلية المحفوظة من التأثرات الخارجية فتتوالد فى جميع الازمنة تقريبا على حد سواء (الثانى سن البلوغ للنوعين) كل من الذكورة والانوثة والاقاليم وكيفية المعيشة له تأثير عظيم فى حصول ظواهر البلوغ قبل او انه بكثرة او قلة فان الانثى تصل الى هذا السن قبل وصول الذكر له بسنة او سنتين وسكان البلاد الحارة يسرع حصول ذلك لهم اكثر من سكان الاقطار الشمالية ففى سكان البلاد الحارة جدا تبلغ البنات فى السنة العاشرة او التاسعة وفى البلاد الباردة لايبلغن الا فى السنة الثامنة عشر او العشرين ويعرف البلوغ فى الذكر بخروج سيال منوى منه وبتغير الصوت الذى يصير اغلظ مما كان وبظهور شعر فى الذقن والعجين واعضاء التناسل وبالجملة فالصفات المختلفة المميزة للذكور تصير اشد وضوحا (الثالث بلوغ البنات) البلوغ فى البنات يظهر كما فى الصبيان بتغيرات كثيرة فالبنية اخذة بتغير سيرها تجاه وتسير سيرا مخالفا لسيرها الاول فتصير البنت اعقل واكثر حياء وتلتف اعضاؤها ويكتسب صوتها نغمة الطف واوفق وتنمو ثدياها ويمتد منسوجها الخلوى الى امام الصدر والخثلة وتتخذ ذلك مركزا له ليذهب منه الى العنق واصول الاطراف وتقوى حيوية اعينها الا انها تحلى بنقاب الذبول والانكسار فيفهم من ذبول تلك الاعين مزج شهوتها ولذتها بخوفها وحيائها ورقتها ويمنعها استشعارها بما هو حاصل لها وبضعفها الخاص عن ان تتجاسر على القرب مما كانت تعرفه من الذكور فى سن الصبا بدين ان تخفض بصرها حياء ووقارا ثم يحصل لها اكلان خفيف فى اعضاء التناسل ويسيل منها السائل المصلى وهو الاندفاع الاول للطمث ومن جهة اخرى نقول ان حياءها اللطيف المحيى لطلعة وجهها والطرافة المتصف بها كمال وقارها لم يلبثا قليلا حتى يعلنا فيها بقوة وعزة ثم تعرض فى اثناء هذا التغير العظيم وظيفة

جديدة ذات قوة عنيفة وهى السائل الطمثى الذى هو الميزان للصحة الجيدة او الرديئة فتحدث فيها من تلك الوظيفة تكدرات وتغيرات هى المراد والغم والحزن المكدر لايام الصبا التى اجتازتها فى مبدء سنها ومع ذلك جملة هذه التغيرات انما تعرض لقليل من البنات وذلك لان البلوغ يظهر بكيفية غير محسوسة ولاسيما فى المدن الكبيرة فيندر ان يصحبه اخلاق ادابية فجائية (الرابع فى الحيض) الحيض هو سيلان دموى من اعضاء تناسل المراة زمنه من سن البلوغ الى سن اليأس وهو وظيفة طبيعة معرضة لها النساء وفى جميع الازمنة فدعوى بعضهم انها ناشئة فى التمدن بطالة ولا اصل لما قيل ان نساء القطب الشمالى واهل بريزيل و بعض اقاليم من الامير يكا سليمات من ذلك ولا توجد هذه الوظيفة فى الحيوانات الا فى نوع القرد المسمى بالانسان الوحشى و بعض اصناف من النسانيس والقرود والخفاش على حسب ماقاله بعض العلماء من انه يحصل لتلك الحيوانات سيلان دورى * واذا شوهد احيانا فى بعض انواع من ذوات الاربع والاسماك والطيور وغير ذلك سيلان مادة زلالية يختلف تلونها فذلك عموما انما هو قرب طلب التعشير فليس من العقل تشبيه هذه الحالة بوظيفة الحيض والحيض المسمى ايضا بالطمث وبغير ذلك ينشأ من وقت البلوغ و ينقطع اذا حصل التلقيح وفى مدة الحمل والرضاع غالبا واذا ظهر كان التلقيح ممكنا وكلما تجدد بدون انقطاع فى ازمنته الطبيعية جاز ان يظن عدم العلوق * وقد ثبت من المشاهدات ان من النساء من لاترى الحيض اصلا مدة عمرها مع ان صحتها جيدة مثل صحة غيرها وانما الغالب على مثل هذه العقم قال بعضهم اعرف امراة لم تحض قط وهى جيدة الصحة زائدة النمو خصبة الجسم مزهرة البنية ومتزوجة منذ عشر سنين وكان معها اشتياق عظيم للاولاد وقد ايست منه الآن مع ان زوجها شاب وقبل تزوجه بتلك المرأة ولد اولادا من امرأة اخرى وبعضهم قال اعرف امراة اخرى لم تر الحيض قط ومع ذلك ولدت ولدا

عمره الآن نحو ثمان عشر سنة وهو قوى جيد التكون وامثال هذه الاخيرة كثيرة وقد لاترى المرأة الحيض الا بعد ان تلد اولادا فقد شاهد بعضهم امراة لم تر الحيض الا بعد ان ولدت ثلاثة اولاد متتابعة وعنده امثلة شبيهة بذلك ايضا و ذكر ايضا بعضهم امرأة متزوجة فى سبع وعشرين سنة وما رات حيضتها الا بعد شهرين من ثامن ولادة لها ثم استدامت معها بانتظام الى سن اربع وخمسين سنة ﴿ الفصل الثانى ﴾ هل دون الشارع لاهل الشرائع فى الحيض والعزوبة والزواج ام لا * فيا بنى ارى فى نفسك شيأ وعلى ظنى انك تشتهى ان تسأل هل ورد عن الشارع الى اهل الشرائع فى الحيض ومضاره ومنافعه وفى العزوبة والزواج شئ قلت لك فى قوله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض) وفى هذه الآية مسائل (المسألة الاولى) اعلم يا بنى ان اليهود والمجوس كانوا يبالغون فى التباعد عن المرأة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت هذه الآية اخذه المسلمون بظاهر (الآية فاخرجوهن من بيوتهن) فقال ناس من الاعراب يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرناها هلكت الحيض فقال عليه الصلاة والسلام انما امرتكم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم آمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم ثم جاء عباد بن بشير واسيد بن حضين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه وقال يارسول الله افلا ننكحهن فى المحيض فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه غضب عليهما فقاما فجاءه هدية من ابن فارسل النبى صلى الله عليه وسلم اليهما فسقاهما فعلمنا انه لم يغضب عليهما (المسألة الثانية) اصل الحيض فى اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهرى ومنه قيل الحوض حوض لان الماء

يحيض اليه اى يسيل اليه * واما قوله تعالى هو اذى فقال عطاء والسدى
وقتادة اى قذر واعلم ان الاذى فى اللغة مايكره من كل شئ * وقوله
(فاعتزلوا النساء فى المحيض) الاعتزال التنحى عن الشئ قدم ذكر العلة
وهوالاذى ثم رتب الحكم عليه وهو وجوب الاعتزال * فان قيل ليس الاذى
الا الدم وهو حاصل وقت الاستحاضة مع ان اعتزال المرأة فى الاستحاضة
غير واجب فقد انتقضت هذه العلة * قلنا العلة غير منقوضة لان دم الحيض
سائل طمثى هو مادة مفرزة لادم اعتيادى واقول ان الابخرة الرديئة التى
تتصاعد من بعض النساء يمكن ان تفسد سائلا يسهل فساده كاللبن مثلا
وتظهر تأثيرها فى بعض امراق المطابخ اليس من الواضح ان السائل المنفرز
المحتبس فى اعضاء تناسل امراة وسخة مدة طويلة يمكن بفساده ان يكتسب
فيها خواص ممرضة بل مهلكة فكان اذى وقذر اما دم الاستحاضة فليس
كذلك فان فى كل دور من ادوار الحيض تختلف باختلاف الاقاليم والمزاج
وكيفية المعيشة واذا طال عن العادة يحكم بالاستحاضة ويكون مسبوقا بالآلام
وضيق نفس ومعقوبا بنقص فى القوى الحيوية واما دم الحيض فقد يكون
على سبيل دفع الطبيعة للفضول وذلك محمود اذا لم يؤد الى غش وافراط
وسيلان غير محتاج اليه واما الاستحاضة فقد تكون على سبيل المرض اما
لحال فى الرحم او لحال فى الدم والكائن من جهة الرحم اما لضعف الرحم
واوردتها اسؤ مزاج او قروح او تولدات غريبة فى الرحم او حكة او شقوق
واما لانفتاح افواه العروق وقطعها وانصداعها لسبب بدنى او خارجى من
ضربة او سقطة او نحو ذلك فدم الاستحاضة ليس باذى (المسألة الثالثة)
اعلم يا بنى ان دم الحيض موصوف بصفات حقيقية ويتفرع عليه احكام
شرعية اما الصفات الحقيقية فامران * احدهما المنبع فبعض العلماء من جميع
الاعصار جعلوه فى الرحم لكن منهم من جعله فى قعرها ومنهم من جعله فى
عنقها وبعضهم رآه خارجا بدون واسطة من المهبل او من السطح الباطن
للاجزاء المختلفة التى يتركب منها الفرج ويقال ان الرحم لايمكنها ان تجهز هذا

السائل اذا كان يسيل فى مدة الحمل ويظهر انه يسهل الجمع بين هذه الآراء فدم الحيض يخرج بدون نزاع من تجويف الرحم فى اكثر الاحوال كما يدل على ذلك امور واقعية كثيرة صحيحة فقد شوهدت الرحم مملوّة متمددة بمادة طمثية مع ان فتحتها منسدة فى نساء انقطع حيضهن من مدة طويلة بسبب مرض واحيانا وجد الرحم مملوّا بسائل طمثى فاذا ادخل بوز الرحم اى عنقه فى كاس ذات ساق سال السائل الى الخارج فى الكاس فاذا كانت الرحم ساقطة شوهد خروجه من عنق الرحم * الثانى من صفات دم الحايض انما هو مادة مفرزة لادم اعتيادى ورائحة السائل الطمثى مختلفة جدا بحيث يمكن تشبيهها برائحة القطيفة التى هى كريهة وان كان فيها عطرية وبعضهم ممن وجده انه كثيرا ما يخرج قطعا منجمدة مسودة فى بعض النساء اللاتى مشين بعد ان مكثن جالسات او نائمات ساعات كثيرة وانه يحتوى على مادة ليفية قليلة جدا اقل مما يحتوى عليه بقية دم البدن وانه مخلوط بمادة مخاطية ومصلية تجهز بحسب الطبيعة من السطح الباطن للرحم وبذلك يصير لزجا فلا تكون فيه صفات الدم الذى يخرج من جرح مثلا فقد تبين مما سبق ان حكمة تحريم الجماع فى الحيض الثابت بالنص هو خطره (المسألة الرابعة) اعلم يا بنى ان اغلب النساء يكون دم الحيض فيهن اول يوم كثير السيولة مصليا قليل الكمية والتلون وفى اليوم الثانى يزيد قوامه ومقداره وفى الثالث يقرب لان يشابه الدم الذى يخرج بالرعاف وفى الرابع يتخذ صفات اليوم الثانى وفى الخامس يشبه دم اليوم الاول وقد يحصل خلاف ذلك فيتبع الاستفراغ سيرا بطيئا ولا يكثر حقيقة الا فى الرابع او الخامس وقد يسيل الدم فى بعض النساء وفى الابتداء بكمية عظيمة كما فى اليوم الثانى والثالث وفى بعض الاحوال يظهر اول يوم ولا يرجع فى الثانى ثم بعد ذلك يسيل بكثرة والغالب انه يسيل تنقيطا وبعض النساء تلتزم بان تحفظ منه بحفاظ خوف سقوطه على الارض لكثرته وكل حيضة يصحبها آلام شديدة فى القطن اى الصلب والخثلة اى اسفل البطن وثقل متعب فى الشرج فى بعض النساء وكذا فى الخاليات عن الازواج

ولاسيما اللاتى لم يلدن حيث يعتبر حيضهن كمرض حقيق والظاهر ان سبب هذا العارض فى كثير من النساء هو صلابة عنق الرحم وطوله وعدم انبساطه والغالب حصول ذلك من حالة تهيج فى تجويف الرحم ولذلك قد يندفع من الطمث احيانا الى الخارج اغشية كاذبة على هيئة الغشاء الساقط والعقم نسبه بعضهم لانسداد الرحم اوالبوقين (المسألة الخامسة) فى اسباب الطمث ودوريته دور الطمث يحصل عادة فى كل شهر والاحسن ان نقول فى كل ثمانية وعشرين يوما او تسعة وعشرين وبذلك يكون له نسبة بالشهر القمرى وتشاهد ادواره فى كثير من النساء متقاربة او متباعدة فقد يكون الدور اثنين وعشرين يوما او عشرين او ثمانية عشر بل خمسة عشر يوما قال بعضهم واعرف امرأة لم تكن طاهرة من الحيض اكثر من اثنى عشر يوما واخرى لم ينقطع عنها ابدا فهى مستحاضة دائمة ومع ذلك صحتها جيدة نهايته انها نحيفة ذات حساسية شديدة وتشاهد هذه الادوار كثيرة على الخصوص فى البلاد الحارة فى النساء العصبيات بدون ان يغير ذلك صحتهن وفى زمن اليأس تتبدل النحافة التى تصاحبهن غالبا بالسمن فكان النزيف الذى كانت الطبيعة تقذفه يرجع كله بالمنفعة على البنية وبعض النساء يكون دورهن اثنين وثلاثين يوما او خمسا وثلاثين او اربعين بل كل شهرين مع كون ثقل الحيض فيهن كغيرهن من العالم وذلك يشاهد كثيرا فى نساء الاقاليم الباردة وربما شوهد ذلك ايضا فى بعض نساء الارياف (المسألة السادسة) فى منوعات لاعضاء التناسل فى الذكر والانثى الكمرة فى الرجال والفرج والمهبل فى النساء مغشيان بغشاء مخاطى محتوى على فوهات كثيرة تفرز مادة لزجة تندى هذه الاجزاء وذلك يستدعى احتراسات خصوصية فالافراط من المجامعة ونحوها كالاستمناء مما يزيد كمية هذه المادة المفرزة فتكسب منه رائحة وصفتها المواد الجبنية المنتنة وتكون هذه المادة فى المرأة حادة مهيجة يمكن ان يحدث منها فى الرجال عند المجامعة السائلات البيضاء وتسلخ الجلد وبالجملة فيمكن ان تكون ينبوعا لامراض عديدة افرنجية

وحينئذ فتنظيف اعضاء التناسل فى الرجال والنساء وغسلهما بالماء البارد القراح او المسخن حسب الفصول يجب ان يستعمل عقب المجامعة وكل يوم والتراخى فى ذلك يسبب تهيجات فى هذه الاجزاء تنشأ خطرة وللتباعد عن هذه الامراض جعل تعالى الختان من اشرف الاشياء فى النساء والرجال فاذن الاغشية المخاطية غاية مانبحث عنه هنا لانها هى التى توصل العوارض الافرنجية * ومن المنوعات سيلان الطمث وحصوله قبل اوانه فانه يهيئ الضعف والشيخوخة قبل اوانهما * وعلامات قرب الطمث حصول امتلاء عمومى فى بعض البنات واحتقان موضعى فى بعضهن واذا حصل تعسير فى سيلان الطمث استعملت الوسائط التى تجذب الامتلاء العمومى نحو الرحم وهى تدفئة الفخذين والحوض بملابس من الصوف وبالدلك وتهبيل اعضاء التناسل ببخار الماء الحار وحده او مع جواهر عطرية والجلوس فى الابزن الحار والرياضة الجسمية اللطيفة والزواج واسطة جيدة به ينتهى الاحتقان الى نحو الرحم واذا ترتبت ادوار الطمث ينبغى ان يتباعد ايام سيلانه عن كل ما يمكن ان يمنعه كالبرد الشديد والحركات النفسانية وبالجملة عن كل مافيه تنبيه شديد لاى عضو كان والوسائط المنتجة التى ينبغى استعمالها زمن سيلانه غسل الفرج بالماء الفاتر بنحو اسفنجة والحرص على تجديد الخرق كل يوم والتباعد عن الاكل الذى يعسر هضمه فى العادة وينبغى للنساء اللواتى بنيتهن ضعيفة اذا كان الطمث فيهن غزيرا بحيث يحصل للبدن منه هزال ان يتباعدن عن جميع الاسباب التى تحفظ الحرارة او تجذب التنبه لاعضاء التناسل ويجب عليهن فى غير اوقات الطمث ان يترتضن رياضة بالكفاية لاجل ان تتعب العضلات بخلاف ايام سيلان الحيض فلا يستعملن الرياضة فيها الا يسيرا ويتباعدن عن المجامعة لكون السائل الطمثى مخلوط بمادة مخاطية حادة وسائل مصلى حريف مهيج يرشحان من باطن الرحم وسطح الفرج لا سيما وقت افراز الحيض فمن هذا قال تعالى (فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) * المسألة السابعة * اعلم يا بنى ان زمن الخطر هو زمن

انقطاع الطمث بالكلية ويكون على حسب زمن ابتدائه فيتقدم ان تقدم ويتأخر ان تأخر والطمث يمكث فى النساء عادة ثلاثين سنة فى الاقاليم المعتدلة والاحتقانات التى تحصل زمن انقطاع الطمث تظهر فى الاعضاء التى يكون فيها التنبه شديدا مدة الحياة كالمعدة والكبد فمن يتعاطى من النساء الارواح القوية او يفرط فى الغذاء وفى المفاصل فمن تعرض منهن للبرد الرطب وفى المخ فمن تكون فيه القوى النفسانية شديدة وعرضت له احزان وفى الرحم فمن اكثرت من الجماع واحسن الوسائط فى تدارك عوارض زمن الخطر التمسك فى مدة الحياة بالاشياء المنجحة على حسب الامكان واذا انقطع الطمث دفعة واحدة وخيف من تظاهر هذه الاعراض فينبغى زيادة عن التحرز من الامتلاء والتنبه الذى ينتج منه قطع الاستفراغ الاعتيادى ان يستعمل النساء المنقطع حيضهن دفعة خصوصا اذا كان ادراره فيهن غزيرا وهذه الوسائط هى * اولا بعض فصادات * ثانيا رياضة عضلية فى الايام التى كان يسيل فيها الطمث * ثالثا لبس ملابس حارة لتجذب للجسد زيادة القوى الحيوية التى يخشى منها على بعض الاعضاء المهمة كالمخ والمعدة واستعمال ما فيه تعويض وتنبه قليل من الاغذية * رابعا الامتناع عن المجامع التى فيها الناس كثيرون بحيث يصير الهواء فيها حارا * خامسا ان يتباعد فى هذا الوقت اكثر من غيره عن كل ما يمكن ان يسبب لعضو ما تنبها زائدا فيتباعدن عن جميع الاسباب المهيجة كضغط الملابس والدلك والرض وغيرها (المسألة الثامنة) فى الاستمناء فالرجال والنساء كثيرا ما يفعلون عادة رديئة مضرة بالجسم ناشئة من عدم حسن التربية ومن مخالطة الناس الذين لا تربية لهم فى وقت سلطنة التهيج الشديد لاعضاء التناسل الموجبة للشبان ان يرتكبوا حظوظا سرية يمنعهم عن المجاهرة بها صغر سنهم او حالتهم التى هم عليها وهذه الحادثة تسمى بالاستمناء والعوارض التى تعرض منها خطرة جدا ولا نعدها هاهنا بل نتكلم عن الوسائط التى تتدارك بها هذه العادة وهى ان يلاحظ الاهل والمعلمون للاولاد فى حال لعبهم وان يمنعوهم عن مخالطة

من يشك في تربيته وان لايتركوا في الفراش من غير نوم وان يكون فراشهم من مواد لا تظهر الحرارة وان يمنعوهم جميع الاسباب المنبهة العمومية فان تحقق وجود هذه العادة في الاولاد اتعبوا برياضة عضلية قابلة الدوام واشغل فكرهم باشغال دوامية وان يتنبه لهم في حال نومهم وان يكون غذاؤهم ضعيفا وان يبعدوا عن المشروبات المنبهة وعن المطالعة في اشياء تنبه الاشواق وعن السهر والتأمل في الاشياء التي يمكن ان ترد لهم الفكرات التي ينبغي تبعيدها عنهم (المسألة التاسعة في العزوبة) لما كانت العزوبة وهي ان يعيش الرجل بدون زواج لها دخل في الاعتبارات الطبيعية والنفسانية التي تخص حفظ صحة الشخص اقتضى ذلك ان نتكلم عليها فنقول العزوبة مضادة للحقوق الطبيعية وللصحة الشخصية اذا حفظت بكل تدقيق وعاقبتها ضرر على الصحة العمومية وعلى الشعوب من حيث انه لا يكثر فيها النسل والاشخاص الذين يقضون حياتهم في العزوبة لا لاغراض دينية ولا اضعف في امزجتهم يلزمهم ان يعيشوا في الفسق ويضيعوا نسلهم في الحرام ويقعوا في داء الافرنجي فيكون نسلهم مصابا بداء والديه وتكون معيشة هؤلاء الاولاد في فقر ومسكنة سيما في البلاد التي ليس فيها اماكن عمومية يقبلون فيها مثل هؤلاء الاولاد الذين يتركهم والداهم ومن المضار التي تسبب من العزوبة ان الامتناع من الزواج مدة الشبوبية يوجب ان يكون الزواج متأخرا عن وقته وعدم توافق الزوجين في السن وذلك من الاسباب الرئيسة لعقم النساء ولتسبب الولادات العسرة والمهلكة في المرأة التي تأخر زواجها عن وقته فليست العزوبة حينئذ مضادة للطباع الجيدة ومضادة لوجود النسل وكثرته في الشعوب (المسألة العاشرة في الزواج) الزواج هو اتحاد الرجل مع المرأة بطريقة جائزة شرعا لتتميم حقوق الطبيعة ولتكاثر الجنس وتربية الاطفال ومساعدة الرجال والنساء لبعضهم بعضا مدة الحياة فالزواج لم يجعل لحفظ حقوق الشرائع والطباع فقط بل جعله تعالى ايضا من التطبيب نظرا لحفظ الصحة ولتطويل العمر والتناسل فهو اذن من عمار

الكون وكون الزواج له دخل فى حفظ الصحة وطول العمر امر ظاهر وثابت بالمشاهدات فقد شوهد ان فى مدة من الزمان يموت من العزاب اكثر من المتزوجين ويعيش المتزوجون زمانا اكثر من العزاب وان الرهبان من الرجال والنساء يعيشون اقل من المتزوجين والنساء المتزوجات مع كونهن يقاسين اخطارا شديدة فى الولادة يعشن اكثر من غير المتزوجات * وينبغى لنا ان نذكر بعض فوائد تتعلق بالزواج مع انه يوجد فيه مشاق واهوال كثيرة فنقول * الاول من فوائد الزواج ما يفعله كل من الرجل والمراة لصاحبه من المساعدة والاحتراس والتسلية سيما عند التقدم فى السن وفى وقت الامراض وهذا لا يحصل الا فى الزواج وايضا حنو الاولاد الى والديهم وانهم يصيرون لهم سندا فى اواخر عمرهم * والثانى ما يفعلانه من الهمة والجهد العظيم فى الاشغال لتحصيل معايش العيال وهذا لاشك انه ضرورى لحفظ الصحة وتبعيد الامراض * والثالث التباعد عن الداء الافرنجى والرابع وهو اجود فوائده كون الزواج يقلل تنبه الشوق للجماع من حيث كون المضاجعة تصير اعتيادية فى اوقات معينة فلا يكون تنبه المجموع العصبى مشتدا فى اغلب الاوقات بل تكون التولعات هادئة والحظوظ غير متوالية * والذى ينبغى ان يعتبر رئيسا فى الطب من امور الزواج اشياء طبيعية وهى ميل طبيعة كل من الرجال والنساء لصاحبه ليحصل بينهما المضاجعة وتحفظ صحة العروسين وصحة الاود التى تاتى منهما واول مايعتبر من ذلك القدرة على تميم المضاجعة فينبغى ان نذكر السبب الذى هو اكثر المؤثرات فى ذلك وهو السن الذى يمكن فيه الزواج ثم بعده نبين بنية جسم العروسين والاستعداد الجيد لاعضاء التناسل * فنقول الزواج من حيث انه واسطة من وسائط حفظ الصحة يجب ان يكون تحصيله عند ما يحس بالاحتياج اليه وذلك انما يكون غالبا بعد البلوغ لان الجسم حينئذ يكون اكتسب القوة ومال الى قابلية الزواج سيما فى النساء فانهن انما يكن اقوياء على تحمل مشاق العمل بعد زمن طويل من البلوغ وكذا

مشاق الولادة ومتاعب الرضاع وسن البلوغ تكون سرعة حصوله على حسب الاقاليم وامزجته فيكون من اربعة عشرة سنة الى خمسة عشرة فى النساء ومن ستة عشرة سنة الى ثمانى عشرة فى الرجال واما النمو التام لاعضاء التناسل فلا ينتهى الا بعد سنتين او ثلاثة من البلوغ والموانع التى تمنع السماح فى الزواج قبل سن البلوغ هى عوارض تخص صحة الزوجين وصحة الاولاد التى تحصل بينهما ايضا وهنالك عوارض تعرض من الزواج اذا حصل بعد التقدم فى السن لاسيما فى النساء فان الاطباء كلهم على راى واحد يقولون ان المراة التى تتزوج بعد سن الثلاثين تكون معرضة بالاكثر للاجهاض والى عواقب خطرة * فيا بنى اراك متنكرا وعلى ظنى انه خطر ببالك مما قد سبق من هذه التنبيهات الواقعة من العلماء الاعلام بالامور الواقعية بالمشاهدات الحث على الزواج ومنع العزوبة فهل هذه العلوم متنبهة بها الشرائع ام لا * فقول لك ابصر واسمع ما اقول فى قوله تعالى (وانكحوا الايامى) الآية وفى هذه الآية مسايل (المسألة الاولى) وانكحوا الايامى امر وظاهر الامر الوجوب فيدل على ان الولى يجب عليه تزويج موليته واذا ثبت هذا وجب ان لايجوز النكاح الابولى اما لان كل من اوجب ذلك على الولى حكم بانه لايصح من المولية واما لان المولية او فعلت ذلك لفوتت على الولى التمكن من اداء هذا الواجب وانه غير جائز واما لتطابق هذه الآية مع الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الاتفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قال ابوبكر الرازى هذه الآية وان اقتضت بظاهرها الايجاب الا انه اجمع السلف على انه لم يرد به الايجاب ويدل عليه امور * احدها انه لو كان ذلك واجبا لورد النقل بفعله من النبى صلى الله عليه وسلم ومن السلف مستفيضا شائعا لعموم الحاجة اليه فلما وجدنا عصر النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الاعصار بعده قد كان فى الناس ايامى من الرجال والنساء فلم ينكروا عدم تزويجهن ثبت انه ما اريد به الايجاب * وثانيها اجمعنا ان الايم الثيب او ابت التزوج لم

يكن

يكن للولى اجبارها عليه * وثالثها اتفاق الكل على انه لا يجب على السيد تزويج عبده وامته وهو معطوف على الايامى فدل على انه غير واجب فى الجميع بل ندب فيه ورابعها ان اسم الايامى ينتظم فيه الرجال والنساء وهو فى الرجال ما اريد به الاولياء دون غيرهم كذلك فى النساء * والجواب ان جميع ماذكر تخصيصات تطرقت الى الآية والعام بعد التخصيص يبقى حجة فوجب ان يبقى حجة فيما اذا التمست المراة الايم من الولى التزويج وجب وحينئذ ينتظم وجه الكلام (المسألة الثانية) قال الشافعى رحمه الله تعالى الآية تقتضى جواز تزويج البكر البالغة بدون رضاها لان الآية والحديث يدلان على امر الولى بتزويجها ولولا قيام الدلالة على ان لا يزوج الثيب الكبيرة بغير رضاها لكان جائزا تزويجها بغير رضاها لعموم الآية قال ابوبكر الرازى قوله تعالى (وانكحوا الايامى) لا يختص بالنساء دون الرجال على ما بينا فلما كان الاسم شاملا للرجال والنساء وقد اضمر فى الرجال تزويجهم باذنهم فوجب استعمال ذلك الضمير فى النساء وايضا فقد امر النبى صلى الله عليه وسلم باستئمار البكر بقوله البكر تستأمر فى نفسها واذنها صماتها وذلك امر وان كان فى صورة الخبر فثبت انه لا يجوز تزويجها الا باذنها * والجواب اما الاول فهو تخصيص للنص وهو لا يقدح فى كونه حجة والفرق ان الايم من الرجال يتولى امر نفسه فلا يجب على الولى تعهد امره بخلاف المراة فان احتياجها الى من يصلح امرها فى التزويج اظهر وايضا فلفظ الايامى وان تناول الرجال والنساء فاذا اطلق لم يتناول الا النساء وانما يتناول الرجال اذا قيد * واما الثانى ففى تخصيص الآية بخبر الواحد كلام مشهور (المسألة الثالثة) قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى العم والاخ يليان تزويج البنت الصغيرة ويحثون البالغ على الزواج ووجه الاستدلال بالآية كما تقدم (المسألة الرابعة) قال الشافعى رحمه الله تعالى الناس فى النكاح قسمان منهم من تتوق نفسه فى النكاح فيستحب له ان ينكح ان وجدا هبة النكاح سواء كان مقبلا على العبادة اولم يكن كذلك ولكن لا يجب ان ينكح وان لم يجد اهبة النكاح يكسر شهوته

بالصوم لما روى عبدالله بن مسعود رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء وقال على رضى الله عنه النكاح لم يجعل لحفظ حقوق الشريعة والطباع فقط بل جعله تعالى ايضا لحفظ الصحة وصحة العبادات والتناسل امر ظاهر اما الذى لا تتوق نفسه الى النكاح فان كان ذلك لعلة به من كبر او مرض او عجز يكره له ان ينكح لانه يلتزم مالا يمكنه القيام بحقه وكذلك اذا كان لا يقدر على النفقة وان لم يكن به عجز وكان قادرا على القيام بحقه لم يكره له النكاح لكن الافضل ان يتخلى لعبادة الله تعالى قال ابو حنيفة رضى الله عنه ورحمه الله النكاح افضل من التخلى للعبادة وقال الشافعى رحمه الله تعالى فى ذلك وجوه * احدها قوله تعالى (وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) مدح يحيى عليه السلام بكونه حصورا والحصور الذى لا يأتى النساء مع القدرة عليهن ولا يقال هو الذى لا يأتى النساء مع العجز عنهن لان مدح الانسان بما يكون عيبا غير جائز واذا ثبت انه مدح فى حق يحيى عليه السلام وجب ان يكون مشروعا فى حقنا لقوله تعالى (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ولا يجوز حمل الهدى على الاصول لان التقليد فيها غير جائز فوجب حمله على الفروع * وثانيها قوله عليه الصلوة والسلام استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان افضل اعمالكم الصلواة وتمسك ايضا بما روى عنه عليه الصلوة والسلام انه قال افضل اعمال امتى قراءة القرآن * وثالثها ان النكاح مباح لقوله عليه الصلوة والسلام احب المباحات الى الله تعالى النكاح ويحمل الاحب على الاصلح فى الدنيا لئلا يقع التناقض بين كونه احب وبين كونه مباحا والمباح ما استوى طرفاه فى الثواب والعقاب والمندوب ما ترجح وجوده على عدمه فتكون العبادة افضل * ورابعها ان النكاح ليس بعبادة بدليل انه يصح من الكافر والعبادة لا تصح منه فوجب ان تكون العبادة افضل منه لقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) والاشتغال

بالمقصود

بالمقصود اولى * وخامسها ان النافلة اشق فتكون اكثر ثوابا وبيان انها اشق
ان ميل الطباع الى النكاح اكثر ولولا ترغيب الشرع لما رغب احد في النوافل
واذا ثبت انها اشق وجب ان تكون اكثر ثوابا لقوله عليه الصلوة والسلام
افضل العبادات احمزها وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها
اجرك على قدر نصبك * وسادسها لوكان النكاح مساويا للنوافل في الثواب
مع ان النوافل اشق منه لما كانت النوافل مشروعة لانه اذا حصل طريقان
الى تحصيل المقصود وكانا في الافضاء وكان احدهما شاقا والآخر سهلا فان
العقلاء يستقبحون تحصيل ذلك المقصود بالطريق الشاق مع المكنة من
الطريق السهل ولما كانت النوافل مشروعة علمنا انها افضل * وسابعها
لوكان الاشتغال بالنكاح اولى من النافلة لكان الاشتغال بالحراثة والزراعة
اولى من النافلة بالقياس على النكاح والجامع كون كل واحد منهما سببا لبقاء
هذا العالم ومحصلا لنظامه * وثامنها اجمعنا على انه يقدم واجب العبادة على
واجب النكاح فيقدم مندوبها على مندوبه لاتحاد السبب * وتاسعها ان
النكاح اشتغال بتحصيل اللذات الحسية الداعية الى الدنيا والنافلة قطع
العلائق الجسمانية واقبال على الله تعالى فاين احدهما من الاخر ولذلك قال
عليه الصلوة والسلام حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني
في الصلوة فرجح الصلوة على النكاح * حجة ابى حنيفة رحمه الله تعالى من
وجوه * الاول ان النكاح يتضمن صون النفس عن الزنا فيكون ذلك دفعا
للضرر عن النفس والنافلة جلب النفع ودفع الضرر اولى من جلب النفع
الثانى ان النكاح يتضمن العدل والعدل افضل من العبادة لقوله عليه الصلوة
والسلام لعدل ساعة خير من عبادة ستين سنة * الثالث ان النكاح سنة مؤكدة
لقوله عليه الصلوة والسلام من رغب عن سنتى فليس منى وان من سنتى
النكاح وقال في الصلوة وانها خير موضوع فمن شاء فليستكثر ومن شاء
فليستقلل فوجب ان يكون النكاح افضل وذلك ان النكاح له دخل في حفظ
الصحة وتبعيد الامراض (المسألة الخامسة) قوله تعالى (وانكحوا الايامى

منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) ظاهره انه ايضا امر للسادة بتزويج هذين الفريقين اذا كانوا صالحين وانه لا فرق بين هذا الامر وبين الامر بتزويج الايامى فى باب الوجوب لكنهم اتفقوا على انه اباحة اوترغيب فاما ان يكون واجبا فلا وفرقوا بينه وبين تزويج الايامى بان فى تزويج العبدالتزام مؤنة وتعطيل خدمة وذلك ليس بواجب على السيد وفى تزويج الامة استفادة مهر وسقوط نفقة وليس ذلك بلازم على المولى (المسألة السادسة) انما خص الصالحين بالذكر لوجوه * الاول ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم * الثانى لان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم ينزلونهم منزلة الاولاد فى المودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك الثالث ان يكون المراد الصلاح لامر النكاح حتى يقوم العبد بما يلزم لها وتقوم الامة بما يلزم للزوج * الرابع ان يكون المراد الصلاح فى نفس النكاح بان لا تكون صغيرة فلا تحتاج الى النكاح (المسألة السابعة) ظاهر الآية يدل على ان العبد لا يتزوج بنفسه وانما يجوز ان يتولى المولى تزويجه لكن ثبت بالدليل انه اذا امره بان يتزوج جاز ان يتولى تزويج نفسه فيكون توليه باذنه بمنزلة ان يتولى ذلك نفس السيد فاما الاماء فلا شبهة فى ان المولى يتولى تزويجهن خصوصا على قول من لا يجوّز النكاح الابولى * واما قوله تعالى (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) فالاصح ان هذا ليس وعدا من الله تعالى باغناء من يتزوج بل المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم او فقر من تريدون تزويجها ففى فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح وليس فى الفقر ما يمنع من الرغبة فى النكاح فهذا معنى صحيح وليس فيه ان الكلام قصد به وعد الغنى حتى لا يجوز ان يقع فيه خلف وعن ابى بكر رضى الله عنه قال اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح فانه صحة لابدانكم وينجز لكم ماوعدكم به من الغنى وعن عمر وابن عباس

مثله

مثله قال التمسوا الرزق بالنكاح و به ايضا صحة انفسكم و صحة افئدتكم وصحة اجسامكم وشكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك الباءة وقال طلحة بن مطرف تزوجوا فانه اوسع لكم فى رزقكم واوسع لكم فى اخلاقكم ويزيد الله فى مروتكم و يروق الله ذهنكم و يوسع الله ميدان افكاركم ويبارك فى اعماركم وهذا جميعه من خصائص الجماع بحيث الماء النازل ماء افرازى اى فضلى من الانثيين يخزن فى مخزنه الى وقت الحاجة ففيها ينعش البدن ويصلح اعضاء الحركة ويحمد الاخلاق النفسانية ويوسع دائرة افكاركم اذا كانت متدربة (المسألة الثامنة) اما الترغيب فى النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه لحصر آفات النكاح وفوائده * فنقول آفات النكاح وفوائده خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن الفائدة الاولى الولد الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وان لايخلو العالم من جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل فى اخراج البذر و بالانثى فى التمكين من الحرث تلطفا بهما فى السياقة الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير فى بث الحب الذى يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفى التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هى الاصل فى الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة حتى انه لم يحب احدهم ان يلقى الله عزبا الاول موافقة محبة الله تعالى بالسعى فى تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان والثانى طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير امته لتحقيق مباهاته والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله * اما الوجه الاول فهو ادق الوجوه و بيانه ان السيد اذا سلم

الى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له ارضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه دابها فان تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة متولدة من الانثيين وهيأ لها فى باطن الانثيين عروقا تجمعها الى راس الخصية ومنها الى داخل البطن قرب الفقار مجرى يتكون منه كيس ومن ذلك الكيس مجرى آخر ينفذ فى القضيب وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط تقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها وتنادى ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذا ان لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال تناكحوا تناسلوا فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلة المعدة وجانيا على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهى ليس برقم حروف واصوات يقراؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة فى ادراك دقائق الحكمة الازلية ولذلك عظم الشرع الامر فى القتل للاولاد وفى الوأد لانه منع لتمام الوجود واليه اشار من قال العزل احد الوأدين فالناكح ساعى فى اتمام ما احب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) فان قلت قولك ان بقاء النسل والنفس محبوب يوهم ان فناءها مكروه عند الله تعالى وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة الى ارادة الله تعالى ومعلوم ان الكل بمشيئة الله تعالى وان الله غنى عن العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حياتهم او بقاؤهم عن فنائهم * فاعلم يا بنى ان هذه الكلمة حق اريد بها باطل فان ما ذكرنا لا ينافى اضافة الكائنات كلها الى ارادة الله تعالى خيرها وشرها

ونقيضها رضيرها ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقل انهما مرضيان ومحبوبان بل هما مرادان وقد قال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) فكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة الله وكراهته كالبقاء فانه سبحانه وتعالى يقول ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المسلم هو يكره الموت وانا اكره مساآته ولا بد له من الموت فقوله لابد له من الموت اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور في قوله تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) وفي قوله تعالى (الذي خلق الموت والحياة) ولا مناقضة بين قوله (نحن قدرنا بينكم الموت) و بين قوله وانا اكره مساآته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها فان السابق الى الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد مابين ذات العزيز وذاتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله تعالى مقدس عنهما ولا يناسب ماليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفاته لاتناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذي منع من افشائه فلنقصر عن ذكر مانهينا عنه ولنقتصر على بيان الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه * فنقول الاحجام عنه مضيع نسلا ادام الله تعالى وجوده من آدم عليه الصلوة والسلام عقبا بعد عقب الى النهاية فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه فمات ابتر لاعقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ رضى الله عنه في الطاعون زوجوني لاالقى الله عزبا * فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه * قلت لك يا بني الولد يحصل بمجرد الوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لايدخل

فى الاختيار انما المعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع فى كل حال فمن عقد النكاح فقد ادى ماعليه وفعل ما اليه و الباقى خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة خفية لايطلع عليها حتى ان الممسوح الذى لايتوقع له ولد لاينقطع الاستحباب ايضا فى حقه على الوجه الذى يستحب الاصلع من امرار الموسى على راسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف وكما يستحب الرمل والاضطباع فى الحج الآن وقد كان المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة فى حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب فى حق القادر عليه وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لايخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذى ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة * الوجه الثانى السعى فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتكثير مابه مباهاته اذ قد صرح بذلك و يدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها ماروى عن عمر رضى الله عنه انه كان ينكح كثيرا و يقول انما انكح للولد ومما روى فى الاخبار فى مذمة المرأة العقيم اذ قال صلى الله عليه وسلم لحصير فى ناحية البيت خير من امراة لاتلد وقال خير نسائكم الولود الودود وقال سوداء ولود خير من حسناء لاتلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل فى اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة * الوجه الثالث ان يبقى بعده ولد صالح يدعو له كما ورد فى الخبر ان جميع عمل ابن آدم ينقطع الامن ثلاث فذكر الولد الصالح وفى الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من نور وقول القائل ان الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على اولاد ذوى الدين لا سيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من

كسبه

كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه (لا تزر وازرة وزر اخرى) ولذلك قال تعالى (الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء) اى ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا فى حسناتهم * الوجه الرابع ان يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر بو الديه الى الجنة وفى بعض الاخبار يأخذ بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطا اى ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواى معى فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة وفى خبر آخر ان الاطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بالذرارى ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فاين اباؤنا وامهاتنا فيقول الخزنة ان آباءكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انه كانت لهم ذنوب وسيآت فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على ابواب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو اعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون ربنا هذه ضجة الاطفال قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بايدى آبائهم فادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة اولاد لم يبلغوا الحنث ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان * وحكى ان بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجونى زوجونى فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقنى ولدا ويقبضه فيكون مقدمة فى الآخرة ثم قال رايت فى المنام كان القيامة قد قامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف وبى من العطش ماكان ان يقطع عنقى وكذا الخلائق فى شدة العطش والكرب فبينما نحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون اكثر الناس فمددت

يدى الى احدهم وقلت اسقني فقد اجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد اغا نسقى آباءنا فقلت ومن انتم فقالوا نحن من مات من الاطفال * واحد المعانى المذكورة فى قوله تعالى (فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم) تقديم الاطفال الى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا للولد * الفائدة الثانية التحفظ فى الدين واليه الاشارة بقوله عليه السلام من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله فى الشطر الآخر واليه الاشارة بقوله عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الآثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول لان الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجعله وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة فى تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص من غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا فى ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمرى فى الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما فى قضائها من اللذة التى لا توازيها لذة لو دامت فهى منبهة على اللذات الموعودة فى الجنان اذ الترغيب فى لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين فى لذة الجماع والصبى فى لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب واحد فوائد لذات الدنيا الرغبة فى دوامها فى الجنة ليكون باعثا على عبادة الله تعالى فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتين حياة ظاهرة وحياة باطنة * فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود * والحياة الباطنة هى الحياة الاخروية فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة فى اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسير المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا بل من ذرات ملكوت

السموات

السموات والارض الا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ما تحار العقول فيها ولكن انما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها و بقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم فى الدين لكل من لا يؤتى من عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة اذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش * واليه اشار بقوله عليه السلام عن الله تعالى (ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير) وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة ويغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر الشيطان الموسوس اليه فى اكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك فى اثناء الصلوة حتى يجرى على خاطره من امور الوقاع مالو صرح به بين يدى اخس الخلق لاستحى منه والله مطلع على قلبه والقلب فى حق الله كاللسان فى حق الخلق ورأس الامور للمريد يا بنى فى سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة فى حق اكثر الخلق الا ان ينضاف اليه ضعف فى البدن وفساد فى المزاج ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة رضى الله عنه فى معنى قوله تعالى (ربنا و لا تحملنا مالا طاقة لنا به) هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا فى معنى قوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) انه لا يصبر عن النساء * وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه * وفى نوادر التفسير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ومن شر غاسق اذا وقب) قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة اذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهى مع انها صالحة لان تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهى اقوى آلة الوسوسة على بنى آدم واليه اشار عليه السلام بقوله مارايت من ناقصات عقل ودين اغلب لذوى الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه

(اللهم انى اعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى ومن شر منيى وقال اسالك ان تطهر قلبى وتحفظ فرجى) فما يستفيد منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره * وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لايكاد يخلو من اثنين اوثلاث فانكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدى الله تعالى جلسة اووقف بين يديه موقفا فى معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لورضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد لما تزوجت لكنى ماخطر على قلبى خاطر يشغلنى عن مالى الانفذته فاستريح وارجع الى شغلى ومنذ اربعين سنة ماخطر على قلبى معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين ما الذى تنكر منهم قال ياكلون كثيرا قال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون لاكلت كما ياكلون قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس * وروى جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم راى امراة فدخل على زينب رضى الله عنها فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم ان المراة اذا اقبلت اقبلت بصورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليأت اهله فان معها مثل الذى معها * وقال عليه السلام لا تدخلوا على المغيبات وهى التى غاب زوجها عنها فان الشيطان يجرى من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله اعاننى عليه فاسلم * قال سفيان بن عيينة فاسلم معناه فاسلم انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلى المغرب ثم يغتسل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله تعالى

واخراج غرة الشيطان منه وروى انه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما خير هذه الامة اكثرها نساء ولما كانت الشهوة اغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منه من النكاح اشد ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاق الولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين وليس فيه الا تنغيص الحياة على الولد مدة وفى اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الاخروية التى تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروى انه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم اردت ان اسأل مسألة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما كنت افضيت به الى ابيك فافض به الى فقال انى شاب لازوجة لى وربما خشيت العنت على نفسى فربما استمنيت بيدى فهل فى ذلك معصية فاعرض عنه بن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على ان العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور ادناها نكاح الامة وفيه ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس الاباحة فى شئ منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع فى محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون الشرين فى معنى الاباحة المطلقة ولا فى معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتاكلة من الخيرات وان كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذا فى النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لايعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث فى حقه ويبقى ماسبق من امر الولد فان ذلك عام الا للممسوح وهو نادر * ومن الطباع ماتغلب عليها الشهوة بحيث لاتحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة الى الاربع فان يسر الله له مودة ورحمة

واطمأن قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال وقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال * ويقال ان الحسن بن على رضى الله عنهما كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتى امرأة وكان ربما عقد على اربع فى وقت واحد وربما طلق اربعا فى وقت واحد واستبدل بهن وقد قال عليه الصلوة والسلام للحسن اشبهت خلقى وخلقى وقال صلى الله عليه وسلم حسن منى وحسين من على فقيل ان كثرة نكاحه احد ما اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وكان فى الصحابة رضى الله عنهم من له الثلاث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغى ان يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه فى الكثرة والقلة * الفائدة الثالثة ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهى عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات فى بعض الاوقات قويت ونشطت وفى الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغى ان يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى ليسكن اليها وقال على رضى الله عنه روحوا القلوب ساعة فانها اذا اكرهت عميت وفى الخبر على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان فى هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ آخر لا يكون العاقل طامعا الا فى ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة فى غير محرم وقال عليه الصلاة والسلام لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتى فقد اهتدى والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك فى ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو الدرداء رضى الله عنه يقول انى لاستجم نفسى بشئ من اللهو لتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبريل عليه السلام ضعفى عن الوقاع

فدلني على متحلل فى العبادة وهـذا ان صح لايحمل له الا الاستمداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الاكثار من هذا الدنس وقال عليه الصلوة والسلام حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني فى الصلوة فهذه ايضا فائدة لاينكرها من جرب اتعاب نفسه فى الافكار والاذكار وصنوف الاعمال وهى خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى انها تطرد فى حق الممسوح ومن لاشهوة له الا ان هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك * واما قصد الولد وقصد دفع الشهوة وامثالهما فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر الى الماء الجارى والخضرة وامثالهما ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له * الفائدة الرابعة فى تفريغ القلب اى تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاوانى وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش فى منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك * قال ابو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا * و قال محمد ابن كعب القرظى فى معنى قوله تعالى (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) قال المراة الصالحة * وقال عليه الصلوة والسلام ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته فانظر كيف جمع بينها و بين الذكر والشكر وفى بعض التفاسير فى قوله تعالى (فلنحيينه حياة طيبة قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول مااعطى العبد بعد الايمان بالله تعالى خيرا من امرأة صالحة وان منهن غنما لايحذى منه

ومنهن فلا لا يغدى منه وقوله لا يجدى اى لايعتاض عنه بعطاء وقال عليه الصلوة والسلام فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجى اعوانا لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لايأمر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة * فهذه ايضا من الفوائد التى يقصدها الصالحون الا انها تخص بعض الاشخاص الذين لاكافل لهم ولا مدبر ولا تدعو الى امرأتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به امور المنزل ويدخل فى هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر فان ذلك مما يحتاج اليه فى دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لاناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل * الفائدة الخامسة مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعى فى اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية اولاده فكل هذه الاعمال اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال عليه الصلوة والسلام يوم من وال عدل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فقاسات الاهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله * ولذلك قال بشر فضل علىّ احمد بن حنبل رضى الله عنهما بثلاث احداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلوة والسلام ماانفقه الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها الى فى امرأته وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل اعطانى الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت من عمل الابدال

قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه فى الغز وتعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا سنعلم ذلك قال انا اعلم قالوا فا هو قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل * فان قيل فنحن نرى من كان غنيا فيتزوج فيصير فقيرا * قلنا الجواب عنه من وجوه * احدها ان هذا الوعد مشروط بالمشيئة كما فى قوله تعالى (وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم) والمطلق محمول على المقيد وثانيها ان اللفظ وان كان عاما الا انه قد يكون خاصا فى بعض المذكورين دون البعض وهو فى الايامى الاحرار الذين يملكون فيستغنون بما يملكون وثالثها ان المراد الغنى بالعفاف فيكون المعنى وقوع الغنى بملك البضع والاستغناء به عن الوقوع فى الزنا * فى الجماع قد اوجد الله سبحانه وتعالى وظائف حفظ النوع على ما ينبغى كما اوجد حفظ الشخص كذلك فلم يجعلها تعالى كبعض الوظائف متمحضة لان تكون تحت سلطان الارادة فقط وفاء بمرام احتياج التوالد اذ لو كان كذلك لحصل اختلال كثير فى تكاثر النوع بل جعل سبحانه وتعالى فينا ميلا غريزيا واحساسا باطنيا وجدانيا مجلسه فى اعضاء التناسل فهو فى هذه الاعضاء بمنزلة الحس الذى للمعدة وهو الجوع وهذا الميل فى الحقيقة منوط باعضاء التناسل فلا يوجد اذا لم تكن هذه الاعضاء قادرة على فعل وظائفها ولا يحس به اصلا اذا فعل الخصاء فى سن الصبا * واما اسباب هذا الحس الباطن فلا يمكن ادراكها كالحس بالجوع وغيره وقد ذكروا ان من اسبابه وجود المنى ومكثه فى مخازنه المنوية ولا ريب فى ان هذا الامر سبب معين على ذلك من حيث ان تطلب الجماع يقوى اذا ترك فعله زمنا طويلا اذ فى هذا الزمن تكون المادة المتغذية كثيرة جدا لكن ليس هذا سببا فريدا من حيث ان الزناة المنهمكين فيه لهم ميل عظيم للجماع بخلاف الرجال الاقوياء ذوى العفة فان هذا الميل يكون فيهم قليلا وهذا الحس يوجد ايضا فى النساء

لكن لا يوجد فيهن افراز منوى وكل من الافئدة فى الحقيقة له دخل فى مبادى هذه الوظيفة وتأثير المخيلة فى هذا الامر اوضح برهـان على ذلك ويوجد سوى ماذكر فى كل من هذين العضوين الاخيرين ميل له دخل فى تولد هذا الامر وفعل الرجال فى حال الجماع ان يدخل الرجل فى اعضاء تناسـل المرأة العضو المعد لقذف السائل العلوقى اعنى الاحليل وان يقذفوا هذا السائل فى مدة دخول هذا العضو لكن لاجل حصول هذا القصـد المزدوج ينبغى ان يكون الاحليل مكتسبا بسبب مايظهر فيه مما يسمى بالانتصاب تيبسا كافيا لادخاله وهذه الظاهرة تحصل للرجل اذا كان مشـتاقا للجماع بسبب هذا الحس الباطن فيندفع للاحليل مقـدار عظيم من الدم فعند ذلك تحصل احتقان حقيقى دموى فى النسيج القابل للانتصـاب وينبغى ان ينسب هذا الاحتقـان الى تهيج يحصل فى هذه الانسجة بسـبب ثوران شهوة الجماع فالقضيب يكتسب صلابة يتم دخوله فى القناة الفرجية والتنبه الذى يحصل له يسرى الى باقى الجهاز التناسلى من الرجل فعند ذلك يكثر افراز الانثيين كما يكثر افراز اللعاب من الغدد اللعابية عند المضغ ثم يجئ عند ذلك بكثرة الى المخـازن المنوية فتتنبه منه هذه المخازن ثم تنقبض وتدفعه بواسـطة القناة القاذفة له الى قناة البول فتتقلص هذه القناة بدورها و يحصل هذا الانقباض التشنجى للعضلات الوركية والشرجية فبمساعدة هذا القوى المحركة لبعضها ينقـذف المنى بعيـدا فى المهبل ووظيفة المرأة هذا الوقت اى وقت دخول الذكر فيها قاصرة بالكلية فان اعضاء تناسـلها تتهيأ تهيأ به يحصل دخول الاحليل فيها والمرأة تشارك الرجل فى ثوران الشهوة الملذة فيوجد فى بظرها وفرجها احتقان انتصابى بكيفية كالكيفية التى توجد فى الرجل وزيادة (فى كيفية المباضعة فى العروسين وادعاء الزوج بما هو غير لائق فى البكارة) البكارة هى حالة طبيعية تكون عليها اعضاء التناسل من الانثى التى لم تمارس الرجال وهى درة ثمينة يأمر بحفظها الشرف والفضيلة والديانة الى وقت التزوج خوفا من الشنعة والفضيحة ولها جملة دلائل تدل على عدم ازالتها باى سبب

كان

كان باطنيا اوظاهريا وهذه الدلائل وان لم تكن مطردة لاينبغى الجزم بعدم نفعها والدلائل المذكورة هى * اولاً كون حمرة الشفرين الكبيرين والصغيرين زاهية مع الثخن والكدونة * ثانياً كون كل من الشوكة اى الزاوية الخلفية لملتقى الشفرين الكبيرين وغشاء البكارة بحالة الصحة * ثالثاً عسر نفوذ الاصبع فى ثقب فوهة المهبل مع التألم * رابعاً وجود فوهة الرحم منقبضة بالكلية واوكان فى ثقب فوهة المهبل انفراج كبير * خامساً ما يقوى هذه الدلائل ويؤكدها من الامور التى تستنتج عن الاوصاف الجيدة للبنت ومن سلوكها وطبعها وحشمتها وغير ذلك * اما اذا راى الباحث عند بحثه خلاف ذلك بان رآى لون الاجزاء لاعضاء التناسل متغيرة ومسترخية واللحيمات الآسية والشوكة ملتحمة وظاهرة ظهورا غير بين ووجد المهبل مسترخيا والفوهة الرحمية منفرجة وقد يكون مع ذلك انفراج فى جزء من دائرتها ايضا خصوصا اذا انضم الى تغير هذه العلامات الطبيعية كلام يوقع فى الارتياب فى العروس فعلى الباحث حينئذ ان يقول بزوال البكارة وان العروس لم تكن الآن بكرا * واعلم يا بنى انه قد يتفق ان لا يكون للبكر غشاء بكارة فعدم وجود البكارة فى العروس لا يثبت ازالتها وان دلالة وجود اللحيمات الآسية على عدم البكارة غير مطرد فقد يتفق وجودها والعروس بكر وان وجود غشاء البكارة ليس كافيا فى اثبات ان العروس بكر فكل من الدلائل التى ذكرناها لا يكفى بانفراده فى تاكد الحكم بزوال البكارة بل لابد لذلك من وجود جميعها * وها هنا ابحاث الاول منها ان فوهة المهبل واسعة غير منتظمة فى النساء اللاتى ولدن اولادا وتكون اكثر استدارة مختلفة الاقطار ايضا فى المتزوجات اللاتى لم يلدن وتكون متضايقة بغشاء البكارة فى الابكار * وهذا ثنية من الغشاء المخاطى توجد دائما اذا لم تتلف بعارض فى البنات الصغار ويظهر انها توجد فى بعض الحيوانات كالنسانيس والدب والارنب وغير ذلك وربما وجد ايضا فى الزرافة والحمير والافراس ﴿ البحث الثانى فى شرح هذا الغشاء ﴾ هو شبيه بهلال حافته المقصرة الحادة ملتفتة الى الامام

فيوجد له حينئذ طرفان يمتدان احيانا الى محل اتصالهما بمجرى البول ليكونا صماما حلقيا عرضه يتناقص كلما قرب للصماخ البولى وهو يتصل بحافته المحدبة مع الغشاء المخاطى للمهبل والفرج ويمكن ان يضيق مدخل القناة الفرجية الرحمية بدرجات مختلفة بل قد يسدها بالكلية ودائرته دائما تضيق من الخلف الى الامام وقال بعضهم وقد وجد فيه الياف عضلية متصالبة كما فى الرحم فكان سميكا مرنا زائد النمو وفيه مقاومة واحيانا وجده رقيقا شفافا كغلالة سهلة التمزق والغالب انه يكون اسمك فى الزمن الاول للحياة منه فى بقية ازمنتها وشكله فى المولودين او لونه الوردى او رخاوته كالشفرين الصغيرين * وكانت العامة سابقا يعتبرونه كخاتم للبكارة بل كان كذلك عند جميع الناس فيحكمون على النساء الخاليات من ذلك بالذنب والفحش ويرتبون على ذلك احكاما وقصاصا مع انه توجد اسباب اخر غير الجماع تتلف هذا الغشاء فليس الجماع وحده هو المتلف له فقد شوهد تلفه اذا كان رقيقا عريضا من الحركات العنيفة ومن انبساط الرجلين و من تقيح فى الغشاء او تمزق اومن مجئ الطمث فاذا كان سميكا عضليا مرنا غير انه ضيق لم يتأثر من الجماع بل ربما بقى الى الولادة فان كان عريضا مقاوما وسادا للمهبل كلا او بعضا ربما منع سيلان الطمث وتسبب عن مسك الدم فى باطن المهبل والرحم عوارض ثقيلة * وذكر بعض الاطباء امثلة له من نساء فيهن تلك الهيئة ونتج منها الاعراض العامة للحمل ورجعت لهن صحتهن وحالتهن الاعتيادية بشق ذلك الغشاء فخرج الى الخارج الدم الذى كان ماسكا لتلك الاعضاء وقال بعضهم وقد شاهدت امرأة سنها ثنتان وعشرون سنة وغشاء بكارتها منعها من ان تجامع ورايت ايضا مثل ذلك فى امرأة سنها نحو اربعين سنة وجومعت زمنا طويلا من زوجها ولكن لم يحصل لها اولاد وكان غشاء بكارتها الباقية حلقية وكان زوجها يفضلها على جميع النساء ومع ذلك فالقاعدة العمومية ان غشاء البكارة يتمزق من اول جماع يحصل ويعقب ذلك التمزق الم تختلف شدته وسيلان دم قليل فى بعض الاحيان ومتى تمزق انقبضت

اهدابه ونشأ من ذلك حدبتان او اكثر تسمى بالحبمات الاسيه اوالوريقات
﴿ البحث الثالث ﴾ فى اصنافه اصناف هذا الغشاء ترجع الى ستة * اولا انه
حالة كونه نصف دائرة يمكن ان يكون ثنيته ضيقة صلبة بحيث يمكن الجماع
بدون ان تتمزق كما قلنا وهــذا النوع كثير الوجود * وثانيا انه اذا كان
هلاليا قرب كثيرا او قليلا لمجرى البول بحافته المقصــرة بحيث لايضيق
مدخل المهبل الا من الخلف فالجماع حينئذ يمزقه غالبا بل دائما * وثالثا انه قد
يكون دائرة حادتها السائبة ارق من الاخرى و يكون مشرفا وفيه فتحة تارة
تكون مستديرة وتارة يكون فيها بعض طول لكنه عموما يكون اقرب للجدار
المقدم من الجدار الخلفى * رابعا ان يكون على شكل قرص اوحجاب حاجز
تام مثقوب عادة بعــدد كثير من ثقوب صــغيرة و قد لايوجد فيه ثقوب
خامسا انه يدل ان يكون صماما بسيطا او دائرة يشاهد فيه شبه لجام او حبل
صغير مثبت تحت مجرى البول وعلى الحافة المقصرة للغشاء نفسه * وسادسا
يوجد احيانا غشــاء ثان فوق الاول ببعض خطوط وامثلة ذلك فى كتب
المؤلفين كثيرة ﴿ البحث الرابع ﴾ فى شقه اما شق هذا الغشاء اى البكارة
فيلزم للنساء اللاتى صرن حبالى مع بقاء هذا الغشاء ويعمل ذلك الشــق فى
مدة الحمل او زمن الطلق اوقد يشق ايضا قبل التزوج ليعطى منفذا لدم الطمث
و يكون ذلك الشق الزم كلما كانت اعانة هذا الغشــاء على ثقب العجان او
امساك الطمث اكثر وهو يعرض للالام اذا فعل لاجل الولادة و فى مدة الحيض
ولاحتباس البول وللالام مدة التبرز وتشنجات ومن حيث انه يعقب احيانا
عوارض ثقيلة بل الموت ايضا فى حالة احتباس الحيض كان الاحســن فعله
فى سن الطفولية لكن من الخطأ ان يقتصر فيه على شق بسيط كما اوصى به
بعضهم وانما يلزم ان يكون صليبيا حذرا من رجوعه لحالته الاولى كما شوهد
ذلك ثم يدخــل فى الجرح فتايل لتندمل كل شــقة على حدتها ﴿ البحث
الخامس ﴾ فى الزواج المنظور اليه بالنسبة لصحة المرأة الصبية البالغة بعد ان
تصل الى ذلك السن تدخل فى عمل جديد وحالة جديدة مخالفة بالكلية للحالة

التي كانت عليها الى الآن فالصفات التي تكتسبها حينئذ كما تقضي باستيفاء مراداتها تقضي لها ايضا بحقوق وتعلقات كانت في السير الطبيعي غريبة عنها بالكلية قبل هذا الزمن وتلك التعلقات معروفة عند جميع القبائل المتمدنة ولها شروط واحوال عندهم معظمها لا ينقض * وجميع ذلك يقوم منه ما يسمى بالزواج والبنت البالغة يا بنى ينبغي تعجيل زواجها ويختار لها من الازواج ما يوافق مزاجها وما يقاربها في صفاتها ولا ينبغي منعها من ذلك خوفا من اتلاف حياتها بسبب عدم قضاء اوطارها واستيفاء شهواتها وربما اصيبت بآفات تكون نتيجة ذلك كالصرع والاستريا والآفات المختلفة الجنونية والعصبية ومتى اصيبت بالفة بشيء من ذلك لم يتوقف في تزوجها وملوغ امنيتها من ذلك لان التأني في ذلك يحصل منه تقدم الداء فلا ينجح علاجه اذ ذاك وربما خشي منه حصول اخطار اعظم من ذلك بخلاف ما اذا شفي الغليل بالزواج فان المراة تستيقظ لحياتها وتوعى لتمدنها وتتلطف في مسامراتها في المجامع والمحافل لاسيما عمل الاعتناء او السحاق المسمى بالعتابات الموقعات في تسوس العظام او الزبول او امراض القلب فان كان هناك موانع شديدة لعدم تزوجها لزم لها مراعاة الوسائط المضادة لذلك وذلك بان تؤمر بشروب البشنين والاسفار الطويلة وركوب الخيل والرياضة الممكنة لها وسكنى الارياف واستنشاق الاهوية النقية والنسمات اللطيفة في الخلا والاطلاق فان ذلك احسن لها من اهوية المدن لانها غير نقية ولاسيما اضطراب الناس فيها ولغطهم في الطرق وحركاتهم المختلفة فانها تثبت تخيلات المراة وتعين على زيادة تولعها عكس السكون والراحة في الارياف

في بيان السن المناسب للزواج واما السن المناسب لزواج البنت فلم تنظر اهلها وشرطه الصحي ان تكون مطيعة لزوجها فلا يليق تزويج بنت ست سنوات مثلا لبالغ كبير وانما لابد وان يكون مناسبة في السن واطاقة الوطئ بين الزوجين فليس البلوغ شرطا لذلك * وهناك موانع تمنع تزويج البنت كعيوب التكون المانعة للوطئ سواء في الحوض او اعضاء التناسل ولا تنسى

زيادة

زيادة تقوس السلسة الفقارية وكذا عدم انتظام الاضلاع لان ذلك يحدث في جانب المراة تشوها غير طبيعي ومثل ذلك انضغاط الفخذين ببعضهما او بقاء اثر من داء السلسله اي لين العظام كتقوس العظام الطويلة وزيادة غواطرافها زيادة فاحشة او تقوس القصر * ومع ذلك كثيرا مايشاهد من المشوهات التكون تشوها فاحشا جودة حوضهن بحيث يكون مع غاية السهولة وبنظير ذلك هناك نسا يظهر من حالهن الظاهر جودة تركيب حوضهن ومع ذلك تتعسر ولادتهن وما ذاك الا من عيب من عيوب التكون في باطنهن صير اول ولادة لهن عسرة جدا ولكن الغالب ان جودة التركيب الظاهر تدل على جودة التركيب الباطن ووجود صفات عيب التكوين الظاهر تدل على نظيره من الباطن * نهاية ماتقول هنا يا بني لاتزوج المراة الا اذا كان حوضها جيد التكون بحيث تحصل ولادتها من غير خطر عليها ولا على الطفل * واما الامراض التي تمنع التزوج فلا يمكن بالضبط حصرها في عدد وانما تكون بالنظر لذلك على حسب طبيعة اسبابها ومضاعفاتها وشدتها فان منعها مايؤثر الزواج غالبا في سيره وانتهائه تأثيرا مضرا بحيث يعدمن الاسباب الموجبة للعزوبة وذلك كالالتهابات العميقة في اعضاء التنفس وكالاستعداد الواضح لانوريسما القلب والجذوع الرئيسة وكبعض تغيرات في عضو التعقل كالصرع والمانيا والسبات ونحو ذلك وكالافات العضوية في اعضاء التناسل ففي الحالتين الاوليتين يؤثر الجماع في سير الداء بتنبيه المجموع الدوري واما الصرع والسبات والمانيا والتنبه المخي الشديد المتكرر في الرحم فانه يزيدها وينهيها انتهاء محزنا فيلزم ان تجعل تلك الامراض من الاسباب المانعة للتزوج واما افات الاعضاء التي تساعد على اتمام وظيفة التناسل فيلزم جعلها اسبابا مانعة للتزوج ان يكون لها تأثير مضر في الحمل الولادة ﴿ في انتقال البنت ﴾ من حالة الى حالة اخرى و الوسائط المعينة عليه من المعلوم يا بني ان زواج البنت ينقلها من حالة الى حالة جديدة فبزوال بكارتها تحول من ديوان البنات الى ديوان النساء كما تدوع حالة الزوجين

الى تنوع عظيم الاهتمام غير شفائهما من آفات كثيرة واستعدادات مرضية فقضاء اوطار لذات الجماع يزيد فى المجموع الدورى الدموى فتصير العضلات زائدة القوة وتقل كمية السائل الابيض اللينفاوى وبالجملة فالزاج الدموى الذى تتكيف به النساء حينئذ يزيل سلطنة المجموع الاينفاوى واذا قضيت تلك الاوطار الشهوانية بلطف وتدبير كانت نافعة لصاحبات المزاج الخنازيرى وتعطى للقوى العقلية هيئة جديدة فيتبدل حياء البنت وخجلها باطمئنان وامان وتحسن سيرها وسلوكها وتتلطف مسامراتها ولا يخفى ماينتج من ذلك الاجتماع من حفظ توالد النوع وبقاء النسل وحفظ الزوجين من الزنا الناتج عنه المرض الزهرى اى الافرنجى * وافراط الجماع يابنى يسبب فى المرأة امراضا كثيرة فقد يحصل منه تهيجات فى الاسطحة التناسلية الباطنة تصير مزمنة فتسبب انحراما فى انتظام الحيض وسيلانا مصليا وذلك يؤثر على المعدة تأثيرا اشتراكيا فيكدر وظائفها وكثيرا مايتوجه تأثر هذه الالتهابات الى الرحم فتنتهى غالبا بتقرح هذا العضو وربما وصل تأثيرها للثديين بحيث تغير منسوجهما ببطء ويحصل من ذلك مايسمى بسرطان الثدى وقد يحصل من استدامة تنبه المخ على الدوام زيادة هذا التنبه فربما نشأ من ذلك شبق اى غلمة واستيريا وتكدر هذا العضو اى المخ يصحبه غالبا التغير فى القوى العقلية وحالة سبات وفى بعض الاحوال صرع حقيقى وقد يعرض احيانا شلل واحوال تشنجية تتثبت فيما بعد يقينا فى الجهاز العقلى واما الاعضاء التى قد تصاب على سبيل التبع فمن المحقق ان اللواتى معهن استعداد لمرض من الامراض ينمو فيهن هذا المرض بسرعة غريبة فلذلك تظهر آفات الصدر فى اللواتى معهن تهيجات فى الرئتين وكذلك القلب المعرض دائما لتأثير سبب سيرلوظائفه فانه يلتهب ويضخم وينتج من تأثير هذا السبب نفسه الانيوريسما اوالسكتة * فنتج من ذلك كله ان جميع التهيجات ينقل سيرها من تأثير الجماع حتى ان جميع الاشخاص سواء كانت بنيتهم جيدة اورديئة يلزمهم فى حالة المرض ان يمتنعوا عن الجماع لانهم قد يعتريهم من ذلك

المواد وتضاعف بل وموت فجائي في بعض الاحوال * فان قلت يا بني انك قد شرحت لي في كيفية غشاء البكارة ووجوده وعدم وجوده وقد تكلمت ايضا على الجماع القهري وما وضحته * قلت لك كل من الدلائل التي ذكرناها لا يكفي بانفراده في تاكد الحكم بزوال البكارة بل لابد لذلك من وجود جميعها ولا بد في كون ما يستنتج من البحث بالعلامات المذكورة اكيدا ان يكون ذلك البحث في شابات كاملات الصحة لان سن العشرين او الخمس والعشرين تكون فيه هذه الدلائل شبيهة بدلائل زوال البكارة ثم لا تزال تأخذ في زيادة هذه المشابهة الى آخر العمر ولما كانت الكشوف على مثل هذه الامور محتاجة لاستعمال النظر والجس كان الواجب ان يكون مع الحشمة واللطف واحتراس الباحث من ان يحدث عيبا يمكنه ادعاء انه وجده واما ازالة البكارة والوطئ كرها فنتكلم عليهما فنقول قهر البكر على الوطئ يسمى ازالة البكارة وقهر الثيب الممارسة للرجال عليه يسمى بالوطئ القهري وكلاهما معتبر عند جميع الشرائع من الجناية فالعلامات الموضحية الدالة على قهر البكر في ازالة بكارتها سواء كانت مدركة للوطئ او لم تكن مدركة له اذا كان ذلك مستجدا ان يرى غشاء البكارة متمزقا واجزاؤه الممزقة دامية وكل من الشفرين الكبيرين والشفرين الصغيرين والبظر مرضوض وملتهب وزائد في الاحمرار مع الالم وسيلان الدم من هذه الاجزاء والوطئ القهري لغير البكر لا تحدث عنه مثل هذه الدلائل لان الثيب خصوصا التي سبق لها ولادة لا يحصل لها من الوطئ القهري شئ من ذلك فان اعضاء التناسل فيها مسترخية طبيعة وقد يتفق ان البكر تزول بكارتها بالوطئ القهري ولا توجد فيها العلامات المذكوره ولو كانت ازالة البكارة قريبة من زمن الكشف عليها كما في الابكار المصابات بصفرة الوجه وبالسيلان الابيض فهؤلاء لا يظهر في اجزائهن التناسلية شئ مثبت لازالة البكارة اذ الفرج والمهبل منهن مسترخي لا مقاومة فيه * ودلائل زوال البكارة تمحى سريعا اذا لم يكن في الاجزاء المذكورة مقاومة عظيمة جدا

وحينئذ فينبغى فى الكشف ان يكون بعد زمن قريب لانه اذا مضى اكثر من ثلاثة ايام من الوطىء لم يبق فى الاجزاء التناسلية دليل اصلا * ثم من بعد ثبوت زوال البكارة لابد من البحث عن انها حصلت بارادة خفية بين الشخصين او قهرا او حصلت بنفوذ جسم غريب غير القضيب فى المهبل فاذا كان البحث فى الاعضاء التناسلية عقب الوطىء بسرعة شوهد فيها حينئذ رض وانهتاك وتغير شديد واسترخاء لكن هذا لا يدل على طبيعة الجسم المنفذ فى المهبل فلا يدل على كون البكارة زالت بالوطىء القهرى او بغيره فان كان القهر والتهديد حصلا لازالة البكارة كان كل من التمزق والرض والالتهاب اوضح من السابق لان مفاعلة الرجل قوية ومقاومة اجزاء التناسل حينئذ عظيمة ومقتضى المفاعلة السابقة على الوطىء ان الرض لا يوجد خلف البظر والشفرين الكبيرين والصغيرين وجهة الصماخ البولى بل ايضا فى الافخاذ والذراعين والثديين و بعض جهات من البدن * هذا كله مما يدل على ان ازالة البكارة قهرا نعم ان كانت الموطوءة فى حالة اغماء او كانت ضعيفة القوة او صغيرة السن فلا يوجد بعض هذه الرضوض لانه يسهل التسلطن عليها حينئذ ونفوذ الاجسام الغريبة فى المهبل بالارادة يمكن ان تتولد منه نتائج تشبه النتائج الحاصلة من نفوذ القضيب فيه كما يحصل فى استمنائهن بالاصابع ولا يقع ذلك من الابكار فقط بل من الثيبات مزقن الاجزاء التناسلية بانفسهن واتهمن بذلك بعض رجال قاصدين بذلك فعل المكايد معهم * والدلائل الطبيعية على ذلك لا تختلف عن التى ذكرناها فالذى يهتدى به الباحث حينئذ سلوك المرأة وخصالها الجيدة ولا بد فى بحث الباحث عن الوطىء القهرى من ان يتأمل بين قوتى المشتكى والمتهم اذ من المعلوم ان الرجل لا يمكن ان يقبل امرأة اقوى منه بدون ارادتها من غير ان يوجد فى الرجل والمرأة امارات التعاصى والمفاعلة * قال بعضهم دعيت لمحاكمة بنت باكر فلما عينت اعضاء التناسل فوجدتها ذات رضوض واكدام وغشاء البكارة زائل و بعض الاعضاء

دامية

دامية فوقفت على وريقات البكارة فوجدت اللحيمات الاسية لها زمن فسألت من المصابة فادعت انه اخذها غصبا وفعل بها هذه الرضوض والاكدام من الممانعة فقلت لها هل هذه الممانعة واقفا على الارض او انتما واقفان فقالت نعم ونحن منتصبان قلت لها انت طويلة وهو قصير ومن هذا لايطولك من هذا الامر فقالت انا التى انحنيت له فقلت للحاكم اشهد ان هذا الامر برضاها والرضوض والاكدام مفتعلة * ثم انه كثيرا ماشوهد حصول الداء الافرنجى عقب الوطء القهرى ممن يكون مصابا به ولكون ذلك مما يثقل الجناية على فاعله ينبغى للباحث التفطن والاحتراس فى الحكم فاذا وجد فى الكشف على المراة بعد زمن قريب من الوطء اعراضا افرنجية فلا يستنتج من ذلك شيأ يقوى كلام المراة المشتكية لان اعراض هذا الداء لاتظهر فى العادة الا بعد مدة ايام وحينئذ فلا يثبت انه من الواطئ قهرا وينبغى لاثبات كونه منه ان تكون الاعراض الموضعية الاولية مدركة باوصافها الموضحة للداء بعد الوقت المناسب لظهورها ولا بد فى ذلك ايضا من ان يكون قد ثبت فيما قبل وجود الداء الافرنجى فى الرجل المذكور وقد يتفق ان يحصل الوطء القهرى لبكر او ثيب بدون ان تشعر به وذلك بان يفعل بها بعد تخديرها او اسكارها بجواهر مدهشة او مشروبات روحية شديدة لا تعلمها او وهى فى حالة بهالة شديدة والذى يدل الباحث على هذه الامور صحة ذلك ان يجد فى حال الكشف بقعا من المنى ظاهرة على الملابس المماسة لاعضاء التناسل من الرجل او المراة سيما اذا كانت تلك البقع فى ثياب المراة * وهل الوطء القهرى يحصل منه حبل اولا جوابه نعم فان المشاهدة تثبت انه لاضرورة لتوقف العلوق على ظهور اللذة فانا نجد النساء اللواتى عندهن شبق وميل زائد للوطء اقل قابلية للعلوق من اللواتى لسن كذلك وحينئذ فلا شك ان الموطوءة قهرا يمكن ان تحبل كما يمكن ان لاتحبل فحبلها لايستنتج منه حصول الوطء قهرا ولا انها اشتركت مع الوطء فى اللذة حتى يكون ذلك بارادتها والله سبحانه وتعالى

اعلم (فى بيان احوال المراة الغير القابلة للعلوق) هناك يا بنى احوال تكون المراة غير قابلة للعلوق ولا يمكن ان تقبله واحوال اخر تقبل فيها العلوق لكن قبولا رديئا فالاولى العقم والثانية العقر وهناك فرق بين العقر والعقم فى المراة فالعقم بالميم هو اى عيب كان فى اعضاء التناسل يصير الجماع المولد غير ممكن بان يعارض ادخال القضيب او يصير مانعا للحمل واما العقر بالراء فهو استعداد مخصوص فى المراة يمنع العلوق و يصير الجماع عديم الثمرة فنتج من ذلك على حسب اصطلاح الاطباء ان المراة قد تكون عقيمة بدون ان تكون عاقرا * واسباب العقم هى ماينسب لعيوب تكون الفرج والمهبل والرحم * والعقر اى عدم امكان العلوق يكون فى الغالب غير معروف السبب واحيانا يظهر انه ناشئ من بعض احوال مرضية او استعداد مخصوص فى بنية المراة ويمكن بالعلامات المصاحبة له ان يعتبر تابعا لآفة اخرى فهذه العقر والعقم فى المراة اجمالا * واما توضيح العقم فقد ذكرته فى كتاب كشف الاسرار النورانية فارجع اليه يا بنى ان شئت * واما العقر فله اسباب اخرى ناشئة من استعداد مخصوص اما فى المجموع العصبى عموما او فى المجموع العصبى لاعضاء التناسل فقط وحواسنا لاتشاهد اثر هذا الاستعداد وتلك الاسباب منها مايتعلق بالذكور ومنها مايتعلق بالاناث فما يتعلق بالرجل فلاحاجة لنا بالتعرض له * واما مايتعلق بالمراة فيعسر جدا معرفته نظير مايعلم فيها من انها قد تعلق مع بعدها عن الجماع بالكلية واعلم ان النساء السمان جدا يعسر علوقهن كما ان السمين من الرجال يكون اقل قبولا للتوليد من غيره * ويظهر ان العقر ينشأ فى بعض الاحوال من عدم توافق مزاج الزوجين فان المراة التى لم تر اولادا من زوج قد تفارقه وتتزوج بغيره فتحمل منه والعقر فى الصغار المتزوجات قد ينشأ من انهماكهن فى مثل هذا السن على الجماع انهماكا زائد الحد كثير العدد ومثل ذلك النساء ذوات المزاج الحار فالعقر فى هذه الحالة يظهر انه ناشئ من افراط فعل الرحم او من حالة تشنج دائم يعارض العلوق فلاجل علاج هذا السبب ينبغى ان

يوصى بتلطيف الشهوات العشقية والاستحمامات الكاملة والتصفيه والمشروبات المحمضة والمستحلبات ونحو ذلك من المشروبات المعدلة وليكن التدبير الغذائى لهذه المرأة ملطفا ولتترك الرقص والتفرج على الملاهى ومطالعة الكتب العشقية التى تثير فكرتها وتولد شهوتها وتؤمر بالسكنى بالارياف لتبعد عن الاعتيادات الكثيرة التى توجد فى المدن وتضر النساء ذوات هذا المزاج والنساء المصابات بالالتهابات تكون فى الغالب عاقرات ففى بعضهن قد ينشاء العقر من ضعف الرحم وفى اخريات من عدم استلذاذهن بالجماع وفى هذه الحالة يناسب اعطاؤهن الجرجير ونحوه من الجواهر التى قالوا ان من خواصها تقوية الباءة ومن الوسائط المخصوصة ايضا بتقوية شهواتهن الاسفار والبعد عن الزواج وصاحبات هذه المزاج يؤمرن ايضا بالجماع فى وقت اندفاع الطمث او بعده حالا لان الرحم فى هذا الزمن متمتعة بقوة الفعل * فان قلت ان اهل الشرائع هل ذكروا فى ذلك امورا ام لا * قلت لك يا بنى هو مذكور فى قول الله تعالى (قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى) الآية وفى هذه الآية مسائل (المسألة الاولى) فى اللغة الوهن ضعف القوة وهذا الوهن يبدأ حين ينتهى من الشبيبة وسن الفتوة وهما سن القوة فى الرجال وكلما زاد عن ذلك قرب من سن الوهن وهو الشيخوخة وصار عرضة لامراضها قال فى الكشاف شبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانارته وانتشاره فى الشعر فشبهه فيه واخذه كل مأخذ كاشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضفه للرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا عليه السلام فمن ثم فصحت هذه الجملة * واما الدعاء فطلب الفعل ومقابله الاجابة كما ان مقابل الامر الطاعة * واما اصل التركيب فى وليا فيدل على معنى القرب والدنو يقال وليته واليه وليا اى دنوته واوليته ادنيته منه وتباعد ما بعده وولى * ومنه قول ساعدة * وعدت عوادد ون وليك تشعب

وكل مما يليك وجلست مما يليه ومنه الولى وهو المطر الذى يلى والوسمى والولية البرذعة لانها تلى ظهر الدابة وولى اليتيم والقتيل وولى البلد لان من تولى امرا فقد قرب منه وقوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) من قولهم ولاه ركته اى جعله مما يليه واما ولى عنى اذا ادبر فهو من باب تثقيل الحشو للسلب وقولهم فلان اولى من فلان اى احق افعل تفضيل من الوالى او الولى كالدنى والاقرب من الدانى والقريب وفيه معنى القرب ايضا لان من كان احق بالشىء كان اقرب اليه والمولى اسم لموضع الولى كالمرمى والمبنى اسم لموضع الرمى والبناء * واما العاقر فهى التى لاتلد والعقر فى اللغة الجرح ومنه اخذ العاقر لانه نقص اصل الخلقة وعقرت الفرس بالسيف اذا ضربت قوائمه والعقر غير العقم فالعقر فى النساء منسوب لاستعداد مخصوص خفى فى الاعضاء الباطنة * واما العقم فى النساء فله اسباب طبيعية محسوسة مانعة من نكاح المراة * اولا فقد قناة القرح الموصلة للرحم * ثانيا انسداد فوهته المسمى بالرتق اذا لم يمكن ازالته * ثالثا عدم وجود الرحم * واما الآل فهم خاصة الرجل الذى يؤول امرهم اليه ثم قد يؤل امرهم اليه للقرابة تارة وللصحبة اخرى كآل فرعون وللموافقة فى الدين كآل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم * واعلم يابنى ان زكريا عليه الصلوة والسلام قدم على السؤال امورا ثلاثة * احدها كونه ضعيفا * والثانى ان الله تعالى ما رد دعاءه البتة * والثالث كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة فى الدين ثم بعد تقريره هذه الامور الثلاثة صرح بالسؤال * اما الاول وهو كونه ضعيفا فاثر الضعف اما ان يظهر فى الاعضاء الباطنة اوفى الاعضاء الظاهرة والضعف الذى يظهر فى الاعضاء الباطنة يكون اقوى مما يظهر فى الاعضاء الظاهرة فلهذا السبب ابتدا ببيان الضعف الذى فى الباطن وهو قوله (وهن العظم منى) اى قد وصلت للضعف العمومى وذلك يشاهد فى الشيوخ بسبب تقدم السن فانه يضعف ضعفا تدريجيا وان جميع الوظائف تفقد قوتها بالتدريج وطوايها تكل والقوى العقلية منها تضعف والحركات تتباطأ شيأ فشيأ والهضم يتراخى

والشهوة تزول والعضلات العاصرة تسترخي وانتصاب القضيب متعذر ممتنع الباه وعدم افراز المني من الانثيين وهذه الاعضاء الرخوة خص الله تعالى بها تجاويف في العظم فلهذا السبب ابتدأ ببيان الضعف الذي في الباطن وهو قوله (وهن العظم مني) وتقريره هو ان العظام دعائم البدن اعني ان العظام اصلب الاعضاء التي في البدن وجعلت كذلك لمنفعتين * احداهما لان تكون اساسا وعمدا يعتمد عليها سائر الاعضاء الاخر فاذا كانت الاعضاء كلها موضوعة على العظام والحامل يجب ان يكون اقوى من المحمول * والثانية انه احتيج اليها في بعض المواضع لان تكون جنة يقوى بها ما سواها من الاعضاء بمنزلة الجمجمة المشتملة على المخ وعظام الصدر المركب من السلسلة الفقارية والاضلاع والقص المشتمل على الرئتين والقلب والقطن المركب من الحرقفتين والعجز والذنب المشتمل على اعضاء التناسل والامعاء وما كان كذلك فيجب ان يكون صلبا ليكون صبورا على ملاقات بعيدا من القبول لها * اذا ثبت هذا يا بني فنقول العظم اصلب الاعضاء فمتى وصل الامر الى ضعفها كان ضعف ما عداها مع رخاوتها اولى ولان العظم اذا كان حاملا لسائر الاعضاء كان تطرق الضعف الى الحامل موجبا لتطرقه الى المحمول فلهذا السبب خص العظم بالوهن من بين سائر الاعضاء * واما اثر الضعف في الظاهر فذلك استيلاء الشيب على الراس وتناقص الاشتياق للنكاح وغيوبته وفقده بالكلية وهو ناشئ من ضعف الاحساسات ضعفا طبيعيا * فثبت ان هذا الكلام يدل على استيلاء الضعف الطبيعي على الباطن والظاهر معا وذلك مما يزيد في الدعاء تاكيدا لما فيه من الارتكان على حول الله تعالى وقوته والتبري من الاسباب الظاهرة * الثاني انه ما كان مردود الدعاء البتة ووجه التوسل به من وجهين * احدهما ماروى ان محتاجا سال واحدا من الاكابر وقال انا الذي احسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا ثم قضى حاجته وذلك انه اذا قبله اولا فلو انه رده ثانيا لكان الرد محبطا للانعام الاول والمنعم لايسعى في احباط انعامه * والثاني وهو ان

مخالفة العادة شاقة على النفس فاذا تعود الانسان اجابة الدعاء انسر فلو صار مردودا بعد ذلك لكان في غاية المشقة ولان الجفاء ممن توقع منه الانعام يكون اشق فقال زكريا عليه السلام انك مارددتني في اول الامر مع اني ماتعودت اطفك وكنت قوي البدن قوي القلب فلو رددتني الان بعد ماعودتني القبول مع نهاية ضعفي لكان ذلك بالغا الى الغاية القصوى في الم القلب * واعلم يا بني ان العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وسقي بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك اي بدعائي اياك فان الفعل قد يضاف الى الفاعل تارة والى المفعول اخرى * الثالث بيان كون المطلوب منتفعا به في الدين وهو قوله (واني خفت الموالي من ورائي) وفيه ابحاث الاول المختار ان المراد من الموالي الذين يخلفون بعده اما في السياسة اوفي المال الذي كان له اوفي القيام في امر الدين فقد كانت العادة جارية ان كل من كان الى صاحب الشرع اقرب فانه كان متعينا في الحياة * الثاني اختلفوا في خوفه من الموالي فقال بعضهم خافهم على افساد الدين وقال بعضهم بل خاف ان ينتهي امره اليهم بعد موته في مال وغيره مع انه عرف من حالهم قصورهم في العلم والقدرة عن القيام بذلك المنصب * وفيه قول ثالث وهو انه يحتمل ان يكون الله تعالى قد اعلمه انه لم يبق من انبياء بني اسرائيل نبي له اب الا واحدا فخاف ان يكون ذلك من بني عمه اذ لم يكن له ولد فسأل الله تعالى ان يهب له ولدا يكون هو ذلك النبي وذلك يقتضي ان يكون خائفا من امر يهتم بمثله الانبياء وان يدل على تفصيل ذلك ولا يمتنع ان زكريا عليه السلام كان اليه مع النبوة السياسة من جهة الملك وما يتصل بالامامة فخاف منهم بعده على احدهما اوكليهما اما قوله (واني خفت) فهو وان خرج على لفظ الماضي لكنه يفيد انه في المستقبل ايضا كذلك يقول الرجل قد خفت ان يكون كذا وخشيت ان يكون كذا اي انا خائف لا يريد انه قد زال الخوف عنه وهكذا قوله (وكانت امرأتي عاقرا) اي انها عاقر في الحال وذلك لان العاقر لا تحول ولودا في العادة

في بيان

(فى بيان الاسباب المبطلة للزواج) لما كانت غاية الزواج فى جميع الامكنة والازمنة هى التوالد كان فى اغلب الشرائع قوانين غايتها ابطال الزواج وفسخه اذا لم يكن فى احد الزوجين القوة الكاملة الكافية للتناسل والاسباب المبطلة للزواج عدم اطلاق التصرف الارادى وعدم وجود قوة التوالد والخنوثة اما عدم اطلاق التصرف الارادى فيكون فى شخص مجنون او اهبل او فيه مرض من امراض المخ او فى حالة اغماء اوسكر او غير ذلك فان ارادته فى ذلك الوقت غير مقبولة فاذا تزوج شخص وهو فى هذه العلل كان الزواج فاسدا واما عدم قوة التوالد فمعناه عدم امكان التوالد فى الرجل او المراة بسبب عيب فى اعضاء التناسل اوغيرها وهذه الاسباب توجد فى الرجل * اما المرأة فمن الاسباب الظاهرة فى الرجل المانعة له عن التوالد * اولا عـدم وجود القضيب خلقة او لعارض او جزء منه كاف لنفوذه فى اقرب الاجزاء الظاهرة من اعضاء التناسـل للمراة * ثانيا عدم وجود الخصيتين ولو لم يمتنع ذلك من انتصاب القضيب لانه سبب لعدم التوالد مطلقا نعم ينبغى ان لايعتبر عدم وجودهما فى الصـفن دليلا على عدم وجودهما بالكلية لانهما قد يكونان مخفيتين فى البطن السفلى خلف الحلقة الاربية ولا يسقطان فى الصفن الا بعد زمن طويل * فاذن ينبغى تمييز الاحوال التى تكون الخصيتان فيها فى الحلقة الاربية عن الاحوال التى لم يكن لهما فيها وجود اصـلا * ثالثا الفتق ولا يكون سـببا لعدم القدرة على التوالد مطلقا الا اذا كان حجمه كبيرا بحيث يخفى القضـيب ويمنع الوطئ وكذا يقال فى القيلة اللحمية وغيرها من امراض الصفن رابعا عدم وجود فتحة مجرى البول فى الكمرة بل تكون موجودة فى محل غيرها لكن لاتكون سـببا لعدم القدرة على التوالد مطلقا الا اذا كانت فى محل لايمكن وقوع السيال المنوى منها فى المهبل * هذه هى الاسـباب الظاهرة فى عدم القدرة على التوالد فى الرجل والقاعدة العمومية ان عدم قدرة الرجل على التوالد حاصلة بالاكثر من اسباب قائمة به لامن عدم اتمام

الوطئ على ماينبغى * ومن الاسباب المانعة من نكاح المراة * اولا فقد المهبل * ثانيا انسداد فوهته المسمى بالرتق اذا لم تمكن مداواته بالوسائط الجراحية * ثالثا سقوط المهبل اوانقلابه وحده اومع الرحم فاذا لم يمكن معالجة ذلك كان سببا لعدم التناكح وكذا الفتق القديم الذى لايمكن رده اذاكان مانعا من الوطئ * رابعا قروح الرحم التسرطنة او المهبل وهذا الداء يزيد من الوطئ ويمنع النكاح * وهناك يا بنى اسباب طبيعية غير هذه لكنها غير ظاهرة فهى اسباب لمظنة عدم العلوق وهى وان لم تكن ظاهرة لكن يمكن ان يحكم بوجودها على وجه الجزم بها فنها عدم وجود الرحم او وجود حالة مرضية فى جسمه او فى المبيض او غيرهما واذا ادعى الرجل انه لم تكن فيه قوة التوالد وقت علوق زوجته بسبب مرض كان قائما به ثم زال فلا بد من اثبات ذلك بكلام الاطباء الذين عالجوه وقت وجودهذا الداء فيه (فى بيان الخنوثة) اما الخنوثة فهى اجتماع اعضاء التناسل الذكر والانثى فى الجسم النامى مع وجود الجماع والتوالد فيه بدون واسطة جسم آخر من نوعه وهى كالمختصة بالنباتات ويوجد فى بعض الاجسام التى من رتبة الزووفيت اى النبات الحيوانى كالاسفنج والمرجان وفى بعض الحيوانات التى ليس لها سلسلة فقارية ولا مفاصل كالقوقع ولا توجد الخنوثة الحقيقية فى البشر ولا فى الحيوانات ذوات الدم الاحمر لانه لم يشاهد من البشر خنثى بهذا المعنى بل لفظ الخنوثة يستعمل فى البشر لبعض عيوب فى بنية اعضاء التناسل للرجل او المراة يتراءى من تلك العيوب ان الذى هى فيه موجودة فيه اعضاء التناسل المختصة بالآخر والخنوثة توجب القاضى لان يدعو اهل الخبرة ليحكم بها فى حالتين * الاولى ما اذا اريد اثبات الحالة الجنسية لشخص فى بنية اعضائه التناسلية عيب من عيوب الخنوثة * الثانية ما اذا اراد شخص فيه عيب مثل هذا ان يتزوج واحتيج لان يحكم عليه بان فيه قوة التوالد (فى بيان انواع الخنوثة) انواع الخنوثة يا بنى ثلاثة لان الرجل قد يكون فى بنية اعضاء تناسله

عيوب يتراءى منها خنوثته وكذا المراة تكون فى بنية اعضاء تناسلها عيوب يتراءى منها خنوثتها فالحالة الاولى تسمى خنوثة غير حقيقية فى الرجل والحالة الثانية تسمى خنوثة غير حقيقية فى المراة وقد يتفق ان بعض الاشخاص لايتضح كونه ذكرا او انثى وتسمى هذه الحالة بالخنوثة الخالية اى المشكله فخنوثة الرجل تكون حاصلة من فقد الخصيتين والتصاق الصفن بالعجان ووجود فرجة بالعضرط اوعيوب فى بنية القضيب ككونه مصمتا وفتحة مجرى البول فى غير الكمرة واتصلت بالمستقيم او بالصفن اذا كان مع ذلك سحنة الانوثة او ميل البنية اليها موجودا وخنوثة المرأة تكون اكثر حصولها من كبر البظر كبرا زائدا وهذا الامر النادر يكون فى البقاع الحارة اكثر منه فى البلاد الباردة وقد يكون حصولها من سقوط الرحم فقد شوهد بروزه خارج المهبل اى فوهة الفرج وبعض اطباء لم ينتبهوا انتباها كليا والخنوثة المشكلة تكون حاصلة من وجود آلة الرجال اوآلة النساء فى شخص مع عدم اتضاحها اومن وجود الآلتين فيه مع اتضاح واحدة منهما والوسائط المبينة للخنوثة الغير الحقيقية فى الذكر والانثى هى * اولا البحث فى الاجزاء الظاهرة لاعضاء التناسل مع غاية الانتباه بان تجس الفتحات الموجودة فيها بمجس ليعرف مقدار امتدادها واتجاهها لكن مع اللطف والمحاذرة عن احداث الم ماامكن ثانيا الفحص فى جميع سطح البدن ليعرف ما المتسلطن على بنيته ان كان من الاوصاف المخصصة بالذكورة اوالانوثة وايضا من الضرورى فى ذلك ان يبحث عما يميل اليه الشخص المراد اثبات ذكورته او انوثته من الاخلاق والعادات والصوت وغير ذلك * ثالثا البحث فى حالة الاشتباه فى اعضاء التناسل عن اى فتحة يسيل منها الدم فى ادوار مخصوصة فان ذلك كاف فى اثبات الانوثة * رابعا بحث الطبيب فيما يقول له الخنثى جوابا لما يسأله عنه لانه ربما كانت لهم اغراض تحملهم على ان يقولوا بخلاف الواقع ثم انه لايكفى من الطبيب الحكمى فى الخنوثة الغير الحقيقية فى الرجل ان

يثبت كونه ذكرا فقط بل ينبغي ان يحكم بكونه قادرا على الزواج ايضا فان الخنثى اذا كان له قضيب فيه ثقب وكان فيه قوة افراز السيال المنوى على ماينبغي واندفاعه كان قادرا على التوالد وان لم تكن خصيتاه موجودتين فى الظاهر بل ولو كان الصفن منقسما الى قصين بينهما انفراج يشبه الشفرين العظيمين وقصر القضيب قصرا زائدا لايكون سببا كافيا للحكم بكون الشخص غير قادر على التوالد حيث كان هذا العضو غير ملتصق فى جميع طوله بالصفن ويمكنه الانتصاب * ومن الظواهر العمومية الدالة على ان الخنثى رجل غير ماسبق من اثبات القدرة على التوالد الصوت واللحية وغيرهما * والخنوثة فى المراة لايكتفى الطبيب فيها بالبحث عن كون اجزائها التناسلية بالحالة اللائقة بالتاكد بل ينبغي ان يعرف ان كانت جميع وظائف الحبل والولادة فيها ممكنة اولا * واما الخنوثة المشكلة اى التى لم تكن فيها اعضاء التناسل لاحد الفريقين موجودة او متميزة او كانتا موجودتين لكن وقع فيهما اختلاط فى البنية فلا شك ان الذين فيهم هذه الخنوثة غير قادرين على التوالد * فيابنى اراك متنكرا من قولى لك ان بعض ذوى الخنوثة ينكرون اشياء تكون فيهم لاجل اغراضهم وميلهم لاشياء يحبونها قلت لك ايضا ان بعضا من الصبيان او النساء او الرجال الذين يكون لهم اغراض يصورون بعض امراض يفعلونها وهى قسمان امراض منكرة وامراض مكذوبة (فى بيان الامراض المنكرة) هى امراض حقيقية موجودة وانما تنكرها اصحابها بوجه المحاولة (والامراض المفتعلة) امراض يدعى اصحابها وجودها فيهم كذبا (والامراض المتهم) بها امراض يدعى بعض الناس وجودها فى بعض اشخاص ويزعم انها موجودة فيه لغرض ما * والرئيس من الاسباب الموجبة لانكار الامراض كون المرض يزرى بشرف الشخص او بمقامه ومروته او باستحيائه او بفائدته الدنيوية وهذا الاخير لا شك فى وجوده اكثر من غيره والامراض المنكرة هى الداء الافرنجى بانواعه والجرب والحزاز والقراع والصرع وبعض

آفات

آفات البدن الطبيعية وان لم تكن امراضا كالحدبة ونحوها والحيض والحبل والاجهاض والطاعون والتيفوس والجدرى فكل من هذه قد ينكر فى بعض الاحيان بل وجميع الامراض التى يوجب الحرص على الصحة العمومية ان تضبط الاشخاص المصابة بها او يظن او يتوهم وجودها فيه (فى معرفة الامراض المنكرة) لانكار الامراض حالتان احداهما اخفاء جميع علاماتها والثانية اظهار علامات توقع فى الغلط فى المرض وتصيره بحيث يظن ان الحاصل غير ذلك المرض كان الواجب على الطبيب ان يبحث بحثا كليا عن الاعراض وعن حالة الشخص هل تقتضى انكار المرض اولا حتى يقف على الحقيقة * والاسباب الموجبة لافتعال المرض كثيرة والعادة انه يلام على ارتكاب اسباب الافتعال اكثر مما يعاب على ارتكاب اسباب الانكار والفاعل لذلك هم الشهاذون والمتهمون لتسويف الدعوى عليهم وتطويل زمنها والنية المدعوة للحضور امام الحاكم والشبان الذين يريدون الخروج من اى صنعة كانت والمضروبون ضربا لطيفا تثقيلا الالم وتوجعا منه والمراضع المستأجرة تقلل لبنها اوتفقده للتخلص من ايدى المستأجرين واغلب مايشاهده الطبيب من الامراض المفتعلة الجنون والصرع والبهالة والجنون الشيطانى والتشنجات والطرش والخرس وقصر النظر والقروح ونحو ذلك (فى بيان الامور التى بها يدرك افتعال المرض) رئيس من هذه الامور يا بنى خمسة * الاول منها ان يفحص الطبيب من اهل المدعى انه مريض ومن اصحابه وجيرانه عن عوائده الخلقية والخلقية وعن اشغاله واحواله فيها وعن الاسباب التى يخرج له الطبيب بها شهادة بالمرض الذى افتعله * الثانى ان يقابل بين المرض المفتعل والاسباب التى يمكن ان يتولد عنها وكذا بين مزاج الشخص وسنه وحالة معيشته وبين الاحوال التى عنها يحدث المرض * الثالث ان الطبيب يدرك افتعال المرض من كراهة الاشخاص المدعين انهم مرضى للادوية المناسبة لامراضهم لوكانت حقيقية كراهة ظاهرة فى العادة * الرابع ان يبحث الباحث بانتباه عن الاعراض التى لا بد

ان تكون مصـاحبة للمرض المدعى به هل هى موجودة ام لا فانه كثيرا ما يسهل ايقاع المريض بجواب مخالف لما قاله بان يسأل عن اعراض لاتكون للمرض المدعى به فيقر بها وكذا بتقريره عن اعراض المرض * الخامس ان يتبع سير المرض ويبحث فى جميع ما يشاهده فى مدة سيره ليعرف ان كان موجودا اولا (فى الكلام على الامراض المتهم بها) الرشوة والبغضاء يسببان للانسان اتهام بعض الاشخاص بامراض ليست فيها لقصد اخذ ثاره منها اواخراجها من وظائفها وقد شـوهد ان نسـاء اتهمت ازواجها بعدم قوة التوالد فيها بقصد فسخ النكاح واولادا استعجلوا وراثة آبائهم و اقارب من الحواشى طمعت فى ميراث اقاربها فاتهمتهم بجنون وخرافات لترفع ايديهم عن التصرف فى الاملاك وكثيرا ما شـوهد ان اصحاب الشخص تتهمه بالجنون بقصد تخليصه من ايدى الحكام ومعرفة عدم وجود هذه الامراض تعلم بكيفية اثبات افتعال الامراض وهى عدم وجود العلامات المختصة بكل منها واغلب الاحوال تسهل فيها معرفة الحقيقة وكلما كان للشخص فائدة فى اثبات كذب التهمة وشرف فى نفيها عنه كان ادراك الحقيقة اسهل (فى بيان الامراض المكذوبة) اعلم يا بنى انه لابد لكل طبيب من ان يكون عارفا بنوعين من الامراض * اولهما الامراض المكذوبة التى تدعيها بعض الناس وتظاهر انها مصابة بها لاجل ان تخرج من المحل الموجودة فيه لغرض ما * و ثانيهما الامراض المخفية وهى امراض حقيقية يخفيها من هو مصـاب بها من ارباب الوظـائف اولغرض ما (فى بيان الكلام على الامراض المكذوبة ووسـائط معرفتها) منها القراع وهو داء يمكن ان يدعى بواسطة استعمال اى كاومن الجواهر الكاوية واكثرها استعمالا الحمض ملح البارود لانه يتسبب عنه قشـور صفر الا انه لاتوجد فيه الرائحة المقيئة التى تكون فى اقراع الحقيقى وبالجملة فيسهل على الطبيب الممارس معرفة ان هذا مفتعل بوسائط كثيرة * ومنها داء الثعلب ولا شئ اسهل من تحصيل سـقوط جميع شعر الراس اذا كان يمكن التخلص به مما يريد الفاعل مطلوبه وسقوط جميع شعر

الراس

الراس لا يوجد فى القراع ويعرف كونه مفتعلا بعدم وجود نحافة الجسم واصفرار الوجه والتمرض التى تكون موجودة فى المصابين بالقراع علامة على وجوده * ومنها الصرع وهو من الامراض التى يرغب فى ادعائها وهو واسطة عظيمة للذين يريدون عدم الخدمة * وينبغى لمعرفة هذه الحيلة ان يتأمل فى الاعراض التى تكون مناسبة لهذا المرض فان الانسان المصاب بهذا الداء تكون فى وجهه اشياء مخصوصة تدل على وجوده فعضلات الوجه تكون متحركة بحركات تشنجية وحواجبه منخفضة وجفونه متقاربة وعيونه بارزة براقة وكل من المقلتين متجهة الى جهة مضادة لاتجاه الاخرى وصورة وجهه كالحزين المستحى مع ارتعاش وبهوت واكثر هذه اعتبارا ميل الجفن العلوى الى الانخفاض مع كون المصروع يتكلف رفعه حين ينظر لغيره او حين يتكلم وراسه مستعد لان ينحنى الى الامام اوان يزوغ عن وضعه الطبيعى ولون وجهه وجلده غالبا يكون اصفر ويندر ان لا يوجد فيه اثر جروح من السقطات التى تحصل له ويكون فى جلد وجهه تكرش قبل اوانه مصفوف فى الوجه طولا وعرضا من التشنجات التى يفعلها وفى الودجين والاوردة الصدغية غلظ وفى الصوت بحة وفى الاسنان القواطع انبراؤ فى المقلة اتساع ومع كونه لا يمكن الانسان ان يقلد المصروع فى جميع هذه الامور فكثيرا ما يوجد من الناس من يدعى انه مصروع ويتقن فى تقليده المصروع فى هذه الامور لغير الطبيب * واحسن العلامات فى تكذيبه نزول المنى بدون ارادة وقت النوبة وبالتامل فى تشنجاته وجميع حركاته يظهر انها افتعالية فاذا شك فى كونه مفتعلا امتحن ببعض تجريبات تكون مؤلمة كثيرا اوقليلا على حسب عناد الشخص فيسعط اولا بالاشياء المعطسة ثم تعطى له الادوية الحادة والمنتنة من الفم ويدخل فى الخياشيم السائلات المهيجة وينفخ فيها الدخان والصوف المحرق ثم يزغزغ بنحو قلم كتابة او يوضع ضوء شديد بغتة امام عينه او يرش صدره بماء بارد جدا او يزعج باطلاق نحو بندقية بقربه بغتة ايضا او ينخس بنحو ابرة او يكوى بجسم ملتهب فتى احس بشئ

من ذلك دل على انه مفتعل * ومنها الجنون بانواعه وقل مايسهل ادعاؤه من الامراض مثل الجنون والمانيا الذى هو جنون له سبب معين والبهوت وغيرها من بقية انواع هذا المرض ويمكن ادعاء هذا الداء بتناول الجواهر المخدرة الا ان نتائجها لا تستمر مدة طويلة بل يظهر عن قرب انه تصنع بحجز الشخص مدة ومراقبته فى حركاته وسكناته * ومن المعلوم يابنى ان المجانين عموما افكارا تضحكهم من غير سبب ظاهر للضحك بل من اسباب غريبة قائمة بهم تسبب عنها جنونهم وتراهم فى الاشياء التى لم يتسبب عنها جنونهم يتكلمون بكلام صواب حقيقى فالطبيب يعرف من اجوبة المريض ان كان مرضه حقيقيا او مفتعلا * واصحاب المانيا لا ينامون ابدا وان حصل لهم نوم كان مخلوطا بالاحلام المكدرة والصور المهولة والشخص السليم لا يمكنه ان يحمل عدم النوم فاذا نام المدعى بمثل هذا الداء علم انه تصنع * ومنها المرض الناشئ من التعلق بالوطن والشوق للرجوع اليه فبعض الناس يتمثل باصحاب هذا المرض ويقلدهم ليتخلص بذلك من الخدمة لكن لا يمكنه ان يقلدهم كما ينبغى فى الحزن الكلى الذى يكون مطبوعا فى صورة الوجه ولا فى اخلاء الذهن عن جميع الامور الارادية سوى فكرة الوطن وانتظار اجازة بالخروج من الخدمة فان هذا الداء يضعف الجسم ويوقع فى السقوط الكلى والمقلد يكون دائما حافظا لصحته وجميع الحركات الصادرة عنه تكون صحة جيدة * ومنها فالج العصب البصرى وهذا المرض يسمى بالقطرة الصافية وبالكمنة وبالظلمة وكثيرا ما يقول من يريد الحيل والخروج من الخدمة انه لا يبصر باحد عينيه وغالبا تكون اليمنى فان لم تكن العين متغيرة فى الشكل ولا فى اللون وكانت الحدقة تنقبض فى الضوء وتنبسط فى الظلمة علم ان هذا ادعائى لانه متى كان هذا المرض حقيقيا كانت القزحية عديمة الحركة بالكلية او فيها حركة قليلة ومعرفة كون هذا المرض ادعائيا فى احدى العينين سهلة بان يقدم للعينين نور ويتأمل لما يحصل فى الحدقتين فان كانت احداهما تضيق وتتسع بسرعة

والاخرى

والاخرى بطيئة فى حركاتها فهى المصابة حقيقة و ينبغى ان لايجعل بتقديم الضوء وان لايكون من جهة الامام بل يؤتى به من خلف الشخص من جهة راسه ثم يمربه من الامام فيشاهد اختلاف الحركة فى الحدقتين اذا كان المصاب احد العينين وان كان المصاب العينين معا تشابه الحدقتان فى الحركة و ينبغى ان يقرب و يبعد النور ليكون ذلك اقوى فى تأثير القزحيه او تغمض العينين معا و يفتحان مرات ليستشعر الباحث بالتأثير الذى يحصل من انتقال العين من النور للظلمة * وادعاء هذا المرض يمكن ان يحصل بوضع قطرة من البيلادونا اى حشيشة اللفاح اوقطرة من حشيشة البنج فى العين فتسبب سريعا هذه النتائج المذكورة للمرض المذكور وتأثير حشيشة البيلادونا لا يستقيم اكثر من ست ساعات وحشيشة البنج اكثر من اربع وعشرين ساعة فينبغى التأنى فى البحث عن الاشخاص الذين يظن فيهم التصنع * ومنها قصر النظر وهذا الداء ان كان حقيقيا فبالضرورة معذور فى خدامته لانه لاينظر الا من موضع قريب جدا فيكون غير قادر على رؤية البعيد فاذا ادعاه شخص امتحناه باعطائه عيونا من زجاج نمرتها ثلاثة وهى التى بها يتمكن الانسان من مطالعة الخط وتمييز الاشياء من بعد مقداره قدم او نمرتها خمسة ونصف وهى التى بها يميز الاشياء البعيدة اوقدمنا له ورقة عند انفه وامرناه بمطالعتها فان ادعى عدم الابصار فى واحدة من هذه علمنا انه تصنع وهذا مع التمرن على معرفة مثل هذه مما يصير الباحث قادرا على التخلص من مكايد الحيل بجميع البراهين * ومنها الحول وهذا الداء ادعاؤه سهل من الذين يسهل عليهم ادارة اعينهم الى جهة من الجهات و يقلدون الحول بالكلية ويمكن ان يحصل الحول الحقيقى بان يعود الشخص الذى يراد ابعاده من خدمة من صغره على الحول بان يوضع على كل من عينيه قشرة جوزة مثقوبة ثقبا بعيدا عن وسط البصر لكن الغالب ان هذا الداء لايكون مانعا من الخدمة * ومنها الرمد فكثير من الناس من يسبب الرمد لنفسه ليسامح من الخدمة وكثير منهم من يسبب فقد عينه او عينيه معا فيدخلون

عن زوال جزء من اللسان وذلك سهل المعرفة ويمكن ان يكون وقتيا وذلك بازدراد جوهر مسم كالداتورا وغيرها وهى تنشف اللسان ومنع الاكل عن من ادعاه وحبسه فى موضع يردانه للتكلم صريعا والاخرس الاصم لايمكنه اخراج لسانه ولا تحريكه فان ادعاه مع تحريك لسانه كان كذابا (عسر الازدراد) ويمكن فى العادة ان يدعى هذا الداء وحينئذ فيبحث عن اسفل الحلقوم فان لم يوجد هناك موانع من الازدراد كانتفاخ اللوزتين و لم يظهر تغير فى سقف الحنك كان الظاهر ان ذلك تصنع وفى هذه الحالة يمتحن الشخص بمنعه الغذاء وحبسه فى مكان منفردا فيه * الشوصة هى ميل الراس الى جانب وتكون عقب اوجاع او وقصة او من آفة فى التركيب ولم تعد لحالتها الطبيعية ويمكن ان تدعى هذه الحالة وتقلد ومعرفة ذلك سهلة لان فى هذه الحالة تكون عضلات الجهة الملتوية متمددة وعضلات الجهة الملتوى اليها غير متمددة وفى حالة الشوصة الحقيقية تكون عضلات الجهة الاخرى غير متشنجة ويسهل على الباحث ان ينتبه ويميل الراس ويجعلها على الهيئة الطبيعية فان كان المرض حقيقيا لم يتيسر له امالتها (الانوريزما اى تمدد القلب) التقليد فى امراض القلب عسر جدا وقد يدعيها الاشخاص التى امكنها ان تقلد فيها وتقول انها مصابة بها والاعراض التى يأتون بها كون الوجه بنفسجى اللون والعيون محمرة والشفاه منتفخة وهذه الاعراض يمكن ان تكون حاصلة من ربط دائر العنق اودائر الجسم اوالاطراف العليا ربطا شديدا اويمكن ان يحصل سرعة ضربان القلب من العدو فى المشى الا انها لاتمكث كثيرا بل تنقص شيا فشيا كلما ارتاح الشخص وكذا الاضطراب الشديد الذى يحس به الطبيب فى قلوب الاشخاص المجموعين اينظرهم ويحكم عليهم يمكن ان يجد فيهم هذا الضربان فينبغى له ان لايكشف عنهم ثيابهم حالا وان يتركهم مدة يرتاحون فيها (فى نفث الدم) نفث الدم يمكن ان يدعى بواسطة وخزات يفعلها الشخص فى اقصى الحلق او فى اللثة و اظهار ذلك سهل بان ينتبه للشخص و يوضع فى محل وحده وتربط يداه * فى اندم

يمكن ان يدعى بان يتناول الشخص قبل قدومه على الباحث مقدارا من الدم الخالص او مخلوطا بطين ارمنى ثم يتقاياه ويسهل معرفة ذلك بكون الشخص قويا وفيه العلامات الخارجية الدالة على جودة صحته (القئ الدائم) ان بعض الاشخاص الراغبين فى الخروج من صناعته يدعون انهم مصابون بالقئ الدائم ومعرفة ان ذلك ادعاء منهم تسهل اذا كان الشخص فى حالة السمن ولا تسهل ان كان اوقع نفسه فى حالة الضعف واصفرار اللون بتدبير غذائه مدة طويلة ونسب ذلك الى امراض المعدة ففى هذه الحالة لا يتحقق الحال الا بالانتباه الجيد من الطبيب والتفطن الشديد فى الكيفية وحالة المعدة وما يستعمله المحتال من الافيون وخلافه (انتفاخ البطن) ان كثيرا من الناس يسهل عليهم ان يملؤا الامعاء من الهواء وذلك بحقن البطن بحقن مملوءة هواء فيتسبب عن ذلك انتفاخ البطن ويعلم كذبهم بسهولة ومن وجودة الحالة الصحية لجميع البدن فانها لا تجامع الآفة التى تكون فى البطن السفلى المسببة لهذه الحركات وان شئت ان تكذبه فادخل فى استه حقنة مطبوقة واسحب ما فى بطنه من الهواء (الفتق) قد جرب انه يقلد الورم الفتقى بتنفيذ الهواء فى القسم الاربى لكن بالجس باليد يحس بالفرقعة التى يظهر بها كذب هذا الداء بسهولة والبحث فى هذا القسم يظهر الجرح الصغير الذى منه نفذ الهواء بواسطة انبوبة صغيرة من نحو التبن (القيلية المائية) يمكن ان تقلد وتعرف بالطريقة السابقة بتنفيذ الماء من جرح صغير بواسطة انبوبة * بول الدم يمكن ان يقلد بول الدم بواسطة الجواهر الملونة للبول اما بالحقن او بالازدراد وبعض الاشخاص يحتقن بالدم الخالص فى المثانة والتحيل بهذه الحيل لا يخفى على المتأنى * فقد الخصيتين ان بعض الاشخاص يدخلون بارادتهم الخصيتين فى البطن السفلى ويدعى فقدهما اذا اراد خلاصه من زوجته ويكفى فى اثبات كذبه وجود لحيته وشواربه ومع هذا يبحث الطبيب فى قسم الحلقة الاربية فلربما ان يكون انفذهما من هناك * ومنها سلس البول ان كثيرا من الاشخاص الذين يروون هذا المرض يقولون نحن

و يحفظون تلك القروح بازالة القشور عنها كل يوم او بتجديد وضع الجواهر التى استعملت فى الاول فاذا ظن الطبيب ان هذا مصطنع ازل عن المصاب جميع ملابسه والاشياء التى يمكن ان تخفى فيها الكاويات والف على العضو رباطا مستديرا وختم على طرفه اوخط على العضو فوق طباق الرباط خطا بمداد ونحوه ليعرف ان كان المصاب يزيل الرباط ويقرح نفسه اولا وربط يديه ان احوج الامر لذلك (مشاهدة واقعة بالمناسبة) وهى ان تاجرا له اجير حياك فغضب عليه يوما وضربه بحجر فادعى الاجير الحايك انه كان قاعدا على صندوق واحليله مدلى على حافة الصندوق فاتى الحجر على احاله فخرطه ثم تمارض الاجير فادعى على التاجر ليلزمه الدية فحين الكشف عليه من طرف الحكومة مع الطبيب نظر الطبيب بطريق الامعان والتأنى فوجد الجرح كانه عليه سوارة لا آفة كانت على الاحليل مستديرة عرضها نحو من قيراط فتفكر ساعة وقام وذهب الى المحل الذى يقيم فيه هذا المجروح ففتشه فوجد فى فرنة المحل تحت طراحة على الارض ثوما وكلسا مدقوقين مخلوطين سوية فعند ذلك وقعت الشبهة فى الدعوى التى ادعاها المجروح وبحث معه بالتعنيف والتهديد فاقر انه كان يصنع من هذا الدواء لاجل التقرح فظهر انه مكذوب فالتأنى فى الامور واجب سيما عليك ايها الطبيب * ومنها اليرقان فكثير من الناس من يلون بدنه بالصفرة ليقلد المصابين باليرقان فيستعمل الشحم والزعفران المحلول فى الماء ليتلون الجلد بلون هذا الداء والغش بذلك سهل المعرفة ببقاء بياض العين حافظا للونه الطبيعى * ومنها الحمى واحداثها يكون بادخال بعض الجواهر المهيجة فى الشرج كالثوم فان فيه هذه الخاصية ولا ينبغى ان ننبه على انه كيف تعرف هذه الحيلة لان ذلك يعرفه الطبيب من وجود هذه الجواهر * ومنها سقوط شعر الراس والحاجبين من اى مرض كان والاشخاص المصابون بهذا الداء الذين يريدون ان يدخلوا فى الخدمة بدل غيرهم يحترسون عن ظهوره فيهم و يلبسون قلنسوة من شعر او يلصقون شعرا غريبا على الراس وادنى بحث من الطبيب يظهر هذا الفعل ومثل ذلك

يفعل

يفعل فى زوال شعر الحاجبين * ومنها زوال الاسنان القواطع والانياب العليا والسفلى فيخفون ذلك بوضع اسنان مصنوعة وادنى بحث من الطبيب يعرف ذلك * ومنها الفتق الاربى فالاشخاص المصابون بالفتوق الاربية ويريدون اخفاءها يدخلونها فى البطن السفلى قبل ان يحضروا بين يدى الطبيب فلاجل ان لا ينغش الطبيب فى ذلك يجب ان يضع يده على الحلقة الاربية ويامرهم ان يسعلوا بعنف بعض مرات فان ذلك يهيج نزول العضو الذى تكون منه الفتق * ومنها سقوط المستقيم الاعتيادى ولاجل ان يعلم الطبيب ان كان هذا العارض موجودا فى الشخص او لا يكفى ان يامر الرجل بالزحير بعض مرات فتظهر حالته سريعا * ومنها حصر البول وسلسه ولاجل ان يحكم الطبيب بوجود الاول اوعدمه ينبغى ان يامر الشخص بان يبول امامه فان لم يخرج البول الا تقطيرا متقطعا او على هيئة الخيطة عرف انه موجود ولاجل ان يحكم بوجود الثانى ينبغى ان يبحث عن ان يكون هناك ضغط على القناة البولية يمنع سيلان البول اولا * ومنها قصر احد الاطراف السفلى فان بعض الاشخاص المصابين بقصر خفيف فى الطرف السفلى يمنعون العرج بزيادة فعل ثانى فى الرجل القصيرة ولذا ينبغى للباحث ان يوقف من يريد البحث عنه حافيا * ومنها الذهول وعدم حسن الفكر ويعرف هذا بالتحدث والسؤال من الشخص عن الاوقات والحوادث الماضية وبعد جوابه يحكم عليه بوجود هذا الداء او بدرجته * ومنها النظر القصير ويسهل معرفة قصر النظر بامر الشخص بمطالعة او تمييز بعض أشياء من بعد يعينه له الطبيب * ومنها الصرع فاذا ظهرت علامات هذا الداء على سحنة شخص مصاب به وظن وجوده فيه وجب انتظاره والانتباه اليه مدة يظهر فيها حاله * ومنها الانتقال النومى وهو كون الشخص يفعل افعال اليقظة وهو نائم والمناسب فى الاشخاص الذين يتقدمون فى الخدمة بدل غيرهم ويظن فيهم هذا الاستعداد ويدعون انه ليس فيهم ان يلاحظوا فى بعض الليالى فلربما انهم يربطون انفسهم فى السرير الذين ينامون عليه او يربطون ارجلهم ببعضها فيكون ذلك علامة

على وجوده فيهم * ومنها ضيق النفس فاذا ظن فى شخص انه مصاب بضيق النفس اما من هيئة تركيب صدره او من علامات اخرى كنى الباحث فى معرفة ذلك ان يامره بمشى سريع قليلا او ان يصعد على محل مرتفع فذلك يعرفه وجود هذا المرض او عدمه * وهناك امراض اخرى كثيرة يمكن ان تخفى الا ان كون كل شخص مريض اوفيه استعداد لمرض تظهر فى جسمه اوفى عضو من اعضائه اوصافه لا تخفى على باحث متامل وكون الواجب على الباحث المختص بالبحث عن ذلك ان يكون مع كثرة معارفه وفطنته ومقارشته للامور محترسا احتراسا كليا فى منع من يخفى امراضه التى لا تحتمل فى الخدمة حتى لا يغش المخدوم ولا يحمل على ذمته شيئا والله اعلم بغيبه واحكم * هذا مايسره الله تعالى لنا يا بنى من الفوائد * والمحاسن والفرائد * ولا نطيل لك الكلام اكثر من ذلك * لئلا يفوت منك الغرض فيما هنالك * فان ما قل وقر * خير مما كثر وفر * مصداقه ما ورد عن سيدنا على كرم الله وجهه خير الكلام ما قل ودل * ولم يطل فيمل * وهذا شروع فى الخاتمة

خاتمة * سبحان من دبر الافلاك بحكمته * ومد الارض بباهر قدرته * فجعل لكل فلك مدارا * وجعل فيها رواسى وانهارا * وخالف فيها بين منابت الاقوات * وجعلها منتظمة الاوقات * وخص من شاء من سكان الاودية بما شاء من الاوقات والادويه * كما خالف بين اصناف النوع الانسانى * مع كمال شكله الجسمانى * فهدى من شاء الى سبيل الرشاد * واضل عن الرشاد من اراد * ومن يضلل الله فما له من هاد * ان فى ذلك لعبرة لاولى الالباب ودليلا هاديا الى طريق الصواب * فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه * يؤتى الحكمة من يراه بها جديرا * ومن يؤتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا * نحمده على ما انعم به من انكشاف المجهولات * وصيرورتها فى رتبة المعلومات الواضحات * ونستوهبه من فيضه العميم * اجل الصلوة واتم التسليم * على جرثومة الكرم * منبع الفضل والحكم * سيدنا محمد النبى الهادى المفخم باللسان الضادى * كل مضادى * صلى الله عليه وعلى آله * وكل ناسج

على

على منواله * ما ازهر الوادي * وترنم الحمام الشادي * و بعد فنقول لما تم الكلام معنا على بيان صفة ما انخبأ من القوى السارية في الاجسام اردت ان ابين ما ينبغي استعماله من النباتات واللحوم في المشارب والمطاعم وفيه مقالتان (المقالة الاولى في الخضراوات) وفيها ابحاث (البحث الاول في الخبازى) وهي صنفان كبيرة وصغيرة (الصنف الاول الكبيرة) هو نبات كثير الوجود في المحال الغير المزروعة وفي مساكن الناس فتنبت كثيرا حول القرى وانواع هذا الجنس كثيرة يستعمل كل نوع منها في البلد الموجودة فيه والمستعمل في الطب جميع اجزاء النبات وسيما الازهار والاوراق والمستحضرات التي تؤخذ من الخبازى فيها خاصية الارخاء وتتضح تلك الخاصية فيمن معدتهم ضعيفة لطيفة المزاج فتنتج في منسوج المعدة ارتخاء يصير تضمح المواد الغذائية اطول واشق بعد ان كان سهلا منتظما و مغلي الخبازى اذا اضعف قوة فاعلية الامعاء سبب غالبا عسر الهضم واعقب ذلك استفراغات ثفلية * وانما تظهر خاصية الخبازى مع النفع في الاجسام المريضة فتخفف الاعراض الناتجة من افراط شدة الفاعلية والحركات المرضية المتولدة من النمو الزائد لحساسية المنسوجات العضوية * فنقوع الخبازى يلطف في التكدر الحمي زيادة في التنبه في الجهاز الدوري اي اعضاء دورة الدم و يخفض حيوية مراكز التأثير العصبي ويسكن الاضطراب المستولي على البنية كلها * وينفع منقوع ازهارها في التهاب الطرق التنفسية منفعة واضحة بحيث ظن فيها وجود خاصية صدرية مضادة للسعال فلذا يستعمل ذلك المنقوع في الاستهواء الصدري والنزلات الخفيفة وقد يحصل منه تعريق نافع اذا استعمل حارا بكثرة والمريض على سريره متدثرا كما يستعمل ايضا في الالتهابات الرئوية والبليوراوية اي التهاب ذات الجنب فهو في الرتبة الثانية من الوسائط العلاجية لهذه الامراض اذ بتأثيره المرخي في جميع المنسوجات لاسيما منسوج الرئتين يؤثر يقينا في تلك الامراض تأثيرا نافعا فلا ينبغي اهمال تلك الواسطة في ذلك * ومنقوع الاوراق والازهار معا ربما كان هو المشروب الاعتيادي للمصابين بالالتهابات

الجلدية كالجدرى والحصبة والقرمزية فما دامت تلك الامراض تابعة سيرا منتظما مباركا كان هذا المشروب كافيا للعلاج فيلطف افراط الحركات المرضية مع حفظه لها الفاعلية اللازمة بحيث يصل المرض من ذاته لانتهاء جيد ويستعمل ذلك المنقوع ايضا فى التهاب الاعضاء الهضمية بحيث ان تأثيره المرخى الذى حصل منه فى السطح المعدى المعوى يخفف بل يزيل ماوجد فيه من الجفاف والتوتر والاحتراق فاذا كان فى المعدة انحزام كبير وعيوب فى ناشئة من تهيج سطحها اومن حساسية مرضية فى اغشيتها اومن تأثير كبير زائد الفاعلية كان ذلك دالا على حالة تهيج وحرارة قوية فيها * فنقوع الازهار او الاوراق الفاتر الحرارة يقطع تلك الاحوال المرضية بخلاف المقويات والمنبهات فانها تزيد فيها ولا تنقاد تلك الامراض الا لطول استعمال الفاعلات المرخية كالاستحمامات ونحوها * ويصنع من مسحوق اوراق الخبازى ضمادات مرخية ويستعمل الماء المحمل من قاعدتها اللعابية غسلات وحقنا ونحو ذلك * ومن المعلوم ان الخبازى المشروحة فى المؤلفات هى البرية واستنباتها فى البساتين ومراعاتها كما فى مصر بترطب منسوجها الخاص ويزيد مقدار عصارتها المائية التى تحل قاعدتها اللزجية وحينئذ تستعمل غذاء كما هى الآن كذلك بمصر وعند الصينيين والرومانيين وغيرهم ولا يستعمل منها غذاء الا الاوراق الجذرية وتؤخذ قبل خروج الساق * فى بيان الخبيزة الصغيرة يستعمل هذا الصنف كثيرا بدل الصنف السابق بل هناك بلاد تفضله على الخبيزة الكبيرة كما يوجد ذلك ايضا فى بعض المؤلفات الطبية وهذا النوع كثير الوجود فى جميع الجهات والمزارع والغابات وعلى جوانب الحيطان وهو سنوى * وخواص هذا النوع كخواص السابق لمماثلتهما فى التركيب الكيماوى وكان اليونانيون والرومانيون يعتبرونه كالسابق غذائيا فياكلون اوراقه مطبوخة كالاسفاناخ كما يستعمل ذلك الى الآن ويؤكل للتليين وهذا راى جالينوس واعتبره فيثاغورس مساعدا على ممارسة قوة التعقل والاستعمال الاصلى لها الآن انما هو لاجل كونها مرخية ملطفة

مسكنة مزلقة اذ هي عديمة الرائحة والطعم لعابية الذوق وذلك موافق للخواص المعروفة لها واستعملها قديما بقراط في الاحوال التي تستعملها فيها الآن فيعمل علاجا من مطبوخها حامات وحقن وكمادات ومغليات وغراغر وقطرات وزروقات علاجا لالم الاعضاء وحرارتها وتهيج الجلد والتهاباته وتنبه التجاويف المخاطية كالالتهاب الصدري والنزلات والحمرة والاندفاعات الجلدية والفلغمونيات وامراض لطارق البولية ونحو ذلك فهي بعد بزر الكتان والخطمية اكثر المرخيات استعمالا في الآفات الحادة وازهارها معدودة من الازهار الصدرية كما ان اوراقها معدودة من الانواع المرخية وتستعمل من الباطن بالاكثر على هيئة مغلى او منقوع سكرى في امراض الصدر والبطن ولاخطر في استعمالها ابدا * ومقدار مايستعمل منها غير محدود وانما العادة ان يؤخذ منها ثمانية دراهم لاجل مائتى درهم من الماء ونصف هذا المقدار من ازهارها (في البامية) هي من المرخيات وهذا النوع خضراوى سنوى ينبت في الاقاليم الحارة و يؤكل مطبوخا باللحم فيكون لذيذ الطعم محللا مليّنا و بذره مصفر كلون اللوبيا ويحتوى اذ ذاك على مادة لعابية كثيرة وفيها حمضية مقبولة * قال بعض اطباء الاوربيين تظن عوام مصران التغذية بها تحفظ من الاصابة بالحصيات وانها مدرة للبول انتهى ولا نعلم الآن احدا يظن ذلك وتلك الثمار في حالة النضج تكون على هيئة قرن اسطوانى مضلع طوله من قيراطين الى اربع بل اكثر وقطره قيراط واونه وهو رطب اخضر واحيانا مصفر فاذا جف كان سنجابيا وفي قمته شبه منقار مكون من اطراف الاضلاع الخمسة الموافقة للمساكن الخمسة المحتوية على البذور التي فيها ميل للشكل البيضاوى الكمثرى وهي اكبر من الجلبان * وذكروا ان البذور تستعمل محمصة كالبن في بعض الاماكن وتستعمل اوراق النبات التي هي لعابية حقنا وغير ذلك في بعض الاقاليم كما تستعمل اوراق الخطمية بمصر والسودان يجففون الثمار بل النباتات كله ويسحقونها سحقة ثم يطبخونها غذاء واهل مصر

يستعملون الثمار غذاء بالاسم فيكون غذاء لذيذا * ومن هذا الجنس نوع يسمى ورد الصين يستنبت فى بساتين الاور با لجمال زهره الاحمر والنساء فى بعض جزائر هناك تزين شعورهن به وتدخلنه فى علاج الاعين وجذر هذه الشجيرة يضاف له الزيت فيعدونه فى بلاد الهند نافعا فى النزيف الطمثى ويزعمون ان استعمال ازراره اى براعمه يصير النساء عقيمات ويذكر انه ايضا يسقط الحوامل وتستعمل وريقاته الزهرية فى بلاد الصين لتسويد الشعر والحواجب وجلود النعال ومن انواعه حماض جنيه التى هى محل منبته وتعمل من كاسه مربيات والسودان يستعملون منقوع ازهاره للترطيب والتبريد وبالجملة معظم انواع هذا الجنس مرخية مرطبة (فى بيان الملوخية) هى نبات يسمى بهذا الاسم وربما قيل له ملوكية وهذا النبات سنوى ويستخرج من قشره ساقه خيوط طويلة لطيفة الملمس متينة يعمل منها بعد غزلها اقمشة متينة وهذا النبات يؤكل مطبوخا بالمسلوقات الدسمة ولكن كثرة لعابيتها تصيرها عسرة الهضم * وذكر بعض المتأخرين ان خواصها الطبية كخواص الخطمى وان مطبوخها يكون بالاكثر صدريا وان درهمين من بزورها تقذف اى تسهل الاخلاط اسهالا قويا ويظهر ان هذا البعض اخذ هذا من كتب القدماء فقد قال قدماء العرب ان خواصها الدوائية كخواص الخبازى الا انه قيل انها تسخن قليلا وتحدر سريعا لرطوبتها ولزوجتها فهى متوسطة الانهضام وانها تعطش لطافتها وتهيج الحرارة وانه لاينبغى المبادرة باستعمال الماء عليها وان بذرها يسهل الاخلاط الغليظة واللزجة ويفتح السدد انتهى * ولم يعط اليونانيون لهذا النبات اسما بل قالوا انه يسهل لكونه يرخى ويقلل انضمام الالياف العضلية المعوية فيتسبب عن ذلك الانحدار والا فهو لايحتوى على جوهر مسهل وانما يحصل منه الاسهال بفعله المتقدم الانحدارى واوراقه الجافة قوية التأثير فى فتح الخراجات ضمادا بالماء (فى بيان البقلة الحمقاء) وتسمى ايضا باللسان العامى رجله وتسمى بالافرنجية بربير بضم الباء الاولى وباللسان النباتى

بُرطلاتا بضم الباء والطاء اى رجـلة * وانواع هذا الجنس حشيشة غالبها نائم على الارض سـنوى واوراقها شحمية كاملة وتنبت بالاقاليم الحارة واشـهرها النوع الذى نحن بصـدده ويألف الاماكن الجافة الرملية والمزروعة وفى بلاد الهند ومعظم بلاد الكرة وهو نبات عديم الرائحة كثير اللحمية والشحمية طرى يكاد لايكون له طعم ولكن يسهل اكتسابه طعم اللحم والآفاوية التى تجمع معـه من حيث يتكون من ذلك طعام مقبول مستعمل كثيرا عندنا ومهمل فى بلاد اوربا وانما يؤكل هناك سـلطات فى الغالب وهو نبات مبرد معدل مضـاد للعفر اى العفونة مدر للبول جيد الاكل فى الحرورات الشديدة وماؤه المقطر قد يستعمل جرعة وبذور الرجلة تعد قاتلة للديدان عند بعضهم ولا يعلم سبب ذلك لانها ليسـت مرة ولا ولا حضية ولا اعابية وتدخـل مع تراكيب الادوية للدودة الوحيدة وتعد فى بلاد الفرس من الابذار الاربعة الباردة الخفيفة الدرجة وتدخل فى الملبسات التى تعد مبردة طاردة للديدان وفى معجون لسان الحمل وغير ذلك من المركبات * ومدحت الرجلة عند بعض اطباء ايطاليا بانها مضـادة للتسمم بالذراريح فتعطى عصارتها بمقدار من سـتة عشر درهما الى اثنين وثلاثين وفى بلاد السويد يحكون الثاليل باوراقها لاجل سـقوطها وكان ذلك معروفا لاطباء العرب ونقلوه فى مؤلفاتهم ووسـعوا دائرة العلاج بها وببذورها وذكروا جميع ماقلناه وزادوا عليه انها تنفع فى النقرس بتليسها الخشونة وتمنع القئ المرارى والسحج والاسهال ونزف الحيض وسيلان البواسير وتطفئ الالتهاب والعطش وتسكن اللذع والحرقة فى الكلى والمثانة وتفتر الشهوة للجماع واذا وضـعت فى شوربات المحمومين والمحرورين نفعتهم وخصوصا فى الازمان والبلاد الحارة وتستعمل ضمادا على الاورام الحارة واذا وضـعت مطبوخة على الحرق نفعته (فى بيان البطاطس) يستعمل هذا الدرن للتغذية ويقوم مقام الخبز ففى الاوربا توجـد فقراء من العملة لايتغذون الا منها وتباع بثمن بخس لكن من المحقق انها اضعف تغذية من

الخبز الاعتيادى وكما تستعمل خبزا تستعمل مطبوخة بانواع شتى كما يخلط دقيقها احيانا بدقيق البر بمقادير متساوية فالبطاطس يحفظ رطوبة الخبز وطعمه ولكن يصير اقتم فاذا كان فى الخبز بمقدار كبير صيره عجينا دسما وربما شوهد من دقيقه ماهو ثقيل مسود ويظهر ان مثل ذلك ردئ الهضم فالاحسن حفظ البطاطس كاملا اى غير مطحون فذلك احسن للصحة ويحفظ فى محال هاوية فى الشتاء ولكن يعسر حفظه اكثر من سنة وحينئذ يلزم ان لايستنبت لانه حينئذ يفقد صفاته فاذا تجلد لان وحمض وصار سكريا ولكن يبقى فيه جزء من الدقيق بل من خواصه النباتيه فلاجل حفظه زمنا حسب الارادة يطبخ نصف طبخ فى الماء ثم يقطع قطعا رقيقا تجفف فى محل دفئ ففى هذه الحالة يصير شفافا سهل الكسر فاذاوضع فى محل جاف بقى محفوظا كما يراد ويعمل منه حينئذ بتكسيره قطعا وبتحضير مخصوص شبه برغل وشعيرية ونحوذلك تستعمل محل استعمال نظائرها مما يعمل من القمح والارز ونحوهما فذلك التجفيف كالتجفيف الذى يعمل بدون طبخ له بل بعد تقشيره وتقطيعه قطعا يكون واسطة لحفظه ويستعمل البطاطس استعمال البقول ويؤكل مطوخا على الرماد السخن وعلى الماء المغلى وعلى البخار وتصنع منه ماكل دسمة وغير دسمة وسكرية وسلطات ومقليات ويطبخ مع اللحم والبقول ويخلط بالشحم والزبد ثم يؤكل بالخبز ويستعمل من البطاطس المطبوخ دقيق كثير فبواسطة الحك والغسل يسقط فى قعر الاوانى المملوءة ماء فيجتمع منها بعد غسلات جديدة لاجل ان يجفف ويحفظ للاستعمال وحينئذ يكون جيد البياض بلورى المنظر عديم الرائحة ناعم الملمس لايذوب فى الماء البارد ويذوب جيدا فى الماء المغلى ويستعمل الدقيق استعمالات كثيرة فيطلب غذاء للمرضى والاشخاص الرقاق والواقعين فى بعض نحول وهبوط وتعمل منه شوربات دسمة وغير دسمة ولبنية وسكرية وفطائر وتكون اخف من غيرها من انواع الدقيق واسهل هضما وامراقا وحريرات وجليديات وغيرذلك ويوضع فى خبز القمح بمقدار الثلث والمعدة

والصدر

والصدر يأفانه والاطفال يجدونه اجود لهم فهو غذاء انتشر استعماله لسلامته وجودة سيره وسهولة حفظه وتحضر منه ضمادات ومغليات ملطفة ومطبوخة مرخية يناسب استعمالها حقنا وزروقات وغير ذلك (فى بيان القرع) هذا الجنس المستدير تنسب له الفصيلة القرعية وسمى بذلك نظرا لشكل معظم ثماره التى هى كأوانى مستديرة * وثمار هذا الجنس تختلف كثيرا فى الشكل والقوام وقطرها من قيراط الى ثلاثين او ستة وثلاثين قيراطا ثم تارة تكون كروية ملساء وتارة مضلعة بيضاوية مستطيلة يتكون منها شكل زجاجة وغير ذلك وقوامها يختلف باختلاف الانواع والاصناف وقشرتها تكون بعد النضج جافة صلبة قشرية وقد تبقى لحمية وفى جميع الاحوال لا تنفتح والبذور بيضاوية منضغطة مقورة تقويرا قليلا من قمتها ورقيقة من جوانبها وقد تكون كاملة محاطة كلها بحافة مرتفعة يسيرا وهذا الجنس يقرب لجنس الخيار وانما يختلف عنه ببزوره المقورة تقويرا قليلا اذا كانت رقيقة الحافات او المحاطة بحافة حادة اذا كانت كاملة وانواع هذا الجنس سنوية تستنبت فى البساتين خشبية ساقها لحمية عليها خيوط كلابية والازهار فى الغالب محمولة على حوامل ابطية وهى اما بيض واما صفر وهو انواع (النوع الاول البطيخ الاخضر) وهو البطيخ المسمى بالفارسية خربزة ويعرب فيقال خربز وجالينوس سماه بالقثاء النضيج وثمره فى حجم القاوون واكبر وغلافه اخضر منطب ببياض وغير ذلك وقد يكون اخضر خالصا او ابيض او غير ذلك وشحمه فى الغالب احمر شديد الحلاوة مرطب وبزوره سود او حمر او غير ذلك وهو كثير العصارة ويذوب معظمه بل كله فى الفم وذلك هو السبب فى تسمية الافرنج له بقاوون الماء ويؤكل للتبريد فى البلاد الحارة زمن الصيف واهالى بلاد مصر يكثرون من اكله ولا يحصل لهم منه ادنى ضرر ويحفظ ترطيبه واوفى اعلى درجة حرارة وان كان معرضا للشمس واصنافه كثيرة وتختلف بالصغر والكبر والملاسة والخشونة واللون والحلاوة * ويوجد منه ما قد يزن ستين رطلا مصريا كل رطل مائة واربعة

وار يعون درهما ويعرف نضجه بالقرع عليه فيسمع منه رنين كجسم نصفه فارغ واحسن الاصناف مايزرع منه بساحل البرلس اذ قشره اصلب واكثر اندماجا بحيث يعسر نفوذ الهواء منه لباطنه ولذا قد يمكث السنة كلها وبالجملة عصارته مرطبة مبردة ملطفة * واعتبره اطباء العرب محللا مفتحا نافعا من الاستسقاء واليرقان مسمنا مكثرا للفضلات كلها كاللبن والعرق ومزيلا للعفونات والسدد اليابسة والاخلاط اللزجة وذكروا انه يستحيل كمزاج صاحبه فيستحيل الى اى خلط صادفه فى المعدة واستحالته الى البلغم اكثر من استحالته الى الصفراء واذا لم ينهضم جيدا احدث الهيضة وربما استحال الى طبيعة سمية فحينئذ يبادر بالقئ ولا ينبغى الاسراف منه وينهى عن شرب الماء عليه وهو يحرك القئ فلا يؤكل الا بين طعامين لما علمت انه سريع الاستحالة الى مايصادفه من الاخلاط الرديئة فى المعدة واحداثه القئ ومن اكله على الجوع ونام فقد عرض نفسه للحمى ومنه صنف صغير مدبج بحمرة ويسمى البلبون واكبر مايكون بقدر الرمانة وهو حلو سريع الانحدار ولعل هذا هو الحجازى المسمى بالحبحب ونوع آخر اذا نضج صار ماء يسمى بالعبد لاوى وهو سهل حلو لذيذ الطعم وصنف آخر يجلب من بلاد الترك صلب جوفه يميل الى الحمرة سهل التفتت كالسكر لطيف الطعم لكنه عسر الهضم يبرد المعدة ويفسد سريعا وربما حرك امراضا باردة كالفالج والسعال واوجاع المفاصل ويضعف شهوة الباءة فى المبرودين ويدفع ضرره بالزنجبيل والدارصينى * واما العبد لاوى المتقدم ذكره فيوجد كثيرا بارض مصر التى هى مأوى الفصيلة القرعية وهذا الثمر مرطب نافع فى الحميات وحرارة المثانة والكليتين ونحو ذلك ومطبوخه فى اللبن نافع فى ذلك ايضا ومخفف لاوجاع النقرس وينفع ماؤه المقطر ايضا فى الامراض الالتهابية التى فى الاعضاء البولية وبالجملة جميع انواع العبد لاوى كثيرة الترطيب كبزورها ايضا وعصارة لبها حلوة تخفض حرارة العطش وتسكن حرارة الاحشاء (فى بيان القرع الطويل)

ويسمى

ويسمى بالضروف وطويل العنق وجميع اجزائه دبقة والثمر صلب قشرى يختلف شكله والحبوب قريبة للتسطيح رقيقة الحافات وتقوير فيها يسير واصله من بلاد العرب والهند وفى طرفه اختناق فيتشكل ذلك الثمر بشكل الاوانى والزجاجات المختلفة الشكل وشحم هذا النبات مر مسهل ولكن بالاستنبات يحلو ويؤكل مطبوخا ويزرع بمصر نوع عذب يسمى بالضروف ويبلغ طويلا كبيرا ويكون اسطوانيا (فى بيان القرع المدحرج اى المستدير) ويسمى بالقرع الحقيقى الكثير الاشكال اواليقطينى وهو ابيض واما الاسلامبولى الاحمر فقد شوهد من تلك الثمار ماقطره قدمان ونصف فاكثر ووزنه من اربعين الى خمسين رطلا مصريا فاكثر وانواعه عموما كروية الشكل منضغطة من القمة والقاعدة ومضلعة تضليعا واضحا والشحم ابيض او اصفر قليل الاذابة وقشره رقيق وباطنه مجوف بتجويف كبير تتعلق البزور بجدرانه بواسطة خيوط خلوية وتلك البزور بيض بيضاوية واصل هذا النبات من الهند واستنبت فى اغلب المواضع بحيث لاتستدعى زراعته عظيم انتباه واكثر استعماله للتغذية بسبب لطافة شحمه ونوع منها اخضر ويطبخ فى الماء وفى اللبن ومع الامراق واللحم ويقلى بالزيت والسمن وكله جيد ويصنع منه فى بعض البلاد مربى بالدبس او مايسمى بربى العنب اوالسكر وبزور هذا القرع هى احد الابزار الاربعة الشديدة البرودة غير انها اغلظها ويصنع منها مستحلبات وتختار فى الطب حيث انها اغلظ وتمكث رطبة نحو نصف السنة وتقوم مقام غيرها من البزور ومستحلبها السكرى صدرى مرطب معدل وغير ذلك فيعطى فى الاستهواء الصدرى وحرارته وحرارة الامعاء والحمى وغير ذلك * واصناف هذا القرع كثيرة توجد جملة منها مسمات باسماء مختلفة كالكوسا وغيرها (فى بيان الخيار) هذا النبات ثمره مستطيل منفرج الزاوية من طرفيه وسطحه املس او خشن وهو اما اخضر او ابيض او اصفر كما يختلف حجمه ايضا والخيار كله رقيق الجلد تفه الطعم كثير المائية له رائحة مخصوصة به بل

ربما كانت احيانا منثنية قليلا ويحتوى على كثير من البزور المستعملة فى الطب وهى عذبة دهنية مستحلبية ملساء مفرطحة منفرجة الزاوية من طرف ويؤكل الخيار نيأ سلطات بعد ان يقطع قطعا رقيقة وقد يطبخ ويحشى فيكون طعاما مقبولا عند بعض الناس فى حرارة الصيف لاسيما اذا تبل بالليمون او الخل والعطريات التزول تفهته او خلط باللحم ايكتسب منه الطعم لكن من الناس من لايقدر على هضمه فيجده ثقيلا باردا * والخيار ملطف مبرد ملين اى مسهل بلطف لبعض الناس فيطفئ الالهيب والعطش وغليان الدم وكرب الصفراء ويسكن الصداع الحار ويدر البول * واذا هرس الخيار كله ودلك به البدن قطع الحرارة والحكة ونعم البشرة وهذا الخيار ثقيل نفاخ يولد القراقر ووجع الجنبين ويصلحه فى المحرور السكنجبين وفى المبرود العسل او الزبيب قال اطباء العرب غلط من قال لا يؤكل الا مقشرا مع ان اكله بقشره يخرجه من المعدة سريعا قبل تعفنه ولا يؤكل مع اللبن وخصوصا للمبرود فانه يسبب الفالج واكثر دخول الخيار فى الزينة فان رائحته تذهل للمياه وخصوصا للمراهم القوية المستعملة للزينة والممدودة بكونها ملطفة للجلد ومانعة للسلوخ والشقوق وحافظة للين واللطافة ويحضر من بزوره مستحلبات ومشروبات صدرية مقبولة مسكنة تستعمل فى السعال واحتراق البول والحمى الالتهابية ونحو ذلك بمقادير مختلفة بمقدار ثمانية دراهم او ستة عشر درهما فى مائتى درهم من الماء وتحلى بالمناسب وتلك البزور هى احد الابزار الاربعة الزائدة البرودة وتدخل فى كثير من الادوية الوقتية التحضير ويلزم لاستعمالها كونها جديدة * ومن المعلوم ان اللوز الحلو احسن منها * وكيفية عمل مرهم الخيار ان يؤخذ من الشحم الحلو اربع وعشرون درهما ومن شحم العجول خمسة عشر درهما يقطع ذلك قطعا ويدق فى هاون من حديد ويغسل اولا بالماء الفاتر ثم بالماء البارد ويترك لتقطر الماء منه ثم يذاب فى حمام مارية مع درهمين من صبغة الجاوى واربع دراهم من ماء الورد المزدوج ثم يصفى ذلك مع العصر

ويترك ليرسب ثم يهرس باليد الشحم السائح حارا ايضا مع عشرة ارطال من الخيار الرطب المبشور وتجدد هذه العملية الاخيرة مرتين مع مقدار جديد من الخيار مساوى لذلك ويترك الكل بعض ايام ثم اذا انفصل جميع الجزء المائى من الشحم يذاب ذلك على حمام مارية ويصب فى اوانى فخار ولكن قبل ان يعطى هذا الجوهر الزين للمستعملين له يوضع على حرارة لطيفة ويحرك باوق خشب حتى يصير ابيض محببا (فى بيان القثاء) هذا النوع يقرب من الخيار فى الخواص ويسمى ايضا القثد وصغاره الشعارير واجوده الطويل الاملس الكثير الشحم الربيعى وارد وه المخطط الخشن وهو مبرد مرطب يسكن ايضا العطش واللهيب وحرارة المعدة والكبد وبزره مفتح جلاء يقال انه اجود من بزر الخيار وهذه القثاء اسرع هضما من الخيار وغيره من فج الفواكه لكنها تولد القراقر والرياح الغليظة وسريعة التعفن رديئة الكيموس وقال بعضهم ان الخيار آمن غائلة منها * وهى اصناف فمنها طوال كبار اول ما يجئ فى فصل الربيع قليل البزر شحم الجرم ومنها ما يسمى بالفقوس والقثاء الشامى والعجور وغير ذلك وصنف آخر يأتى فى اواخر الصيف بمصر يسمى النيسابورى كثير البزر وهو اعذب واحلى من الاول والطف ويسمى بمصر بالقثاء الخضراء والمر من القثاء مضر بل قيل انه مسم * ومن انواع هذا الجنس القاوون (فى بيان القاوون) وهذا النوع لذيذ المأكل ورائحته عطرية جليلة وشحمه الكثير المائية السكرى الذى يذوب فى الفم عطرى مرطب وقد تنوعت اصناف هذا النبات بتنوع الزراعة تنوعا كثيرا فى الحجم والشكل واللون والرائحة والقشر والطعم وغير ذلك وكلها مقبولة لذيذة وشحمها جيد النضج والصفة وتستعمل للتداوى فتكون مرطبة دافعة للظمأ مندية فتسكن اوجاع الامعاء والصدر وتجعل البول غزيرا وقد تكون ملينة اى مسهلة بلطف واستعملوه من الظاهر مسكنا على المحال الملتهبة ويحضر من مائه مشروبات مضادة للالتهاب وهنالك معد باردة لاتهضمه وتشكو اصحابها من ثقله وعدم هضمه وحصول حمى

منه ولكن حصول تلك الحمى منه غير صحيح اذ لم تشاهده الاطباء واذا حصل منه نتائج رديئة فذلك من استعداد مخصوص فى الشخص او من رداءة الثمر وذلك نادر وقد علمت ان بزوره عذبة دهنية مستحلبية يعمل منها مشروبات ملطفة مسكنة صدرية لكن يلزم ان تكون جديدة لانها تزغو بسهولة والمقدار منها من ستة عشر درهما الى اثنين وثلاثين لاجل ميأتين من الماء * وقال اطباء العرب ان هذه اللبوب اى البزور للبطيخ الاصفر مدرة مفتتة للحصى مصلحة للقروح الداخلة فى الباطن ومجلية للبشرة من نحو الكلف طلاء مع البورق ومحسنة للالوان ومنه صنف يسمى بمصر بالمهناوى جيد للسدد نافع للادرار ويقال انه لطافته تقصد الافعى رائحته وربما قذرته من سمها ودون ذلك صنف يعرف بالضميرى يخرج فى راسه المقابل للعرق اى الحامل سرة مستديرة وهو شديد الحلاوة والناعم منه ردئ قليل الحلاوة ولكنه سهل الهضم كثير التفتيح * ومن انواعه الشمام الغير المأكول ينبت فى بلاد العرب وفارس وغير ذلك وثمره غير ماكول وغير مستعمل فى الطب وانما يجنى لاجل رائحته القوية المقبولة ويقرب شكله لشكل النارنج وذلك هو السبب فى تسميته بالشمام وتعطر به الايدى واستنبت بالبساتين النباتية (فى الباذنجان) هذا النبات اصله من الهند وبلاد العرب وانتقل من هنك الى جهات كثيرة حتى الاوربا وهو لجى اسطوانى محمر فى العادة ومسكناه مشدان وبزوره ليست محاطة بلب مخضر وتؤكل هذه الثمار مطبوخة ونيئة فى القرى وغيرها وتنظم بانواع مختلفة فى المآكل وتدخل فى شوربات بلاد الهند ويعتبرونها مدرة للبول وتسمى هذه الثمار فى الهند فوكى وتسمى فى جزائر انديله جنجبو * وذكر بعض الاطباء ان المكثرين من اكلها يكونون مرضى منها وثانيهما ثماره بيض بيضاوية وهى التى ميزها بعضهم اى البيضاوية الشكل ومسكناها متميزان عن بعضهما وبزورهما محاطة بلب مخضر ردئ الصفة وتلك الثمار لا يؤكل ابها ولاجل عدم الاشتباه والوقوع فى

الغلط

الغلط الموجود فى المؤلفات سموا كل واحد منها باسم يخصه * وقال اطباء العرب فى الباذنجان ان هذا الاسم معرب عن الفارسية بجيمه معربة عن كاف فارسية وتسميه العرب المغد والوغد بادال المهملة فيهما وهما نوعان برى وبستانى والبستانى معروف وهو غذاء مالوف لغالب الطباع *وذكروا ان اجود مايؤكل ان يؤخذ الحديث الصغير القدر ويقشر وينقق قطعا ويحشى ملحا ويترك فى الماء البارد الى ان يسود الماء ويراق ويجدد عليه الماء مرارا الى ان لايخرج سواد ثم يطبخ بلحم الحملان والجداء والدجاج السمين فانه حينئذ ينقى من مراره ويصلح حاله ويعتدل مزاجه فان قلى بشيرج اودهن اوز واكل بخل زال ضرره (فى الباذنجان الافرنجى) يسمى بالافرنجية طومان ويسمى خوخ الدب وظهر للعلماء ان هذا الثمر يحتوى على حمض مخصوص ودهن طيار ومادة خلاصية راتنجية وبالجملة فاستعمال هذا الثمار قاصر على الاغذية ولا تستعمل فى الطب استعمالا دوائيا (فى الكمأة) وتسمى بالطروف اى القابل للاكل ويتميز بسطحه الخشن المرصع بدرنات محدبة الطرف وهذا النوع مستدير بدون انتظام واحيانا يكون خصيا وحجمه من حجم بندقة الى حجم قبضة يد كذا قال بعضهم وفى بعض المؤلفات من حجم بيضة الى حجم كمثراة كبيرة بل اكثر وتنبذر على سطحه الخارج حبوب كثيرة خشنة كالجلد المقطب وله رائحة مخصوصة قوية جدا وطعمه مخصوص ايضا ولا يمكن مقابلته بطعم جسم آخر ولهذا النوع اصناف مؤسسة على اللون وعلى الرائحة التى هى مقبولة كثيرا او قليلا ويمكن ان تنشأ تلك الاصناف ايضا من درجة نمو تلك النباتات لان من المعلوم ان منسوجها يكون اولا مبيضا معتما فاذا نضج ولان فانه يسمر ويكتسب قوامه ولونه وعطريته الاعتيادية عند تمام نضجه الذى يكون فى اخر الخريف او فى الشتاء وفى هذا الزمن يكون جليل الاعتبار اما فى الصيف فانه يكون سنجابيا معتما مندمجا وقليل العطرية جدا ولا تتميز اصنافه فى هذا الزمن عن غيرها من اصناف

الكمأة الا بسطحها الظاهر الاسمر وترصيعها بالنقط واما الانواع الاخر فسطحها املس * وذكر بعضهم ان للكمأة ثلاثة اصناف * الاول هو الاقبل لرائحته ولينه ولا ينضج الا فى زمن الجليد * الثانى وهو الذى لحمه من الباطن ابيض واصلب واقبل رائحة وينضج قرب الربيع * والثالث لحمه بنفسجى وهذا نادروقشر هذه الاصناف هو الجزء الاصلب ويطرح منه لاجل اكله ونباتات الكمأة توجد فى الاراضى الخشنة و الاراضى المحمرة الموجود بها مغرة والاراضى الحديدية ونحو ذلك وعلى طول المجارى والقنوات وفى غابات القسطل ونحو ذلك حيث لاينبت غيره الا بعسر فى العادة وينمو فى جوف الارض حتى يبلغ عمقه من ستة قراريط الى سبعة والاغلظ منه يشقق الارض قليلا وبذلك يفرقه الاشخاص المعتادون على اجتنائه خلاف الرائحة والصوت الذى يسمع من الارض فى المحل الذى يكون محويا فيه وكذا الحشرات التى تطير فوقه وغير ذلك وتحفظ تلك الكمأة فى جزء من ترابها لاجل ان يقل جفافها وبعض السنين تكون فيها كثيرة جدا وهى فى الغالب الكثيرة المطر وفى بعضها تكون قليلة وجربوا استنباتها بالصناعة فلم يتيسر لهم ذلك وجميع الناس يعلمون اعتبار هذه الكمأة فانها غذاء سليم مقبول ينهضم جيدا اذا اكلت بلطف لاسيما اذا نظفت قبل ذلك من قشرها وتبلت بالافاوية تبيلا مناسبا ويوضع منها فى اليخنيات وفى امراق اللحوم وتحشى بها الطيور والفطائر وتعمل مفلفلا بالرز وغير ذلك فيعطى لها طعما لذيذا يرغب له المشغوفون بالمآكل اللذيذة ويفتح شهياتهم ونسبوا لها ايضا خاصية تقوية الباءة ولذا يسأل عنها اصحاب الرغبات فيه وتلك الكمأة التى هى ثمينة ممدوحة عند اغلب الناس كثر التشنيع عليها من اشخاص اخر فاتهموها بانها ثقيلة على المعدة مسخنة غير قابلة للهضم وذكروا ايضا انه يعسر حفظه ويسرع تعفينه وانه يسبب القىء والقولنجات ولكن تلك الاشخاص على حسب الامور كانت معدتهم ضعيفة غير قابلة لهضم الكمآت وكثرة استعمال

الكمأة على الموائد المعتبرة وغلوثمنه وعلو شانه غطى عيو به واخفاها واكد مدحه الزائد ولذا لم يؤثر ذم اخصامه فلم ينخفض مقامه لم تنقص اسعاره وذكر اليونان انهم كانوا يرونه بغاية الاعتبار كما هو عندنا * وذكر جالينوس ان اليونانيين كانوا لا يحتقرونه بل يعتبرونه وكانوا يخترعون في مدينة اثينا من بلادهم لاطفال بيت المملكة انواعا من تخنياته وهذا النوع يحتوى على كثير من الزلال ويعطي بالتقطير كربونات النوشادر وذلك يقربه لرتبة الحيوانات واكد بعضهم فيه وجود حديد وبعض مركبات ناشئة من عطريته الجليلة وطعمه اللذيذ (في اللوبيا) اصل هذا النوع يقينا من الاسيا كاغلب الانواع الاخر واستنبت باوربا ويعرف له اصناف كثيرة احدها بزوره حمر واخر كبطن الغزالة وآخر ابلق اى بياض مع سواد وغير ذلك واكثرها عددا ما كانت بذوره بيضا وتلك البذور تكون تارة منضغطة وعلى شكل الكلية وتارة بيضاوية مستديرة وغير ذلك واحسنها ما كان [illegible] تنطبخ سريعا ويسهل اخراج الدقيق منها والصنف المشهور منها لوبيا مسواصون فانها بقل سهل الزراعة كثير الوجود يسال عنه جميع رتب الناس سيما الفقراء في الشتاء لرخص ثمنها واللوبيا تؤكل قرونا وتسمى اللوبيا الخضراء ويعمل منها اطعمة لذيذة يعتنى بها اللطفاء من الناس اكثر من اعتنائهم بالحبوب لانها اسهل هضما منها واقل ريحية وسيما اذا طبخت في الماء وتبلت بالزبد الطرى وتحفظ مدة الشتاء اما مجففة او في شبه سنامورة وتؤكل البذور قبل نموها طرية مدة جزء من الصيف فيعمل منها حينئذ طعام يوافق باى كيفية كانت النحاف والسمان مطبوخة باللحوم وغير ذلك بل سلطات واذا كانت جافة فانها تحفظ مدة سنين وتنفع كثيرا في الطبخ فتعمل منها اطعمة بكيفيات كثيرة وتستعمل لتحضير شوربات وامراق بقولية وغير ذلك ومنافعها بالاكثر للفقراء وكانت كذلك قبل شهرة تفاح الارض اى البطاطس وادخلوها في الخبز زمن القحط واتهمت اللوبيا بانها عسرة الهضم ثقيلة ريحية مسهلة بلطف ولكن ذلك لا يحصل الا للمعد اللطيفة او

الاشخاص الضعاف او المشتغلين بالكتابة والافكار او المتقدمين فى السن ونحوهم واما الاقوياء الذين يتريضون كثيرا فلا يحصل لهم منها خطرا اصلا واما اللوبيا الحمراء التى تحتوى على قاعدة قابضة يسيرا فيقل انها تسبب قراقر اقل ولا يحصل منها كالانواع الاخر تكون غازات معوية * ومن انواعه لوبية اسبانيا واللوبية المزهرة وهى زينة البساتين لجمال ازهارها الحمر ويمكن ان تؤكل ثمارها خضراً لبزورها الملونة بالالوان * ومن انواعها الماش وقرونه زغبية وبذوره ماكولة فى بلاد فارس والشام وغيرها قال اطباء العرب الماش يقال له الكشرى وهو حب كالكرسنة الى الخضرة والطول يقارب اللوبيا واجوده الهندى ثم اليمنى واردؤه الشامى ويقولون انه بارد معتدل الرطوبة واليبوسة وهو الطف من العدس وغيره بل هو اجود القطانى واقلها نفخا لكنه بطئ الانحدار لقلة جلائه واذا قشر كان اقل فى ذلك لتليينه وهو يولد خلطا محمودا ويصلح غذاء للمحمومين لكونه يمنع الحرارة ويكسر زخامة الدم والحمى واللهيب ومزورته الطف المزاور وخصوصا لاهل الصداع وهو من الاغذية الصيفية والربيعية والبلدان الحارة والمحرورين وان اريد منه تليين الطبيعة طبخ بماء القرطم ودهن اللوز الحلو وان طبخ بقشره مع ماء الحماض عقل وكذا اذا اضيف له ماء الرمان وسماق وزيت او نحو ذلك فحينئذ يعقل الطبيعة وهو يحلل الاورام ضمادا ويجلو الكلف ويغير الالوان (فى اللفت وهو السلجم) جذر هذا النبات غذائى للادميين والحيوانات واذا كان طريا وطبخ كان كثير السكرية بل قد يستخرج منه سكر ويسهل هضمه وان كان مولدا للريح قليلا فى المعدة والامعاء ويجمع مع اللحم ويحشى فيكون لذيذا ويدخل فى الشوربات ويخلل فيكون لذيذا وتستعمل فى الطب فيكون ملطفا اصدريا مقطعا للاخلاط مسهلا للنفث وتعمل منه مغليات تستعمل فى الامراض التهيجية ويستخرج من بذور اللفت دهن يكون كثيرا فى بعض الاصناف مسمى بزيت السلجم اللفتى ويستعمل للاستصباح وغيره من المنافع المنزلية وتدخل البذور فى ترياق اندرماخس لان القدماء كانوا يظنون انه مضاد للسموم وكانوا يعملون من لب اللفت المطبوخ ضمادات محللة وفروعه الصغيرة

تؤكل فى كثير من البلاد زمن الربيع كما يؤكل الاسفاناخ ويقولون انها لذيذة وخواص اللفت عند العرب هى خواص السلجم لانها عندهم نوع واحد (فى الكرنب) الكرنب كاغلب الخضراوات يحصل فيه بالغلى ظاهرة كبيرة وبقوّبه تتغير طبيعته فاذا كان نيأ كان يابسا فيه بعض مرارة ورائحة مقبولة يسيرا واحيانا تكون وفى اول قلى تظهر عطريته و تنتشر منه الى بعيد فاذا اوقف الغلى كان ماؤه نتنا ويتلف بسرعة غريبة فيقذر المطبخ والمحال القريبة له فاذا دووم على طبخه نقصت هذه الرائحة ولان النبات وصار سكريا واكتسب طعما مقبولا فتكون المرقة الناتجة من ذلك لذيذة الطعم مغذية وسيما اذا جمع باللحم ويخلط ايضا بالاطعمة اللحمية فيكون طعاما ثمينا لسكان الارياف ويلزم ذلك ان يطبخ الكرنب جيدا اذا اريد منه انالة خواصه المغذية ويلزم زمن اكثر من خمسة ساعات للطبخ حتى تحصل منه التغيرات النافعة لصيرورته غذاء سليما مقبولا وثبت بالتحليل الكيماوى فيه وجود كبريت وقاعدة حيوانية ويكونان فيه اقل من القنبيط ويؤكل الكرنب فى اشوربات ومع اللحم وتصنع منه اطعمة عديدة بعضها احسن من بعض فهو غذاء عظيم التغذية ومع ذلك هو مولد للرياح والقراقر فى المعدة والامعاء وذلك ناشئ فى معظم الاحوال من عدم جودة الطبخ * وزعموا انه يمنع الاسكار وانه مضاد للخمر وانه يحفظ من النقرس وان ماءه الاول مسهل خفيف والاخير قابض ولكن يقرب للعقل انه ملطف وتكلم من القدماء بلنياس على عصارة الكرنب وذكر انها نافعة من اتسمم بالفطر السمى واوراقه الطرية تنفع من القروح الساعية وكانوا يستعملون بزوره ضد الديدان * وذكر ذلك اطباء العرب وزادوا عليه من تجريباتهم ان النبات كله يفجر الاورام ويلحم القروح وانه بالنطرون والعسل يزيل الجرب والنمساويون يحضرون من الكرنب غذاء يسمونه الكرنب المقشر او المنزل تشبيها له بالسمك المنزل وله عندهم التعاقب عظيم ويعدونه مضادا للخمر قوى التأثير * وكيفية ذلك ان يوضع على التعاقب طبقة من الكرنب

المسلوق سلقا جيدا المقطع الى صفائح رقيقة ثم طبقة من ملح مع بعض قضبان من بزور الكراويا فيحصل منه نوع تخمر حمضي ويسيل منه ماء نتن يخرج من حنفية فى الدن الذى وضع فيه ذلك ويجدد هذه السنامورة فى اليوم الثانى عشر حتى ينزل الماء صافيا ثم يحفظ الدن جيدا بسده وهذا الكرنب المتخمر يؤكل مع اللحم وسيما فى الشتاء والظاهر انه لايكون سهل الهضم فلا يناسب المعد الضعيفة ويحضر من الكرنب مرقة وشراب يناسبان الاشخاص الذين صدورهم فى غاية اللطافة ويؤمر به للمسلولين لان هذا النوع كثير السكرية ويستدعى كثير طبخ فى الماء حتى يصير قابلا للاكل وعلة ذلك يقينا لاحتوائه على كبريت واكثر منه القنبيط ويعمل منه مربى بالسكر وبالعسل تستعمل فى امراض الصدرية ويعمل منه سلطات ومخللات وكانوا سابقا يطبخون الكرنب الاحمر فى مقدار كاف من الماء فالشراب يكون بذلك اكثر اعاية وبذر الكرنب الذى يزرع بمصر مضاد للدود لانه شديد المرارة (فى القنبيط) القنبيط هو اغلظ واقوى وابطأ فى المعدة من غيره وورقه الناشئ حواليه اقل اضرارا واصلح من جارته الناشئة فى وسطه واجتناؤه كله احمد لتوليده الدم العكر والاكثار منه يضعف البصر وهو مطلق للبطن كثير البخار يولد احلاما رديئة وسددا فى القنوات الصفراوية واصلح مايؤكل منه باللحم او بدهن اللوز وجمارته تهيج القراقر والنفخ وتزيد فى المنى وهو ثقيل جدا (فى الهليون) جذر الهليون احد الجذور الخمسة المفتحة ومن المؤلفين من فضل فى الاستعمال الطبى جذر الهليون البرى * قال بعضهم يوجد صنف من الهليون الطبى لايوصل للبول الرائحة المعروفة وهو ابيض فى جميع طوله لانه يقطع من جوف الارض حينما يخرج طرفه الحاد ولايوجد الهليونين الا فى الجزء الاخضر والهليونين هو الجوهر الموجود فيه والاشخاص المألمة مثانتهم تشتد قواهم اذا اكلوا الهليون وقد كان للهليون شهرة عظيمة منذ سنين ويحضر شراب من براعيمه الدقيقة وكان ممدوحا جدا وهو على راى بعضهم دواء قوى مسكن وخصوصا فى خفقانات

القلب

القلب ولكن الآن ضعفت شهرته * وزعم بعضهم ان الذى لم تؤثر فى البول تهيج المثانة * قال بعضهم ونحن لم نشاهد اصلا هذه النتيجة لاننا نعرف اشخاصا استعملوا منه مقدارا كبيرا جدا بدون ضرر ومن المعلوم انه لا يستعمل منه الا جذوره التى لا تحتوى الا على الهليونين * واما البراعيم فتحتوى على مقدار كبير منه وقال بعضهم انه من زمن طويل قد نبهوا على امر عظيم الاعتبار وهو ان اصناف الهليون توصل للبول رائحة كريهة مخصوصة مع ان الهليون نفسه قليل الرائحة فالتزموا ان ينسبوا لذلك الجوهر فعلا واصلا مباشرة على الاعضاء البولية ولذا عدوه من الادوية المدرة للبول بل نسبوا له تقوية الباه ومع ذلك اذا نظرنا نظرا صحيحا نرى ان الرائحة التى توجد دائما فى بول الاشخاص الذين استعملوا الهليون تشتمل على امر غريب يعسر توضيحه وذلك انه يوجد شىء شبيه بذلك فى رائحة البنفسج التى توصلها التربنتينا للبول سواء استعملت من الباطن او استنشقت تصعدات فقط * ومن الواضح يقينا ان هذين الجوهرين ينوعان نائج الافراز البولى تنوعا مختلفا ولكن مما يخالف التجربة ان يقال انهما يزيدان فى مقدار البول ويقتضى ذلك يوضعان فى رتبة مدرات البول التى نتيجتها فى الحقيقة يلزم ان تكون هى ازدياد مقدار السائل المفرز بفعل الكليتين * فن المهم اعنى هل الهليون مدر او غير مدر وربما كان الجواب عن هذه المسألة ان هذا الدواء فقد كثيرا من شهرته واطباء زماننا هذا الذين يعتبرونه مفتحا ومدرا للبول لا يعدونه الا مع الادوية الضعيفة فى هذه الخواص ولا يأمرون باستعماله الا مصحوبا بجوهر اقوى فعلا منه ويستعملون جذوره مطبوخا مائيا بمقدار من ستة عشر درهما لاجل مائتين وخمسين درهما من الماء * قال بعضهم وقد شاهدنا اعطاءه بمقدار مزدوج او مثلث بدون خطر وبدون نتيجة علاجية ايضا وما شاهدنا منه اصلا بول الدم الذى زعم بعض المؤلفين انه كان نتيجة استعماله وما شاهدنا اصلا استعمال براعيمه الصغيرة الا كجوهر مغذى انتهى * وذكر بعض المؤلفين ان لهذا الجذر بعض منافع فى علاج الاستسقاآت والرشحات الخلوية ثم

نقل ان الهليونين لا وجود له فى هذا الجذر ثم ذكر شراب براعيم الهليون وانه يحضر من عصارتها ثم ذكر تحاليل العالمين الكيماويين لهذه العصارة وانها تحتوى على الهليونين ثم قال وظنوا انهم وجدوا هذا الشراب دواء ثمينا فى علاج امراض القلب وتجاسروا على تشبيهه فى هذه النتيجة بالديجتال ولكن التجربة لم تؤكد هذا الزعم نعم هذا الشراب اذا استعمل بمقدار من اربعة ملاعق الى ستة فى اليوم يحرض سيلان البول الذى يوصل اليه هذه السائل الشرابى الرائحة النتنة التى يكتسبها البول ايضا اذا استعمل الهليون نفسه بل يحدث احيانا استفراغا نقليا ولكن فى ضخامة القلب لا يقلل قوة ضربان القلب ولا يعدل شدة الضربات الشريانية كما يفعل الديجتال ذلك فاذا كانت انقباضات القلب غير متساوية وغير منتظمة ومضطربة لم يقدر هذا الشراب على قمع هذا الانخرام ولم يوصل لهذا الحشا الحركات التى تقرب شيأ فشيأ الى الانتظام الطبيعى مع ان هذا ينال فى العادة من استعمال الديجتال * فاذا قيل ما آفات القلب التى يقدر شراب البراعيم على قهرها ومقاومتها * فنقول انه ليس له فعل على ضخامة القلب وكذا لا فعل له ايضا على تمدده واتساعه * فاذا قيل ان هذا الشراب يؤثر تأثيرا عصبيا وبذلك يقطع التأثير المنخرم لاعصاب القلب * فنقول هذا امر فرضى لا سبيل الى تحقيقه اذ يفرض من هذه الخاصية ان الهليون يطبع فى الجهاز المخى الشوكى تأثيرا ولكن بعد ازدراده لا تشاهد ظاهرة تعلن بان المخ والنخاع الشوكى وضفائر العصب العظيم الاشتراكى كابدت تغيرا فى حالتها العادية اما انا يا بنى فانى ما شاهدت اصلا نفع هذا الشراب الا فى الاحوال التى كان فيها اوزيما خلوية اى نفخ فى الاطراف وحصل من استعماله استفراغ بولى كثير اذهب انتفاخ الجسم فشراب هذه البراعيم دواء متوسط النفع لا يمكن ان يلحق به الديجتال الذى ينتج نتيجة زائدة الاعتبار فى ضخامة القلب وفى الخفقانات العصبية وليس هناك دواء مثله معروف يخلفه فى ذلك * وقد شاهدت يا بنى ان هذا الشراب لم تحصل من استعماله اربعة ايام او خمسة تخفيف على المصابين

بتلك الامراض وان الديجتال تحصل منه جودة جليلة لهم فى مثل تلك الايام نعم يوجد فى كثير من المشاهدات ان خفقانات القلب انقطعت بعد استعمال هذا الشراب ولكن من المعلوم ايضا ان هذه الخفقانات كثيرا ما تقف من نفسها بدون ان يعلم سبب سكونها * وبالجملة يشكك تشككا قويا فى جوهر يستعمل غذاء للانسان ويدخل فى المطابخ ثم يذكر فى صناعة العلاج بوصف كونه دواء قويا فى علاج امراض اشد انتهى . وقال بعضهم اكثر استعمالات الهليون ان يؤكل غذاء ويؤكل براعيمه الغضة جوده فاذا طبخت فى الماء سريعا وعمل لها خلطة تتبل بالافاوية حتى يكون لها ذوق مخصوص ثم تغمس فيها تلك الاغصان الصغيرة اللينة ويؤكل منها فبمجرد الازدواج يخرج البول برائحة نتنة مخصوصة تظهر ايضا بنقع بعض انواع من هذا الجنس فى الماء * قال جملة من الاطباء فى جميع انواع الهليون كما هى غذاء جيد سليم تستعمل ايضا دواء مدرا للبول محللا مفتحا وغير ذلك وتنهضم بسهولة فى اغلب الاحوال فمن الغلط اتهامها بانها تحرض النقرس وتنتج ازفة دموية وغير ذلك * ونحن يا بنى ما رأينا منها الانتائج جيدة جيدة نهاية انه يمكن فرض ان تأثيرها على المجموع البولى يلزمنا منع استعمالها فى الاحوال التى يكون فيها هذا المجموع متنبها انتهى كلام المتأخرين (فى كلام المتقدمين على الهليون) اطنب اطباء العرب الكلام فى الهليون وسيما ابن البيطار حيث نقل ما ذكره فيه افاضل القدماء فنقل عن جالينوس ان فى هذه الحشيشة قوة تجلو واليس لها اسخان ولا تبريد ظاهر اذا وضعت من الخارج وبتلك القوة تفتح سدد الكبد والكليتين وخصوصا اصلها وبذرها وتشفى من وجع الاسنان من غير ان تسخن وهذا اعظم شئ يحتاج اليه الانسان * وعن ديسقوريدس اذا سلق خفيفا واكل لين البطن وادر البول واذا طبخت اصوله وشرب طبيخه نفع من عسر البول واليرقان واذا تمضمض بطبيخها سكن الم السن المؤلم واذا شرب بذره فعل ما يفعله الاصل اى البذر * وعن ماسويه انه حار رطب مغير لرائحة البول مزيد فى الباه مفتح للسدد منق للكلى نافع من اوجاع الظهر العارضة من

الرطوبة ومن وجع القولنج * وعن الرازى فى دفع مضار الاغذية انه يسخن البدن سخونة معتدلة ويسخن الكلى والمثانة وينفع من تقطير البول العارض من برودة المشايخ والمبرودين * قال ابن عمران انه حسن التغذية جيد التنمية ملطف وينهضم سريعا * ونقل عن الاسرائيلى ان البستانى اعدلها رطوبة واكثرها غذاء لانه اذا انهضم واستحكم نضجه صار غذاؤه اكثر من سائر غذاء البقول ولذلك صار مزيدا فى المنى * واما البرى فهو اكثر منه يبسا وجفافا واما الصخرى فهو اقلها رطوبة ولذا كان اقواها جلاء من غير اسخان بين ولا تبريد ظاهر انتهى (فى بيان كيفية المقدار) المقادير والمركبات المأخوذة منه عند اطباء هذا الزمان مطبوخ الهليون يصنع باخذ مقدار منه من عشرة دراهم الى ثلاثين لمائتى درهم من الماء ومغلى الجذور الخمسة يصنع باخذ ستة عشر من كل من جذر الهليون والصغير من شرابة الراعى وشقاقل ومائة جزء من الماء وثمانية اجزاء من كل من جذر البقدونس والشمار ومقدار من السكر وواحد من ملح البارود ويستعمل ثلاث بالاكواب * وشراب الجذور الخمسة يؤخذ ستة عشر من كل من جذور الهليون والصغير من شرابة الراعى وكرفس الماء والشمار والبقدونس وخمسمائة درهم من الماء المغلى وثلاثمائة وخمسين من السكر والاستعمال من اربعة دراهم الى ثمانية الى خمسة عشر * وخلاصة جذور الهليون تصنع بأخذ مقدار كاف من جذور الهليون الرطبة فتنظف وتغسل مع الانتباه وتدق ويضاف عليها من الماء ما يغمرها جيدا ثم تعصر وتصفى وتبخر فى محل دافئ فى اصحن مفرطحة وهى قوية الفعل فى ادرار البول ومقدار الاستعمال من ثلث درهم الى ثلاثة دراهم بلوعا ارفى جرعة فهى مدرة جيدة * وخلاصة براعيم الهليون تصنع باخذ المقدار المراد من عصارة الهليون وتصفى وتبخر على نار هادية والمقدار منها مثل مقدار خلاصة جذور الهليون المتقدمة * وشراب براعيم الهليون يصنع باخذ المقدار المراد من براعيم الهليون والمقدار الكافى من السكر ثم يدق الجزء الاخضر من الهليون وتؤخذ عصارته ثم تسخن هذه لاجل عقد الزلال وتصفيتها ويضاف لهذه

العصارة

العصارة مزدوج وزنها من السكر ويصنع ذلك شرابا * والاستعمال من عشرين درهما الى خمسين (فى بيان الخرشف) نبات من الفصيلة الشوكية ويسمى باليونانى سقواوموس وله اصناف تكلم عليها اطباء العرب فذكر ابن البيطار وغيره ان المشهور بهذا الاسم نوعان بستانى ويسمى الكنكر بالفارسية وقنار يه بعجمية الاندلس ويسمى بالعربية خرشف وهذه التسمية جامعة لجميع الفصيلة الشوكية * وحيث كان الخرشف الذى نحن بصدده فى حالة كونه بريا منظره كمنظر الشوك كما وضعه النباتيون فى القسم الشوكى وكان مجمع الزهر قليل الثخن صلبا جلديا ولم تتغير فيه تلك الصفات الا بالاستنبات بحيث تكتسب بذلك اجزاؤه المختلفة نموا عظيما وسيما المجمع المسمى الآن بالجى انار كان جديرا بالكلام عليه * فلذلك نقول انه يستعمل فى كثير من الامراض كالالتهابات المزمنة فى الكبد وعلى الخصوص الاستسقاء وتستعمل عصارة جذره التى هى حريفة مرة اكثر من مرارة السوق وحرافتها فتختلط بمثلها فى الوزن عند المسيحيين بالنبيذ لاجل ادرار البول * وازهاره المجمعة الى باقات تجنى قبل فتحها ويؤكل مجمعها وقاعدة وريقاتها اما نيئة او بعد غليها فى الماء والخرشف الصغير يؤكل نيأ بالملح سلطات ويختار منه ما كان صغيرا جديدا حتى يكون طريا مقبولا اما اذا ترك حتى وصل لعظمه فلا يجنى الا لاجل طبخه لانه حينئذ يكون مر الطعم غضا كريها ولكن تسهل ازالة ذلك منه بالطبخ فتصنع منه مآكل كثيرة وقد يجففون المجمع ليضعوه زمن الشتاء فى الخضنيات والامراق وذلك كله غذاء سهل الهضم لطيف يناسب الناقهين والاطفال والاطفال انتهى كلام المتأخرين (فى بيان ماقاله اطباء العرب) اما اطباء العرب فوسعوا فيه دائرة الاستعمالات الطبية ونقلوها من كتب اليونان فذكروا عن المعلم ديسقوريدس انه بعد ان قال ان بذره طويل اصفر اللون وجذره لزج مخالطى فى لونه حمرة ذكر انه اذا تضمد بجذوره وافقت حرق النار والتواء العصب واذا شربت ادرت البول وعقلت البطن ونفعت فى الالتهابات الرئوية وازلت تقاص اطراف العضل وعن جالينوس ان جذره

يحدر بولا كثيرا منتنا اذا سلق وشرب ولذلك يذهب برائحة الابطين ونتن المغابن ويخرج الاخلاط الفاسدة ويطيب العرق وقال الرازى ادراره للبول اكثر من ادرار الهليون (فى بيان العقوب) اصله من بلاد المغرب وهو نبات معمر استنبت ببعض البساتين ولما استنبت بالبساتين تنوعت اشكاله وصار صنفا من البستانى تؤكل منه الزنيبات وجوانبها المستطيلة بعد تنظيفها الان الاستنبات افادها طعما اعذب وقواما اضعف متانة * وذكر اطباء العرب يا بنى ان النبتة وما يخرج فى ساقها قبل اشتدادها تصلق وتؤكل مطبوخه بلبن وبغيره فتحرك الباءة وتهيجه وادمان اكلها يولد كيموسا رديئا غليظا فينبغى ان يتعهد مدمنوها تنقية ابدانهم باخراج السوداء وتلطيف الاخلاط * وقال المتأخرون ان طبيخه يشبه فى الطعم طبيخ الخرشوف انار شبها قويا فتصنع منه اطعمة وامراق فيكون غذاء مقبولا للنفس انتهى واذا قلى البذر طاب طعمه وكان مهيجا للباءة لذيذا * وانما اقتصرنا على ما ذكر فى هذه المقالة الاولى التى اشرنا اليها فى اول الخاتمة خوفا من الملل والسآمة ومن اراد المزيد على ذلك فعليه بكتابنا كشف الاسرار النورانية فان ما اودعنا فيه مما يشفى العليل ويبرد الغليل (المقالة الثانية فى بيان اللحوم) وفيها ابحاث (البحث الاول فى بيان الامراق) الامراق محلولات مائية قاعدتها اللحم الحيوانى ويضاف لها حشائش او بقول وتنقسم الامراق الى غذائية ودوائية * فالامراق الاول تصنع من لحوم الحيوانات الواصلة الى سن البلوغ * والامراق الثوانى تصنع من لحوم العجول او الفراريج * والامراق الغذائية تحضيرها وصل الى كمال اتقانه الآن والتجربة اثبتت كل يوم انه لابد من مراعات شروط حتى تحصل مرقة جيدة وتلك الشروط معروفة عند مدبرى المنازل الشرط الاول ان يوضع اللحم فى الماء البارد ويوصل ببطئ لدرجة الغلى لانه اذا غمس مباشرة فى الماء المغلى لاتتكون منه رغوة وانما يجمد حالا الزلال والاشياء الزفرة اى المادة الملونة للدم ويتكون منهما شبه غلاف يكون مانعا لخروج قواعد اللحم القليلة الذوبان مباشرة باطلاق وقد شاهد بعضهم انه

اذا غمس اللحم فى الماء المغلى كانت المرقة اقل جودة فى الطعم وروى ان جزء
المواد الذائبة نقص * الشرط الثانى يلزم ان يحفظ السائل فى حرارة قريبة
للغلى فقط وهذه الحرارة اللطيفة ضرورية نافعة جدا للطناجير الفخار لانها
اقل تحملا للحرارة من الطناجير المعدنية ونافعة للتحفظ من الوثبات النيرانية
الشرط الثالث لا يحضر من المرقة الا مقدار يسير بقدر الحاجة ولا يحضر
فى طناجير كبيرة لان الحرارة تعسر اماتتها متساوية لطيفة حيث ان مقدارها
كبير فالغلى لا يحصل فى الطبقات السفلى الا من تأثير ضغط اكبر من ضغط
الهواء الجوى وذلك كاف لاحداث ابتداء تغير فى الهلام * والمرقة تحتوى
على مواد حيوانية يظهر انها تنفع بالاكثر للتغذية وعلى قواعد عطرية تظهر
طعمها وتنسب للتغذية ايضا اما بنفسها او بتسهيلها التمثيل * قال بعضهم
ويضاف لذلك فى العادة البقول ليزيد طعمها وتصير اقبل واكثر ما يستعمل
منها الجزر واللفت وانواع البصل والكرنب والكراث واللوبيا وغيرها (فى
مرقة العجول) يؤخذ اللحم العضلى للعجل مع اجزائه الغضروفية والوترية
والعضمية المتعلقة به ويغلى على نار هادية وقدر ما يؤخذ من الماء ثمانون
درهما لاجل ستة عشر درهما من اللحم وسبعون من اللحم لاجل اربعمائة درهم
من الماء وهلم جرا وهذه المرقة تكون تارة مغذية فتنهضم وتارة دوائية فاذا
مرت فى المعدة والامعاء كابدت عملا يغير طبيعة موادها ويخرج منها مقدارا
من الكيلوس اذا مازج هذه المرقة ولكن كثيرا ما تمتص بدون ان يحصل لها
تحويل كيلوسى فتدخل قواعدها فى البنية ويحس بالتأثير المرخى فى جميع
منسوجات الجسم وتلك المرقة مشروب تفه عديم الرائحة وكثيرا ما يتضح
تأثيرها على الاعضاء فيحصل بعد بعض ايام من استعمالها نقص فى الشهية
وعسر هضم لكونها تضعف المعدة وتخمد فعلها وتتضح تلك النتيجة بالاكثر
فيمن اعضاؤهم الهضمية لطيفة المزاج اوضعيفة التغذية اومسترخية اوقل
فيها التأثير العصبى حتى صارت تلك الاعضاء فى حالة ضعفية اما من كان فيهم
الغشاء المعدى زائد الاحمرار اوحارا اومشغولا بالتهاب اومغطى بقروح فان

تلك المرقة تكون فيهم دواء لتلك الآفات ومشروبا نافعا ويؤمر بهذا المشروب ايضا فى تقلص المعدة وكذا اذا تسبب عن تأثير عصبى قوى مخرم فى اغشية هذا العضو انقباضات غير اعتيادية وجذبات واعتقالات ونحو ذلك * وتناسب ايضا اذا كان فى القناة المعوية تهيج او التهاب فتنفع نفعا جليلا فى الاسهالات والاستفراغات الدوسنطارية التابعة لتلك الافات وتسكن القولنجات والاحتراق وغير ذلك مما يحس به المريض فى البطن وتقلل كثرة الاستفراغات التفلية حتى تكتسب قوامها وشكلها الطبيعيين فاذا كان فى الامعاء الغلاظ تقرحات استعملت تلك المرقة حقنة ولا يضاف لها ملح الطعام * واستعمال تلك المرقة خفيف جدا كمشروب مرخ اكثر من استعمالها كسائل غذائى فى الحميات والتهاب اعضاء الدورة والاعضاء الرئوية والجلد ونحو ذلك فينال من فعلها الملاطف المرخى بعض جودة فى عوارض تلك الداآت بحيث تلطف الاحتراق الحمى وتندى اللسان وتسكن العطش وتعيد التنفس اللطيف وتسيل البول وتقلل تعب المريض وقلقة وكانها تعيد القوى التى اضعفها الداء ويشرب المريض منها كوبا صغيرا فى كل اربع ساعات وبذلك يصير تأثيرها الجيد على الجسم المريض كانه مستدام فيمتلئ ذلك الجسم من اجزاء اهلامية تؤثر باستقامة على جميع الالياف الحية وتلطف حركات الاعضاء تلطفا نسبيا اذا كان فيها افراط فاعلية ويستشعر ايضا بتأثيرها فى المراكز العصبية فيضعف تأثير هذه المراكز اذا كان قويا وينتج من ذلك تسكين يمتد بجميع الاجهزة الاخر العضوية * وقد ذكر الاطباء عوارض مرضية عديدة لشدة قابلية التهيج فى الاعصاب وزيادة حركة فى المجموع العصبى ولكن يظهر ان ذلك محفوظ بافراط مستدام فى حيوية المراكز العصبية وبزيادة ممارسة قوتها فى احداث الاصول الحيية التى تنشرها الاعصاب فى جميع الجسم فتستعمل كل يوم مع الاستدامة زمنا طويلا تلك المرقة الهلامية لارجاع هذه الوظائف الى ميزانها الطبيعى فلذلك تكون دواء للآفات العصبية التقلصية والتشنجية * ومن المهم ان يعلم الفرق التام بين مرقة

العجول ومرقة الاثوار تحتوى زيادة عن ذلك على مواد خلاصية وتتميزان
ايضا فى الصفات المحسوسة فاحداهما تكون عديمة اللون والرائحة تفهة
والاخرى صفراء زاهية مقبولة الطعم لذاعة وفيها عطرية واضحة * وتختلف
تأثيرها ايضا على الاعضاء فمرقة العجول تسبب استرخاء فى المنسوجات
العضوية وتقلل شدة حيوية الاعضاء * ومرقة لحوم الاثوار تفعل فى الاجسام
الحية تأثيرا ينبهها ويزيد فى فاعليتها فيوجد فى صناعة العلاج بين هذين
السائلين ما يوجد بين دواء مرخ ودواء منبه فيوصى بمرقة العجول لتلطيف
اضطراب الدم وسرعة النبض وشدته ومقاومة العوارض الالتهابية ونحو
ذلك * وتستعمل مرقة الاثوار اذا اريد تقوية القوى الضعيفة والاثوار
هى المخاصى من الصغر ليس الاثوار الشغالة لشق الارض وهذه مضرة
جدا رديئة ثقيلة عسرة الهضم واما ذلك فهو واسطة مقوية يؤمر بها
فى الامراض التى تستدعى الادوية المنبهة * وكان بعضهم يعرف ان نتائج
كل منهما تختلف عن الاخرى فكان يأمر باستعمال مرقة العجول فى ابتداء
الامراض الحمية والالتهابات الجلدية ويعرف جيدا ان مرقة الاثوار فى تلك
الحالة تزيد فى التعب والحرارة والعطش والتكدر الحمى ونحو ذلك * وثبت
عنده من تجربياته ان المرقة المقوية الناتجة من غلى لحوم الاثوار المخاصى
لاتعطى الا فى أواخر الامراض لتذهب الضعف الحاصل منها وتوقظ
فاعلية الاصول الحيوية فوضع مرقة تلك الاثوار بين المقويات مع النبيذ
والسوائل الروحية ووضع مرقة العجول بين المحللات والمرخيات ووضع
مرقة الاثوار الشغالة بحرث الارض بين المكدرات والمثقلات (فى مرقة
الدجاج) تؤخذ الدجاجة وتنظف وتخرج احشاؤها ويفصل منها العنق
والاجزاء الشحمية ثم تطبخ فى الماء على حرارة هادية فيأخذ هذا الماء منها
الهلام الموجود فى جوهرها * ومقدار مايؤخذ من الدجاج الخالى عن
الشحم مائة درهم مثلا لاجل خمسماية درهم من الماء وتكون تلك المرقة
مركبا غذائيا اذا كان الهلام فى الاعضاء الهضمية محلا هضميا وتكون

دوائية اذا افقدت فوائدها الهلامية فى التغذية بطبيعتها وخواصها المؤثرة
ونبات المرقة تفهة الطعم وتنتج نتائج قريبة تدل على ان فيها خاصية الارخاء
فترخى المعدة وتخرم انتظام الهضم فى كثير من الاشخاص وتخفض الاعراض
المصاحبة للامراض الالتهابية كالحرارة والعطش والتكدر الحمى * وجميع
ماقلناه فى مرقة العجول يقال فى مرقة الدجاج وكثيرا مايضاف على هذه
المرقة اللوز الحلو المدقوق الخالى من غشائه الخارج وتلك الاضافة توصل
للقوة المرخية التى فى المرقية قوة حديدة فاذا وضع فيها جواهر نباتية مرة
او عطرية تغيرت طبيعتها الدوائية كما تتغير صفاتها المحسوسة وصير تلك
المرقة فاعلا جديدا ليس لخواصها الهلامية فعل اصلا (فى القبج اى
الحجل) من انواع الطيور القبج كالدجاج والحجل والديك البرى والمهم
من تلك الانواع القبج والديك البرى وهو نوعان قريبان لبعضهما يسأل
عنهما الآكل ولذا نخصهما بالذكر فالنوع الاول قبج وحجل وهذا الطير
من اعظم الديكة ولكن انثاه اصغر من ذكره حيث يسكن المحال الاجامية
والغيطان المظللة بالاشجار وغابات السهول ويتغذى من الحشيش والبذور
وبالتربية يستأنس بالناس ويتوالد مع غاية الانثاه ويعرف له انواع كثيرة
واصناف والذى يسمى بالقبج اعتيادى وهو الحجل الابيض والقبج الدهبى
وهذا الطير مقبول عند المتقدمين والمتأخرين ويؤكل فى جميع الازمنة
لاسيما فى الخريف حيث يكون اكثر دسما ويؤكل على موائد الاغنياء
محفوظا بجلده وخاليا نظيفا من ريشه ولحمه اسمر كثير الطعم وسيما فى الخريف
حيث يكون اكثر دسما كما تقدم وارطب واكثر تغذية وهو ممتع بخاصية التقوية
والتنبيه شبيه فى ذلك بخواص القنبر ودجاج الارض والتيس الجبلى وديك
الخليج وغير ذلك وهو انما يناسب الاشخاص الجيدى الصحة * واما الفروخ
الصغيرة للحجل حيث تكون بيضاء طرية مقوية فتناسب بالاكثر الضعف
والناقهين والناقهين * وكانوا يأمرون بها فى تلك الحالة من زمن
جالينوس الى ايامنا هذه فى الكاكسيا هى كلمة يونانية معناها سوق القنية

اداء والخنازير و التقيح الاستسقاء المائى و السل و كذا فى العلاج الصرعى والتسنجات وانزد على ذلك ان بيضه الابيض الحضر لذى هو اصغر من بيض الدجاج لطيف الأكل وان دم الحجل يقولون انه مضاد للسم بسبب كثرة لزوجة زلاله ومرارته نافعة للرمد وشحمه الذى يدخل فى اللصوق يكون نافعا فى التيتنوس والاستيريا اى اختناق الرحم ويستعمل من الظاهر مقويا ومحللا ومضادا للاوجاع الروماتزمية (فى الديوك البرية المخصية) وهذه الديوك معروفة معدودة فى ماكل البشر ويلزم ان تميز بالضبط عن لحم الفروج الذى هو طرى قوى الطعم لطيف مقبول عن لحم المخاصى * وهذه الفراريج بلدية كانت او برية حيث تكون اكثر طراوة واكثر طعما واعظم تقوية ولحم الدجاج الحقيق حيث يكون المتغذى من الحبوب يكون غذا جيدا ايضا وسيما صغير السن ولحم الديك الذى يكون فى العادة جافا وفيه يبوسة كثيرة او قليلة الا اذا كان الحيوان فى صغره ونقول فقط ان الثلاثة الاول يتكون منها غذاء سليم خفيف سهل الهضم مناسب للمعد الضعيفة القابلات للتهيج وللاشخاص الذين لايحتاجون التغذية شديدة الجوهرية وللناقهين من الامراض الحادة وان مطبوخها فى الماء سواء وحدها او مجتمعة مع بعض بقول وقليل ملح يقوم منه امراق ملطفة ومرطبة ومغذية قليلا وجيدة التناسب بحيث كأنها متوسطة بين المغليات البسيطة وامراق العجول عقب الافات الالتهابية والامراض العصبية وكذا فى تهيجات الامعاء وبعض الامساكات وزلق الامعاء واذا اضيف لها نباتات مضادة للحفر او معرقة او صدرية او نحو ذلك جاز ان يتنوع تأثيرها تنوعا نافعا فى الغالب ويكون استعمالها مضاعف المنفعة ومع ذلك قد يستعملون منقوع الدجاج فى الماء المغلى حيث يسمون ذلك شاى الدجاج ولكن بدون كبير منفعة وجعلوا هذا المغلى على حسب زعمهم مشددا فى احوال شبيهة بذلك ولحم الديك يندر استعماله كغذاء لانه قليل الانهضام وانما كان مستعملا بالاكثر لتكوين الامراق الجليديات والعصارات بل وما يسمونه دهن الديك وكانوا

يجعلون الاول ملينا اى مسهلا بلطف ومفتحا وغاسلا واما الآخر ماعدا الاخير فيجعلونها مغذية ومقوية ومشددة والاخير يجعلونه محركا للباه وجيدا لعلاج الجفاف والتشوفه والضعف والعقم ونحو ذلك * واما خواصها الصدرية ومضادة انواع السل حيث نسبو ذلك اللحم هذه الحيوانات المختلفة وكذا الخطر الذى نسبوه لها وهو تعريضها الشخص للنقرس فالتجربة لم تؤكد ذلك ومثل ذلك ايضا خاصية مضادة القوابى ومضادة الجذام وكذا ظنهم اعطاء تلك الخواص للفراريج الصغيرة بتغذيتهم من لحوم الافعى ومثل ذلك الخاصية المنسوبه للدجاجة من هذا القبيل (البحث الثانى فى اللبن) هو سائل ابيض معتم حلو الطعم مقبول جدا ينفرز من الغدد الثديية من اناث ذوات الثدى لتغذية صغارها ليقوم منه احسن الاغذية وابسط الادوية وانفعها وعند خروجه من الثدى تكون فيه عطرية مخصوصة تعلن برائحة الحيوان نفسه ويلزم كونها ناشئة من وجود حوامض فيه وهو مكون بالذات من مادة ملحية ومادة حمضية وثلاث قواعد توجد فيه اما محلولة او مستحلبة اعنى الزبد والجبن وسكر اللبن * ومقدار هذه الجواهر يختلف كثيرا كقوام اللبن وطعمه وغير ذلك من الصفات الاخر وكما تختلف باختلاف الحيوانات تختلف ايضا فى النوع الواحد باختلاف الاقاليم والفصول والامزجة والممارسة وجنس التغذيه وغير ذلك * ولذا يقال ان بعض النساء قد يذهبن الى اقاليم غير اقاليم تربيتهن فيصير لبنهن مالحا لا يصلح لتغذية الاطفال * ومن المعلوم يا بنى ان النباتات الصليبية والثومية توصل للبن الحيوانات طعمها ورائحتها وان قرون البسله الخضر تعطى له ذوقا مخصوصا والكتم لونا احمر والزعفران يلون لونه ويصير الزبد اكثر اصفرارا وان اللون الازرق يكون احيانا واضحا فى لبن البقر ويظهر ان ذلك مرتبط بالاستعمال الغذائى النباتى وبوجود النيل احقيقى فى هذا السائل وان النباتات المسهلة تصير لبن الحيوانات الاكلة لها مسهلا بل ذكروا ان لبن البقرة الواحدة يعتريه تغيرات واضحة فى ازمنة مختلفة من النهار وذلك قد يكون من تأثير

التغيرات الجوية فقط بل قد يتفق فى حلبة واحدة ان الجزؤ الاخير من اللبن يكون اكثر تحملا للزبد فيكون اخف من الجزؤ الاول * ومن المؤكد ان لبن البقرة التى فى حرارة التعشير يعسر تجمده * فقد علم ان اللبن بعد كونه وجيه الصفة دائما ولذا يلزم اختيار ما يناسب منه سواء اخذ غذاء اودواء واول شرط لذلك ان يكون جيدا الصفة آتيا من حيوانات سليمة متغذية من الحشيش الطرى * واجود لبن البقر هو ما يؤخذ من حيوان عمره من ثلاث سنين الى اربع وبعد ان يلد بثلاث اشهر ويجنى فى الصباح الجيد من ايام الربيع * ومن المحقق ان لبن البقرة المصابة بالسل الدرنى يحتوى على مقدار من فصفات الكلس اكثر من ما فى اللبن الاعتيادى بسبع مرات ولبن المدن الكبيرة قد يكون متغيرا لانه اما ان يكون منزوع القشطة اوممدودا بالماء وكثيرا ما يغشونه بالدقيق او ببياض البيض ولكن الذوق والطعم قد يكشفان ذلك ومنفعة للغاش اما زيادة مقدار اللبن او تحسين صفاته وبذلك تعلم انه يمكن تغيير طبيعة اللبن فيجعل مناسبا الاحوال مرضية مختلفة * وبالاختصار مما يتعلق بذلك تنوع صفات لبن المراضع بتدبير اغذيتهن وحصرهن على التغذية نبيذا اوسكرا وان لايستعملن الجواهر الفجة ولاالكرنب ونحوه من الجواهر الغذائية التى ثبت بالتجربة انها تسبب فى الرضيع قولنجات * ومن المعلوم ايضا انه قد يعطى للمرضعات مسهلات اذا اريد اسهال رضيعهن وان يعرضن للعلاج الزيبقى لاجل شفاء اولادهن من الداء الزهرى * وشوهد ايضا اكتساب اللبن خواص السم باكل الحيوان نباتات سمية اوازدراده اغذية كانت موضوعة فى اوانى من النحاس وامثلة ذلك كثيرة (فى الصفات الطبيعية للبن) هو اثقل من الماء ويمتزج به باى مقدار كان ويتجمد على البارد واحسن من ذلك على الحرارة باى حمض كان من الحوامض التى تتضم حينئذ بالجبن فترسبه وتلك ظاهرة تنفع فى بيوت الادوية لتحضير مصل اللبن وتفعل ذلك بالمنفحة والليمون والخل وحمض الطرطير والسنامكى وزبدة الطرطير وكبريتات النوشادر والنوشادر والغشاء الباطن لقوانص الطيور وكذا كثير من النباتات التى فيها بعض مواد

حمضية اوقابضة * واذا عرض اللبن للهواء ولاسيما اذا كان بدرجة حرارة لطيفة فانه يتغطى حالا بطبقة مصفرة تختلف ثخنها ولم يلبث الحال قليلا حتى يتكون تحتها جسم متجمد يسبح فى المصل وبالجملة ينفصل الى ثلاثة اشياء مختلطة يمكن عزلها عن بعضها وهى القشطة والجبن والمصل * واذا وضع اللبن فى اوانى مسدودة وفى حرارة من ثمانية عشر الى عشرين درجة فانه يحصل فيه نوع تخمر بطئ فيتجهز منه غاز الحمض الكربونى ويجمد ويحمض وبعد نحو عشرين يوما يوجد فيه آثار كئول اى روح عرقى ووجود ذلك فيه يوضح لنا تكون النبيذ الذى تصنعه التتار من لبن الافراس وذلك يحمل على ظن ان لبن هذه الحيوانات يحتوى على سكر وخميره وذلك غير موجود فى لبن البقر * واللبن المغلى اسهل حفظا من اللبن العادى فانه اذا تبخر على نار هادية خرج منه ماء مريح اى ذو رائحة ويتحول الى نوع لبة تحلى وتعطر لتوضع فى نوع من الفطائر (فى لبن البقر) ولبن البقر وان كان كثير الاستعمال فى بعض الاماكن للاكل اولعمل الجبن اوغير ذلك ليس هو المستدعى وحده لانتباه الطبيب لانه كثيرا مايستعمل فى معظم البلاد المعتدلة لبن الضأن والمعز والحمير وفى الهند الشرقى والافريقية لبن الجاموس وفى بلاد الفرس والعرب والشام لبن النوق والجمال وهكذا وجميع هذه الالبان تختلف فيما بينها فى اللون والرائحة والطعم والقوام والتركيب وان كانت مكونة من قواعد واحدة والغالب ان لبن الحيوانات المجترة كالبقر والمعز والضأن يكون اكثر تحملا للاجزاء الجبنية والزبدية واقل سكرية اى سكر اللبن من لبن النساء والحيوانات الغير المجترة كالحمير والافراس (فى لبن الضأن) هو بالذات اثقل من لبن البقر واقل مصلا واكثر زبدا ولينا وذوبانا ويحتوى ايضا على جبن اكثر دسما ولزوجة ولا يتكون منه خلط منعقدة وفيه قليل من سكر اللبن ووجد بالتحليل ١١ من القشطة و ٦ من الزبد و ١٥ من الجبن و ٤ من سكر اللبن ويعمل منه جبن افرنجى مقبول جدا وجبنه الابيض المصرى لاتنكر جودته (فى لبن المعز) هو كثير الشبه بلبن البقر ويختلف عنه بالرائحة الخفيفة للتيس وكونه اكثر منه قواما وقشطة اقل تحملا للزبد وجبنته

اكثر وازوجته اكثر من لزوجة لبن الضأن وزبده اصلب وابيض ومصله يحتوى على سكر اللبن وظهر بالتحليل ان فيه من القشطة ٨ ومن الزبده ٥ ومن الجبن ١٠ ومن سكر اللبن ٤ (فى لبن النساء) هو اخف من لبن البقر واقل قواما منه وفيه جبن اقل ولا يتجمد بالحوامض الضعيفة وطعمه احلى واكثر سكرية لان فيه مقدارا كبيرا من سكر اللبن والقشطة ويندر ان يخرج منه زبد (فى الاستعمالات الغذائية والدوائية لعموم الحليب) من المعلوم يا بنى كون اللبن هو وحده بطبيعته غذاء للمولودين جديدا وله استعمالات كثيرة عند القبائل فى كثير من الاحوال ويناسب جميع الاسنان والامزجة ماعدا الليمفاويين وهو عذب معدل مرخ يسهل تمثيله غالبا واستعماله مع الدوام مهيئ للسمن ويلاطف الفاعلية العضوية وكان تأثيره يمتد الى الصفات الادابية بحيث يحمل على الملاطفة وسكون الشهوات الساذجة ونحو ذلك * واحسن اللبن لتغذية الاطفال ما يكون من امهاتهم مالم يكن مرضى بامراض يخشى ان توصلها التغذية اليهم كالخنازير ونحوها من الآفات الوراثية * واذ قد علمت يا بنى ان الا ألمسماة بالشمندور يناسب بالطبيعة المولودين فى الازمنة الاول وخصوصا لدفع العقى اى المادة الزفتية الموجودة فى باطن المولودين فلتعلم ان اللبن القديم قد يسبب لهم عوارض ويكون ينبوعا للقئ والاسهالات والاحتقانات البطنية المخزنة فى الطفولية الاولى * ومن المؤكد تأثير الانفعالات النفسانية فى صفة اللبن فقد شوهدت تشنجات فى الرضع عقب فزع الام وحصل لهم ايضا امراض مخيرة عقب نوب غيظ حصلت للام * وحقق بعضهم ان لبن المراة التى هى موضوع لنشبات عصبية يصير شغافا لزجا بعد النوبة ولا يرجع لحالته الطبيعية الا بعد بعض ساعات * ولا يكفى اللبن للتغذية فى غير زمن الطفولية وسيما للاشخاص الاقوياء المنهمكين على الاشغال الشاقة مع ان اغلب القبائل والتتار وغيرهم يكون عندهم هو الاصل لتغذيتهم ولكنهم يختارونه حامضا واذا جمع مع الدقيق والبيض والسكر كان كما يذكر فى القشطة قاعدة لكثير من الاطعمة الكثيرة الاستعمال ولا تتغير بذلك صفته الملطفة اما اذا ضم للشى

اوالقهوة اوالشكولا اونحوذلك من الجواهر الاخر العطرية فان تأثيره يتنوع
تنوعا زائدا * ثم ان التغذية اللبنية تكون اساسا علاجيا لآفات الصدر
والطرق الهضمية والمثانة وتكون ملطفة فى اغلب الآفات العصبية وامراض
الجلد وعموما فى الآفات المزمنة المصاحبة لقابلية تهيج قوية * وممدوحها ايضا
فى النقرس والآفات الروماتزمية ودبايطس اى داء الدولاب وهو تسلط العطش
والتبول الدائم ويسمى بالبول السكرى لحلاوته واليرقان ولاتخفى نتائجها الجليلة
النافعة فى التسممات بالجواهر الاكالة اما كملطفة واما مضادة للسموم حقيقة
كما فى بعض الاحيان ولكن الخاصية المغذية التى هى فى اللبن اعلى درجة تمنع من
استعماله فى الاحوال التى يؤمر المريض فيها بالحمية القاسية غير انه اذا مد بماء
كثير جاز ان يستعمل مشروبا مرخيا حتى فى بعض الحميات الحادة * ثم يظهر
كل نوع من انواع اللبن يناسب بعض احوال مرضية مخصوصة وان كان
كل منها يقوم مقام الآخر عند الحاجة فيشاهد عموما ان البان الحيوانات
المجترة اقل خفة من البان النساء والفرس فهى مفضلة متى اريد تسكين التهيج
الالتهابى او العصبى بدون ارادة تغذية المرضى تغذية كثيرة ولبن المعزاة وسيما
اذا تغذت بحشائش عطرية اقل ارخاء من الالبان الاخر واحسن انهضاما بل كانه
مقوى وهو الذى يستعمل غالبا فى الارضاع الصناعى فيعطى للاطفال زيادة حيوية
ولبن النعاج اغنى زبدا من غيره واوفر مصلا وسكرية فهو قوى التلطيف
ولذا يؤمر به للشيوخ الذين اليافهم يابسة متوترة * ولبن النساء الذى يحتوى
على كثير من سكر اللبن مناسب فى الاكثر فى احوال الذبول والهبوط الناشئين
من افراط الجماع وكذا فى السل الرئوى وان منعه فيه بعضهم خوفا من
العدوى اذا باشر المريض مصه من الثدى بنفسه ولبن الحمير عند من
لايتحاشاه بسبب حرمته يناسب ايضا فى تلك الاحوال ويستعمل بالاكثر مسكنا
سواء فى معالجة هذا الداء الاخير وسيما اذا تقدم الداء يسيرا او فى علاج
الاحتقانات البطنية او فى نقاهة الامراض الضعيفة التى تستعمل فيها
انواع الالبان * ولبن الفرس الذى هو اخف من لبن النساء والحمير كثيرا

ما يختار

مايختار لذلك اذا سهل وجدانه وهو على راى بعضهم دواء ذاتى فى بعض الحال للديدان المبرومة مع ان بعض المؤلفين نسب لافراط الاغذية اللبنية تولد هذه الحيوانات وتضاعفها * واما لبن الحيوانات التى تتغذى من اللحم فتجرباتها يسيرة وانما يظهر ان لبن الخنازير ولبن الكلاب مع نجاستهما ومنع استعمالهما شرعا استعملا احيانا عند بعض القبائل المخالفين لنا فى الاعتقادات الديانية ولكن لاتعرف بالضبط خواصهما الطبية نعم هما يختلفان عن غيرهما باختلاف نوع تغذية هذه الحيوانات * وكثيرا مايستعمل اللبن من الظاهر مضامض وغراغر فى الخناقات وزروقات وحقنا فى التهاب الامعاء والبواسير والاغشية المخاطية الباطنة وكمادات سواء بخرق تغمس فيه او بوضعه فى مثانة توضع على الصدر او البطن او غيرهما رجاء نفوذ تأثيره المرخى او الملطف الى الاعضاء المحتوية فى تلك التجاويف وغسلات بان تندى به القوباء او القروح المؤلمة او المملوءة بالدود وحمامات موضعية او عامة ويكون خالصا او مخلوطا بسوائل اخر فيكون ملطفا او مرخيا او مسكنا او محسنا اوغير ذلك ويضم بلباب الخبز او بأدقة مختلفة لتتكون منه ضمادات مرخية توضع على الوجه اوالثدى او غير ذلك من الاجزاء التى جلدها لطيف المزاج ولكنها تحمض بسهولة فيلزم تجديدها كثيرا وكثيرا مايجمع لاجل ذلك مع الجواهر العطرية او المخدرة او الزعفران ويتكون منه مع الجواهر التومية مطبوخات وضمادات مضادة للديدان وغيرذلك * واللبن غالبا يكون قليل المناسبة للاشخاص الضعاف او الذين بنيتهم بالطبيعة رخوة لينفاوية اى بلغمية مرضية للخنازير او مصابة بهذا المرض والذين احشاؤهم البطنية محتقنة ونحو ذلك ولا يناسب استعمال اللبن فى الالتهابات الحارة والانزفة القوية والحميات الصفراوية والمخاطية والعفنة وعموما فى جميع احوال الحمى وسيما النقى او القليل الامداد بالماء ومع ذلك يندر ان يوجد فيه جميع الاخطار التى اتهموه بها * ثم نقول بالاختصار اذا ساء هضم اللبن ونتج منه قرف وقلس ووساخة لسان وقولنجات واسهال ونحو ذلك كما يحصل فى

المعد الضعيفة كان كثيرا مايعالج على حسب الاحوال بالكينا او بمستحضر حديدى او يضم للبن منقوع عطرى قليلا او مرا وماء حديدى وعلى الخصوص تحت كربونات المغنيسيا او ماء الكلس وكذا اذا تيسر تحمله جاز مع طول الزمن ان يحرض نوع تلبك معدى او بطنى يلزمنا بمنع استعماله منعا وقتيا وباستعمال مقئ خفيف او بعض مسهلات من المغنيسيا المكلسة او الراوند ونسب بعضهم اللبن للبن الامعاء لكن بدون دليل واضح هو موجبيت الغم وقلاعاته فى الاطفال الضعاف المولودين قريبا اطول مكث لبن الام وحموضته فى فم هؤلاء الاطفال لكن ذلك غير ثابت فلا تعويل عليه (فى بيان المقدار) المقدار قد يكون من مائة درهم الى مائتين فى اليوم ولكنه يختلف باختلاف الاحوال المرضية وعلى حسب كونه اعطى على سبيل التغذية او على سبيل التداوى فانه فى الحالة الاخيرة كثيرا مايمد بمثل وزنه ماء وذلك هو مايسمى باللبن المائى و بذلك المد تقل صفته المغذية وتحفظ فيه خاصيته الرخية و يعسر تسلط القوى الهضمية عليه لعسر وقوفه فى المعدة و يسهل امتصاصه فاضافة الماء عليه صيرت صفته الدوائية متسلطنة على خاصيته المغذية واللبن المائى المركب من جزء من اللبن وجزئين من الماء استعمله المعلم سيد نام فى الجدرى * و يختلف مقدار اللبن ايضا باختلاف الانواع فلبن الحمير مثلا لايستعمل عند من لايتحاشاه الا بمقدار مائة درهم فى اليوم و يختار تواطئه جديدا طريا فاترا والعادة تحلية اللبن بالسكر او بشراب ملطف كشراب الصمغ او الخطمية او شراب الشعير او شراب كزبرة البئر او نحو ذلك او بشراب عطرى وكثيرا مايمزج بمغلى لعابى كماء الشعير المقشر او منقوع الزيزفون واوراق النارنج او نحوها واحيانا يجمع مع مياه معدنية قلوية او كبريتية او حديدية على حسب الدلالات الدوائية وكثيرا مايستعمل اللبن حاملا للمن و يلزم التحرز من استعماله مع الحوامض او الكؤل او نحو ذلك من الجواهر التى تحال تركيبه او يحال تركيبها منه (فى بيان القشطة والزبد) القشطة اخف من اللبن

ولذا تسبح على سطحه وكلما كان اللبن اجود صفة كانت اكثر وهى مركبة من زبد مكون نفسه من قواعد مختلفة ومن ماء محلول فيه المصل وبالتحليل مكونة ٤٥ من الزبد و ٣٥ من الجبن و ٩٢٠ من المصل فالقشطة بمقتضى ذلك لا تختلف عن اللبن الا بتسلطن الزبد بالنسبة للجبن والمصل ولذا كانت اكثر دسما واصفرارا ومستعملة بالاكثر لاستخراج الزبد والقشطة كثيرة الاستعمال لكن يندر استعمالها غذاء خالصا بسبب تأثيرها المرضى وعسر هضمها على اغلب المعد فتضم غالبا مع السكر او العسل او البيض او بعض جواهر عطرية وتكون قاعدة لاغذية زائدة اللطافة مقبولة جدا * ولكن استعمالها يستدعى احتراسا كثيرا لانها كثيرا ما تسبب قلسا حامضا بل بيروزس اى احتراقا يعنى ان الانسان يحس باحتراق نارى فى المعدة المحرق وتوضع القشطة على القهوة فتلطفها وتصيرها سهلة الهضم وعلى الشاى فتلطف خاصيته المضرسة وعلى الشكولا اى اللوز الامير بكى العطرى فتظهر طعمها وغير ذلك * وصفاتها الملطفة معروفة عند العامة فى الارتيبا والقوبا والحرق وفى علاج الشقوق والسلوخ والقروح الجلدية الثديية والبواسير ونحو ذلك لكن من المعلوم انها تحمض بسهولة فيلزم لاستعمالها ان تكون جديدة * واما الزبد فهو مادة دسمة شديدة الميعان بالحرارة تخرج من اللبن بتحريك مستطيل وتستعمل اما غذاء او كتابل من التوابل او دواء ويختلف الزبد باختلاف الحيوان المجهز للبنية فزبد البقر يكون بالطبيعة ابيض او فيه بعض اصفرار ولكن كثيرا ما تلونه التجار بجواهر مختلفة ولا سيما الشنجار اى حناء الغول وزبد المعز كثير الجودة وابيض دائما وزبد النعاج ابيض واين واقبل تغيرا من زبد البقر وزبد الفرس سايل ردئ الصفة وزبد الحمير شديد الرخاوة ابيض متقع وقابل للذوبان فى ابن لزبد ويمكن فصله منه بالتبريد والتحريك ولبن النساء اذا كان فيه زبد كان ذلك الزبد اصفر يابسا * واذا مزج الزبد بالصمغ والسكر صار قابلا للامتزاج بالماء امتزاجا يسيرا ويحتوى الزبد ايضا على ما يسمى ملين الزبد

بمقدار ستة عشر فى المائة وهو سائل ابيض فيه بعض عتامة مكون
كاللبن المرالة فشطته من مصل وجبن فهو فضلة القشطة بعد ان يفصل
زبدها وذلك اللبن الزبدى يقلل جودة الزبد ويصير قابلا للتغير بالهواء
بحيث يتزنخ منه ويمكن من ذلك بالغسل المتكرر بالماء البارد واحسن من
ذلك باذابته على حرارة لطيفة وترشيحه ثم تبريده بسرعة ولزبد الذايب
لايكون محببا الا اذا ترك ليبرد ببطئ ويملح الزبد ايضا لاجل حفظه * واذا
غلى الزبد الزنخ مقدار ساعتين على قدره مرة ونصفا من الماء فانه تذهب
زناخته (فى بيان استعمال الزبد) يظهر ان الزبد كان معروفا عند اليونانيين
والرومانيين وتكلم عليه بقراط وجليناس وكثير الاستعمال عندنا وعند الالمانيين
والجرمانيين واذا كان رطبا جديدا كان غذاء جيدا ومرخيا بل مسهلا
ايضا كما قال بعضهم ونقل مناسبته للاطفال واللينفاويين والمرضى
والناقهين ومع ذلك ليس فيه الاخطار التى نسبها له بعض الاطباء * وظن
بعضهم انه على الخصوص مضرا للحوامل والمصابين بالاستيريا اى
اختناق الرحم وذكر بعضهم ان استعماله لاينتج زيادة افراز الصفراء كما زعموا
واستعملوا الزبد احيانا دواء صدريا ملطفا وكانوا يوصون بزبد لبن
النساء على الخصوص فى السل واهل بابونيا يزدردون فى هذا الدواء نفسه
كرات من الزبد مملحة وقد يضاف على الامراق الخشبية والحقن لتكثر
خاصية ارخائها وتوضع الزبدة من الظاهر على القروح السطحية ولسلوخ
وقشور فروة الراس والحراريق وتمزج بالضمادات ونحوها لكن اذا كانت
غير جديدة كانت غير ملطفة وانما تهيج وبعد ان تسكن الاندفاعات بل قد
تولد احيانا بعض عوارض * وكانوا يأمرون بالزبد الذائب الممزوج بالفقاع
والضباشير لتحليل الاحتقانات الثديية وقد يستعمل الزبد عند الحاجة فى
معظم الاحوال بدلا عن الشحم الحلو وعن الزيت فيكون هو المسوغ فى
تركيب مراهم كثيرة واطلية وقروطيات ونحوذلك * وذكروا ان الصابون
الصلب المتكون منه ومن الصود يقوم مقام الصابون الطبي ولاتنس

يا بني ان الزبد اذا تغير بالهواء او بالنار فانه يكتسب حرافة كثيرا ماتكون مؤذية وان خاصية سهولة تاكسده للنحاس والرصاص واذابة اكاسيدهما تعرض كل يوم للاخطار التي لاتخفى فيقتضي ذلك يلزم دائما غاية الانتباه لذلك (في بيان الجبن) يسمي بالجبن مادة جبنية هي احد القواعد التي يتركب منها اللبن وهي جوهر رخو ابيض عديم الطعم والرائحة لايذوب في الماء وانما يسبح فيه ويذوب في القلويات والحوامض القوية وينال بتجميد اللبن المزالة قشطته وغسل المتجمد بماء كثير والجوهر المنعقد في معدة العجل يقرب من ان يكون جبنا ويسمي منفحة وتوجد في المعدة الرابعة للحيوانات الصغيرة المجترة التي في الرضاع وتقرب من ان تكون جبنا لاغير * ومنفحة العجل هي كثيرة الاستعمال واذا كانت جديدة كانت محببة مبيضة ثم اذا عتقت صارت سنجابية واذا غسلت وملحت وجففت في الهواء كانت في قوام المرهم ومنظره وهي حامضة في الذوق والرائحة وذلك ناشئ من الحوامض التي تنفرز من جدران المعدة حيث تتكون المنفحة فيها ثم يؤخذ من تلك المنفحة مقدار يسير يوضع على اللبن فيتجمد * واعتبر الهنود منفحة الجدي مفتحة للسدد وملطفة ومنفحة الضأن المستعملة عند بعض قبائل العرب نافعة لوجع الرأس ومنفحة الجمال مشهورة عند الفرس بانها مقوية للباه * وذكر بعضهم ان منفحة العجل او الجدي اذا تيبستا على الدخان تستعملان قبل الاكل بمقدار ١٥ قمحة الى ١٨ لعلاج عسر الهضم الحاصل من امراض طويلة والمنسوب لعدم افراز العصارة المعدية * وجبن اللبن يستعمل غذاء جيدا مرطبا مليّنا قليلا اى مسهلا بلطف اذا كان طريا ومنظما بجزء من المصل وهو مع القشطة اساس للجبن الرومي والافرنجي (في بيان مصل اللبن) هو سائل صافي مخضر وطعمه عذب مقبول يستخرج من اللبن المزالة قشطته ويحصل بواسطة تجمد جبنته وهو مركب من سكر اللبن وبعض املاح فيه وتلك الاملاح منضمة بقليل من الحمض المسمي بحمض زبديك وخليك ولبنيك ومقادير تلك الاصول فيه مختلفة كاختلافها في اللبن نفسه باختلاف نوع الحيوان الثديي

المجهزله ومصل البقر والمعز والضأن هو الكثير الاستعمال ومن هذا السائل الحامض استخرج بعضهم الحمض اللبنى والمصل الآتى من تجمد اللبن من ذاته عند تحضير الجبن مقبول الذوق حمض مكدر محلوله بقليل من الجبن وخاصيته اللينة اى المسهلة بلطف تفيد ان بعض المعد يعسر عليها هضمه * والمصول بالادوية يكون دائما مكررا واخف واكثر انهضاما ويكون تفه الطعم اذا نيل بواسطة الخل اعنى اذا القيت ملعقة من هذا الحمض فى مائتى درهم من اللبن الذى ازيلت منه قشطته وغلى وانفصل منه الجبن ونقى بواسطة بياض البيض المضروب بقليل من الماء ثم رشح ويكون ذلك المصل اصفى واكثر صابونية ورائحة اذا استعملت لتحضيره المنفحة اى نصف درهم من المنفحة او عشرين قمحة من زبدة الطرطير فى المائتى درهم من اللبن * واحسن المصل ما يعمل فى الارياف حيث يكون اللبن المجهزله نقيا واعلى صفة من مصل لبن البقر المحبوس فى المدن مع مساعدة فعله بالهواء الجيد والرياضة وغير ذلك * واما مصل الزبد الذى يرسب من القشطة او من اللبن كله بعد نزع الزبد منه كما يفعل ذلك فى بلاد ارلنده فهو مصل متكدر يحتوى على جبن منضم بقليل من الزبد على هيئة المستحلب وهو مع قلته اكثر تغذية من المصل الاعتيادى ولكن قليل الانهضام مثله ايضا واذا نقى كان اختلافه عنه قليلا * ويكثر استعماله فى بلاد الهند حيث يكون جيد الصفة فيقال انهم يستعملونه اولا بمقدار يسير ثم يزاد المقدار تدريجا ويكون ذلك علاجا لبعض الدوسنطاريات والسل المبتدا وتسكين اعصاب المفرطين فى استعمال الشاى * والطريقة الجليلة لعمل مصل اللبن كما قال المعلم بوشرده هى ان يؤخذ من لبن البقر مائة وخمسون درهما ويغلى ثم يضاف له شيأ فشيأ مقدار كاف من محلول مصنوع بجزء من الحمض الطرطيرى وثمانية اجزاء من الماء فاذا تكون التجمد جيدا يصفى مع العصر ثم يوضع المصل على النار مع نصف بياض بيضة محلولا فى بعض ملاعق من الماء البارد ثم تضرب فيها ويوصل بذلك لدرجة الغلى ثم يصب فيه قليل من الماء البارد لاجل خفض درجة الغلى ثم يصفى ويرشح ويمكن انعقاد اللبن بحوامض اخر

كما قلنا (فى بيان استعمال المصل) الاستعمال الدوائى للمصل معروف ذكره قديما اطباء اليونان والعرب وفيه خاصية مرخية تظهر فى حالة الصحة او المرض ومن حيث انه حمضى قليلا لعابى ملحى يستعمل كثير الترطيب وتسكين العطش والتهيج فى الحميات المحرقة ويعين على الاستفراغات الثفلية والبولية ومع ذلك قد يحصل منه امساك لبعض المرضى ويستعمل ملطفا ومرخيا بل مسكنا فى الامراض الحادة عموما وسيما الحميات الصفراوية والالتهابية والتهابات الاعضاء الهضمية والرئوية والجلد وغير ذلك * ومدح بعضهم فاعليته مشروبا وحقنا فى الدوسنطاريات المستعصية وكثيرا ما يعطى ايضا محللا ومفتحا وكغذاء عذب قليل الجوهرية فى كثير من الافات المزمنة والالتهابات البطيئة فى الطرق الهضمية واحتقانات الاحشاء البطنية وسيما الكبد والايبوخندريا وغير ذلك من الافات العصبية الاخر وفى امراض الصدر بل السل نفسه وامروا به المولودين جديدا ليقوم مقام اللبن الامى * ويستعمل ايضا حمامات حيث جعلوها علاجا للآفات العصبية وسيما الايبوخندريا والحمى الدقية والامراض الجلدية المستعصية وخصوصا قوباء والخنازير وقالوا انه يظهر من استعمالها مدة ثلاث اسابيع اندفاع جلدى لم يمكث الا نحو عشرة ايام وكثيرا ما يجمع هذا المصل فى محل المياه المعدنية وسيما الغازية مع تلك المياه فتزيد فاعليتها بذلك والعادة ان يؤمر بالمصل فاترا بل باردا بمقدار مائة وخمسين درهما او مائتين فى اليوم ويستعمل بالاكواب وسيما فى الصباح على الخوى وخصوصا فى الربيع فيعطى كوب فى كل ساعتين والكوب مقدار ثلاثين درهما واحيانا يحلى المصل ببعض شرابات كشراب زهر البرتقان وكزبرة البئر ونحو ذلك ليصير مقبول الطعم واحيانا اخر يعان فعله المرطب بشراب آخر كشراب الليمون وعنب الثعلب ونحو ذلك ويقوى فعله المدر للبول باضافة قليل من ملح البارود اوزبدة الطرطير او خلات البوتاس او نحو ذلك عليه ويقوى فعله الملين اى المسهل اللطيف بحيث يقال انه مصل مسهل بشراب البنفسج اوشراب زهر الخوخ اى الدراقن او بعض دراهم من طرطرات البوتاس او المن اولب التمر هندي او نحو ذلك ويقوى فعله

المحلل والمفتح بحيث يسمى بالمصل المفتح بخلطه بعصارة منقية من النباتات
المرة او المضادة للحفر او العطرية او نحو ذلك * وقد يجمع بجملة من تلك
الادوية ليستعمل بدلالات مختلفة كما يشاهد ذلك فى مصل المعلم ربس الذى
كان ممدوحا سابقا فيوجد فيه فى آن واحد جواهر معرقة ومدرة ومسهلة وكما
فى مصل المعلم ويبزتين الذى يحتوى على حشائش منقية وسنامكى وكبريتات
الصودا والعسل وقد يضم له جواهر تغير بالكلية خواصه كالطرطير المقئ
والشب ونحو ذلك * وكانوا يغمسون فى المصل قطعا من الحديد محماة بالنار
لتحضير مصل حديدى وقد يقطرا ما مع النباتات المسماة بقوية القلب والمعدة
ليستخرج من ذلك ماء اللبن العام النفع او المضاد للسم كما كان مشهورا بذلك
وممدوحا عند الاطباء مقويا ومعرقا وغير ذلك بمقدار ثمانية دراهم الى خمسين
درهما واما مع القوقع ونباتات مضادة للسعال ليتكون من ذلك الماء الصدرى
الحلزونى البسيط او المركب الممدوح فى امراض الصدر (فى بيان البيض)
هو غالبا جسم مستدير يتكون فى اناث بعض الحيوانات ويحتوى على النطفة
ومعد لتغذيتها زمنا ما والنطفة جزء من محه ويكون بياضه غذاء لها والبيض
يطيب ويذكوا اذا علف الطير غذاء وافيا وبالعكس * ولذا نقل بعض افاضل
من الاطباء ان غالب العدوى فى نحو الجذام من بيض الدجاج الجلال يأكل
عذرة من به علة فيتولد المرض من بيضه * واجود البيض هو الرزين المأخوذ
ليومه الكائن عن فحل واما الكائن بلا فحل فلا يتولد منه فرخ ويسمى البيض
الريحى او الهوائى وهو قليل الغذاء ويحضن البيض تحت دجاجة زمن الربيع
فيخرج منه الفرخ بعد نحو شهر ويخرج بمصر بحرارة قائمة مقام الجناح حتى قال
بعضهم ان خروج الفرخ من البيض بمصر مما يطمع فى عمل الكيميا لان الفساد انما كان
بالحرارة قوة وضعفا (فى بيان صفاته الطبيعية وتركيباته) ثم ان البيض مركب
من غلاف صلب يسمى قشرة وغلالة رقيقة مغشية لها وبياض وصفار يسمى
محا ووجود الدهن الثابت فى المح يفيد شبها واضحا بين البيض وبزور اغلب
النباتات * وذكر المعلم وكلين انه من اى رتبة كان من رتب الحيوانات يصح ان

يكون من كباتر كيبا كيماويا من اصول واحدة مجتمعة مع بعضها بمقادير مختلفة وعلى كل حال فبيض الطيور وسيما الدجاج هى التى نذكر فيها بعض كليمات * نهاية ما نقول يا بنى فى غيره ان بيض الترسة اى السلحفاة لا يقوم مقام بيض الطيور وان بيض السمك المسمى بالبطروخ اذا كان خاليا من الجوهر الحريف المقئ المسهل المحتوى عليه بعض الانواع قد يستعمل غذاء وقد يعمل منه مايعد من التوابل الكثيرة الاستعمال عند بعض القبائل * واما القشرة فتحتوى على مادة حيوانية وكربونات الكلس وقليل من كربونات المغنيسيا وفصفات الكلس اى مكلس العظام و بعض اثار من مكلس الحديد وعلى كبريت الذى هو من جملة عناصرها * وكانت القدماء يجعلون لتلك القشرة استعمالات كثيرة فاما ان تغسل وتسحق وتحبب واما ان تحرق وترجع الى كلس نقى واما ان تذاب فى الخل وترسب بقلوى على شكل دواء وقى وجعلوا لذلك كله خواص جليلة فى الحصيات الصغيرة وداء الخنازير وغير ذلك * وكانت هذه الادوية عندهم مكتومة من الاسرار المنسوبة لاسطيفان وعلاجا لتلك الامراض وقاعدتها لهذا الجسم الماص على حسب الزعم * و بالجملة كانوا يعتبرون هذه القشور كلها كالغلافات الذوقعية محللة ومفتتة للحصى وطاردة للسم وجالية لبياض العين كحلا ومحللة للاروام مع العسل والخل طلاء مع انك قد علمت تركيبها الكيماوى بحيث يمكن ابدالها عموما بتحت كربونات الكلس والمغنيسيا اى المانيزيا * واما الغلالة الباطنة فظن المعلم وكاين انها من طبيعة زلالية وتذوب بسهولة فى محلول البوتاس بدون ان يحصل منها روح نوشادى وتحتوى على الكبريت الذى هو من جملة عناصرها (فى الاستعمالات الغذائية والدوائية للبيض) الاستعمال الغذائى للبيض معروف عموما وهو مع قلة حجمه كثير التغذية سهل الهضم وتأثيره الطف وانفع وهو احسن مايجمع مع اغلب المواد الغذائية ولذلك تنوعت الاطعمة المصنوعة منه تنوعا كثيرا * واكثر مايستعمل من البيض بيض الدجاج واما بيض الاوز والفراريج الحبشية فقليل الاستعمال و بؤس

بالبيض للنساء والاطفال والاشخاص الارقاء المزاج * واما مازعموا من تأثيره المسخن فذلك من كمال قابلية للهضم ولكن البيض المدخر مدة مايكون اقل انهضاما من البيض الطرى ومع ذلك يظهر ان فيه بعض تنبيه والمنعقد بالنار سواء وحده او مع غيره اعسر انهضاما من النيمرشت بل قالوا انه يولد حصاء الكلى والمثانة والسدد واما النيمرشت بل قالوا فهوا جود * قالوا وكيفيته ان يرمى فى الماء المغلى ويعد من رميه ١٠٠ ثانية متوالية اذا وضع والماء فاتر كذا قرره جالينوس وباعتبار العلاج يختار البيض بالماء او باللبن على البيض الذى طبخ بقشره والبيض النيء نادر الاستعمال ويسبب لبعض الناس قرفا مع ان طعمه اقبل اذا كان حارا خارجا من الدجاجة عن قريب ويسهل انحداره ومن النادر استعمال البيض فى الامراض الحارة بسبب فعله المغذى اما فى الافات المزمنة وسيما التى فى الطرق الهضمية فيعطى مع النفع دائما لانه يغذو بدون ان يتعب الاعضاء ويحصل منه تغذية لطيفة مفيدة للقوى ولذا كان كثير الاستعمال فى نقاهة الامراض * ومدح بعضهم فى الاسهال المستعصى البيض اليابس المتبل بالخل المورد * ومدحوا ايضا للرمد المزمن وقروح الاجفان السائل المجهز من البيض اليابس اى المشوى الذى ابدل محه بكبريتات الخارصين وترك مقيما فى المطامير واللطخ الشمسية فى الوجه السائل الذى يسيل من البيض اليابس الذى ثقب بابرة طويلة ووضع فى محل رطب ولكن عندنا لتلك الامراض ادوية اقوى فعلا من ذلك يقينا * والبيض يسرع تغيره شيأ فشيأ كلما عتق لان القشرة ذات مسام فتسمح بتبخير الماء الباطن ولا تمنع نفوذ الهواء الباطن فيعجل عفونة المادة الزلالية وقد يحفظ البيض طريا مدة سنة بطريقة ذكرها بعضهم وهى ان يهيء البيض طبقات قليلة الثخن حتى لاينكسر بثقله الخاص ثم يصب عليه ماء الكلس الذى يحتوى على مقدار مفرط يسيرا من الكلس المسحوق بحيث يحفظه مغطى بذلك الماء بمقدار من ١٥ الى ١٨ سنتيمتر من الماء وقد تسد مسام البيض بزفت او قطران او ماء مصمغ او شمع او نحو ذلك فهذا مختصر مايلزم ان

يذكر

يذكر يا بنى هنا فى البيض عموما (فى بيان استعمال بياض البيض) واما بياض البيض فيقرب من كونه زلالا خالصا وهو مكون من خلايا متخللة مملوءة بسائل زلالى متساوى الكثافة فى جميع الطبقات محتوى على بعض املاح وعلى صودا خالص وذلك البياض سائل لزج شفاف مخضر قليلا عديم الرائحة يكاد يكون عديم الطعم ويذوب فى الماء البارد او الفاتر ماعدا الشبكة الخلوية المحوى فيها ويمكن فصلها منه بالترشيح ويعطى لهذا السائل اللزوجية وقوة الترغية بالتحريك اما فى الماء المغلى فيكون كتلة معتمة بسبب انعقاد جزء عظيم من زلاله كما يجمد بفعل الحرارة فاذا جمد اكتسب منظرا صمغيا ومتى تجمد بالحرارة اعنى اذا انعقد لم يكن قابلا للذوبان اصلا * واذ قد عرفت يا بنى ان الزلال يحلل تركيب اغلب المحلولات المعدنية وسيما املاح النحاس والزيبق كما ذكرنا ذلك فى مبحث الزلال فى كشف الاسرار فلتعلم ان زلال البيض المحلول فى الماء والمضروب فيه واسطة قوية الفعل لعلاج العوارض الناتجة من السليمانى الاكال لكن ذلك اذا بودر باستعماله قبل ان يدخل السم فى الاعماق وقد اتفق من مدة يسيرة ان احد الاشخاص صار عرضة للموت بمثل ذلك فوجد فى استعمال بياض البيض شدة فاعلية جليلة وذكر المعلم مرحانى فى التسمم بنترات الفضة ان الزلال احسن من غيره فى ذلك واوصى المعلم اورفيلا وذكر امرا واقعيا يؤكد رايه * ومن المعلوم استعمال زلال البيض غذاء غير ان من النادر فصله فى الغذاء من الاجزاء التى معه وقد جعله بقراط مرطبا وملينا اى مسهلا بلطف فى الحميات بهيئة مشروب مركب من بياض جملة من البيض مضروبة فى الماء * وذكر ديسقوريدس ان ازدراد زلال البيض نياً علاج جيد لنهش الافعى واذا كان نيمرشتا اى نصف طبخ كان نافعا فى امراض الطرق البولية وقئ الدم ونحو ذلك واستعملوا ذلك الزلال ممدود بالماء كملطف فى الامراض الالتهابية ولتسكين احتراق الطرق الهضمية ووجدوه اكثر فاعلية من الماء الصمغى مع قوله اقل تفاهة وثقلا على المعدة فيحل فى الماء البارد ويرشح السائل ثم يحلى وذكروا

من زمن طويل نفع مخلوط بياض البيض بماء عرق الهيل في اليرقان وان هذا البياض مع ماء الورد نافع في اللبقوريا اى السيلان فى اعضاء التناسل وذكر المعلم سيجان انه نال نجاحا فى ٤٦ مريضا مصابين بالحمى المتقطعة من استعمال ٣ بيضات قبل النوبة وكان يستعمل من الظاهر اما كلطف محلولا فى بعض قطورات او مخلوطا فى الغراغر كما قال سيد نام واما معقودا كضماد فى الرمد الحاد واما مضروبا فى الزيت كدهان فى الحرق واما ان يوضع فى بعض احوال الكسر كما ذكر ذلك المعلم مسكافى لاجل تندية وسائد الاشرطة والرفائد التى توضع على الاطراف المصابة فتيبس و يكون منها شبه قالب يحفظ مجاورة اطراف الكسر لبعضها و يسهل تيبسه * وذكر اطباء العرب انه لايعادله شئ فى حرق النار والدهن وتسكين اوجاع العين وقال الاسرائيلى بياض البيض يستعمل فى علل العين خصوصا ماكان فيها فى الاجفان الملتحمة و يحذر من استعماله فى العلل المادية و يحتقن به مع اكاليل الملك لقروح الامعا وعفونتها وتحتمل فتيلة تغمس فيه مع دهن الورد لورم المقعدة وذكروا ايضا انه بدقيق الشعير يبرئ الحزاز والقوابى وينفع الخراجات واورام الثدى والمقعدة ومع الافيون يسكن الورم الحار طلا انتهى وقد وقف هنا القلم عن الجريان خوفا من الاطالة والملل ومن اراد الاطلاع على باقى المفردات فعليه بكتابنا المسمى بكشف الاسرار النورانيه فان فيه ما يبرد الغليل و يشفى العليل وعلى الله التكلان واليه المرجع والمآل وكان الفراغ من تأليفه فى شهر صفر سنه ١٢٩٩

قد تم طبع كتاب تبيان الاسرار الربانية فى النبا[تات] والمعادن والخواص الحيوانية فى مطبعة مجلس معارف ولايت سورية الجليلة مصححا على يد مؤلفه الفاضل المدقق الفهامه وذلك فى منتصف شهر ربيع الاول سنة ثلاثمائة والف من هجرة من خلق على اكمل وصف وصلى الله عليه وعلى آله واصحابه وعلى من تمسك بشريعته وآدابه